هيئة الخدمة الروحية للنشر

أصعب ٧٧ سؤالاً عن الله والكتاب المقدس وإجاباتها

جوش ماكدويل - شون ماكدويل

أصعب ٧٧ سؤالاً عن الله والكتاب المقدس وإجابتها

تأليف

جوش ماكدويل - شون ماكدويل

ترجمة

يوسف شكري رمزي

هيئة الخدمة الروحية للنشر

الكتـــاب : ٧٧ سؤالاً وإجابة عن الله والكتاب المقدس

77 FAQs About God and the Bible

الكـــاتـب : جوش ماكدويل - شون ماكدويل

الترجمة : يوسف شكري رمزي

الناشـــر : هيئة الخدمة الروحية للنشر

الطبعـة : الأولى يناير ٢٠١٧

التصميـم والطبـاعة: إكزاكت للطباعة **ت:** ٠٠٠٢ ٢٤٩٩ (٠٢)

رقم الإيداع بدار الكتب: ٢٠٠٣ / ٢٠١٧

الترقيـم الدولـــي: 978 -977- 5436-72-6

شكر وتقدير

كل الشكر والتقدير للأشخاص الذين أسهموا مساهماتٍ قيِّمة في هذا الكتاب؛ ونخص بالذكر:

ديف بيلس (Dave Bellis)، صديق جوش وزميله لأكثر من خمسة وثلاثين عامًا، على تعاونه معنا في وضع أسئلة الكتاب، والبحث عن أجوبةٍ وافية لها، وكتابة مسودة، وإنهاء جميع التعديلات والمراجعات للخروج بالمسودة النهائية. ولكم ندرك الرؤى الثاقبة التي يُقدِّمها ديف، والمعرفة العامة الرائعة التي يتمتع بها بخصوص موضوعات هذا الكتاب، ونشعر بالامتنان العميق لمساهمته الفعَّالة المؤثرة.

إيريك جونسون (Eric Johnson) وألن شليمون (Alan Shlemon)، على تقديم رؤية مفيدة في مجالات خبرتهما العلمية.

بيكي بيلس (Becky Bellis)، على العمل على الكمبيوتر وتجهيز الكتاب.

تيري جلسبي (Terry Glaspey) من هارفست هاوس (Harvest House)، على رؤيته المستنيرة، وتوجيهه لتشكيل اتجاه هذا العمل وأسلوبه.

بول جوسارد (Paul Gossard) من هارفست هاوس، على المراجعة، والبصيرة الثاقبة التي أضافها، بعين الخبير، للانتهاء من الكتاب.

جوش ماكدويل

شون ماكدويل

المحتويات

١. هل يمكن الإجابة عن جميع أسئلتي؟ ٧

* أسئلة عن الله

٢. لماذا يبدو الله مختفيًا عَنَّا؟ ٩
٣. ألا يتطلب التصديق في الله إيمانًا؟ ١١
٤. هل من الخطأ أن تكون لدينا شكوك نحو الله؟ ١٥
٥. ما هي البراهين والأدلة المتاحة بشأن وجود الله؟ ١٨
٦. ما هي الحُجة الأولى لوجود الله؟ ٢١
٧. ما هي حُجة التصميم على وجود الله؟ ٢٣
٨. ما هي حُجة القانون الأخلاقي لوجود الله؟ ٢٨
٩. ما هي حُجة التجربة الشخصية لوجود الله؟ ٣١
١٠. إن كان الله هو نبع كل شيء، فمَن أوجد اللهَ إذن؟ أو ما سبب وجوده؟ ٣٣
١١. مَن هو الله؟ ٣٥
١٢. مَن هو الروح القدس؟ ٤١
١٣. ما المقصود بأن الله ثالوث؟ ٤٣
١٤. هل الله ذكر أم أنثى؟ ٤٥
١٥. هل يمكن أن يرتكب الله خطيةً مثل الغيرة؟ ٤٧
١٦. مِن أين يأتي الشر؟ ٥٠
١٧. ما هو الشر؟ ٥٢
١٨. ما الذي يجعل الناس يخطئون اليوم؟ ٥٤
١٩. إن كان الله مُحِبًّا للغاية، فلماذا لا يكون أكثر تساهلًا مع الخطية؟! ٥٧
٢٠. لماذا خلق الله البشر؟ ٦٠
٢١. هل خلق الله كائنات ذكية (عاقلة) أخرى غير البشر؟ ٦٢
٢٢. هل من الممكن فعلًا معرفة الحق؟ ٦٣
٢٣. هل بعض الحق هو تفضيل شخصي؟ ٦٦
٢٤. هل الله متحيز جنسيًّا؟ ٦٨
٢٥. هل الله عنصري؟ ٧٤
٢٦. هل الله يتمسك بحرفية الشريعة؟ ٧٦
٢٧. هل الله عنيف؟ ٧٨

٢٨. هل الدين هو السبب الحقيقي للعنف في العالم؟ ٨١
٢٩. هل يمكن أن يُبيد الله البشرَ إبادة جماعية؟ ٨٤
٣٠. كيف يمكن لإله مُحب أن يُلقى البشر في الجحيم؟ ٨٨
٣١. هل الله يعاقب البشر من خلال الكوارث الطبيعية؟ ٩١
٣٢. لماذا يسمح الله بالألم؟ ٩٣
٣٣. لماذا لا يُوقف الله الألم؟ ٩٨
٣٤. هل لدى الله مشاعر وعواطف؟ ١٠٤
٣٥. هل الله يحب جميع البشر بغض النظر عن توجههم الجنسي؟ ١٠٨
٣٦. هل الله ينخرط في السياسة؟ ١١١
٣٧. كيف يمكن أن نعرف مشيئة الله في حياتنا؟ ١١٤
٣٨. هل ادَّعى يسوع حقًّا أنه الله؟ ١١٧
٣٩. أليس من العجرفة الادعاء بأن المسيحية هي الدين الحقيقي الوحيد؟ ١١٩
٤٠. كيف نعرف أن يسوع عاش حقًّا على الأرض؟ ١٢١
٤١. كيف ادَّعى يسوع وأثبتَ أنه الله؟ ١٢٤
٤٢. ما هو الدليل على أن يسوع هو المسيح؟ ١٢٦
٤٣. هل يوجد دليل على ميلاد يسوع من عذراء؟! ١٣٠
٤٤. هل يوجد دليل على قيامة يسوع من الأموات؟ ١٣٣
٤٥. لماذا احتاجَ يسوع أن يموت؟ ١٣٦
٤٦. لماذا تعد قيامة يسوع محورية للغاية في المسيحية؟ ١٣٩
٤٧. كيف كان البشر يكفرون عن خطاياهم ويَصلون إلى الله قبل موت يسوع؟ ١٤١
٤٨. ما هي كنيسة الله؟ ١٤٤
٤٩. ما الذي سيفعله يسوع في مجيئه الثاني؟ ١٤٦
٥٠. كيف أختبر شخصيًّا العَلاقة مع الله؟ ١٤٨

* أسئلة عن الكتاب المقدس

٥١. من أين أتى الكتاب المقدس؟ ١٥١
٥٢. ماذا يعني أن الكتاب المقدس مُوحَى به؟ ١٥٤
٥٣. هل الكتاب المقدس منتج إلهي أم بشري أم كلاهما؟ ١٥٧
٥٤. أليس الكتاب المقدس مليئًا بالأخطاء والتناقضات؟ ١٦٠
٥٥. هل أخطأ العهد الجديد باقتباسِه من العهد القديم؟ ١٦٤

٥٦. كيف نعرف أن الكتاب الذي بين يدينا اليوم هو كلمة الله؟ ١٦٦
٥٧. هل حدث استبعاد لبعض الأسفار «المُوحَى بها»
من كتابِنا المقدس الحالي؟ ١٦٩
٥٨. كيف يمكن أن تكون تعاليم الثقافات القديمة
بالكتاب المقدس مفيدة لنا اليوم؟ ١٧٣
٥٩. من أين تأتي التفسيرات الخاطئة للكتاب المقدس؟ ١٧٧
٦٠. كيف تفسر الكتاب المقدس تفسيرًا صحيحًا؟ ١٨٢
٦١. هل يمكن أن يبقى المسيحيون في وحدة
إن احتفظوا بتعاليمَ متناقضة من الكتاب المقدس؟ ١٨٧
٦٢. هل كل شرائع العهد القديم مُلزمة لنا اليوم؟ ١٩١
٦٣. هل أيٌّ من الأعياد اليهودية في الكتاب المقدس
لها مغزى للمسيحيين اليوم؟ ١٩٤
٦٤. ما هو الغرض الحقيقي للكتاب المقدس؟ ٢٠٠
٦٥. هل العهد القديم موثق تاريخيًّا؟ ٢٠٣
٦٦. هل العهد الجديد موثَّق تاريخيًّا؟ ٢٠٧
٦٧. ما الفرق بين الكتاب المقدس في المسيحية واليهودية؟ ٢١١
٦٨. ما الفرق بين الكتاب المقدس والقرآن؟ ٢١٣
٦٩. ما الفرق بين الكتاب المقدس في المسيحية وكتاب المورمون؟ ٢١٦
٧٠. كيف يختلف الكتاب المقدس للروم الكاثوليك
عن نظيره لدى البروتستانت؟ ٢١٩
٧١. متى تُرجِم الكتاب المقدس إلى لغاتٍ أخرى؟ ٢٢٢
٧٢. هل أيٌّ من ترجمات الكتاب المقدس مُوحَى بها؟ ٢٢٥
٧٣. إن كان مترجمو الكتاب المقدس قد ارتكبوا أخطاء،
أفلا يجعله ذلك غيرَ دقيق؟ ٢٢٦
٧٤. كيف يمكن اختيار ترجمة إنجليزية دقيقة للكتاب المقدس؟ ٢٢٨
٧٥. لماذا يوجد عدد كبير من التراجم الإنجليزية للكتاب المقدس؟ ٢٣١
٧٦. ما هي المصادر التي أحتاجها لتفسير الكتاب المقدس بدقة؟ ٢٣٢
٧٧. كيف يمكنني اختبار الكتاب المقدس شخصيًّا؟ ٢٣٥
* المراجع ٢٣٨

١

هل يمكن الإجابة عن جميع أسئلتي؟

يعد موضوع «الله»، وكلمته المقدسة، ضخمًا وعميقًا للغاية، وعلينا الاعتراف بأنه تتوفر أسئلة أكثر بكثير من الإجابات. وفي الواقع، كلما درسنا وتعلمنا عن الله والكتاب المقدس، زاد إدراكُنا بندرة ما نعرفه بالفعل. ولكن ذلك لا يعني أنه ليست لدينا أسباب وجيهة لما نؤمن به.

قد يكون جميلًا أن ندَّعي بأننا وجدنا إجاباتٍ لجميع الأسئلة الأكثر تداولًا عن الله والكتاب المقدس، لكن ذلك ببساطة ليس، ولن يكون أبدًا، صحيحًا على الإطلاق. إذ من الصعب في بعض، أو كثير من الأحيان، أن تجد إجاباتٍ عميقة لمثل هذه الأسئلة. لكن (جوش وشون) يحاولان في هذا الكتاب تقديم مثل هذه الإجابات. لقد تحدث الكاتبان أكثر من ١٥٠٠٠ مرة للشباب والكبار. وقد سعينا إلى البحث في القضايا والأسئلة التي يطرحها المسيحيون، وغير المسيحيين، على حدٍّ سواء. كما درسنا ما قاله العلماء واللاهوتيون في الماضي.

نعم توجد إجابات مُرضية للعديد من الأسئلة المطروحة عن الله والكتاب المقدس. وقد يشعر البعض بعدم الرضا. ولكن عدم إيمانهم، في واقع الأمر، قد يكون حماقة. حتى الرسول بولس قال: «إن كلمة الصليب عند الهالكين حماقة» (١ كورنثوس ١: ١٨). إن عديدًا من الأسئلة التي نجيب عنها هي أسئلة روحية، تتطلب إجابات روحية. وفي الوقت نفسه، نتعامل مع بعض الأسئلة الصعبة التي جرى التفكير فيها على مدار قرون، فإن لم تتقبل سوى الإجابات «العِلمانية»، قد تشعر بالإحباط وخيبة الأمل.

لذا سنطلب منك في مواضع عدة أن ترى الإجابة من منظور الله! لأن منه نتلقى البصيرة الحقيقة والحكمة. فعندما نرى الحياة ومعضلاتها من وجهة نظر إلهية، نكتسب البصيرة والتوجيه. نأمل أن تجد مثل هذه الإجابات في هذا الكتاب. وعلى الرغم من أن بعض هذه الإجابات مُرضية لحدٍّ ما، فإنها

غير مكتملة. وفي بعض الأحيان، يجب أن نقبل بأن الله يعرف بعض القضايا والمواقف، لكنها تظل رغم ذلك لغزًا، سواء جزئيًّا أو كليًّا، بالنسبة لنا كبشر. وهذا لا يعني أن المسيحية هي مسألة إيمان أعمى. لكن من المهم أن ندرك قصورنا البشري.

لن يستطيع هذا الكتاب أو أي كتاب آخر أن يجيبك عن جميع أسئلتك حول الله والكتاب المقدس. لكننا سنبذل قدرَ الإمكان قصارى جهدنا للإجابة عن كل سؤال بإمانة، وتقديم الإجابات الواضحة والعملية بشأنه. ومع ذلك، تعد طريقة المعالجة هي مفتاح الحصول على إجابات حقيقة عن الأسئلة الصعبة في الحياة. كان الملك سليمان في حكمته يفهم هذا المنهج، وشاركه معنا في أمثال ٢. فالإجابات الحقيقية تأتي من اكتساب الفهم والحكمة من الله.

«يا ابني، إن قبلت كلامي وخبَّأت وصاياي عندك، حتى تميل أذنك إلى الحكمة، وتعطف قلبك على الفهم، إن دعوت المعرفة، ورفعت صوتك إلى الفهم، إن طلبتها كالفضة، وبحثت عنها كالكنوز، فحينئذ تفهم مخافة الرب، وتجد معرفة الله. لأن الرب يعطي حكمة. من فمه المعرفة والفهم. يذخر معونة للمستقيمين. هو مجن للسالكين بالكمال، لنصر مسالك الحق وحفظ طريق أتقيائه. حينئذ تفهم العدل والحق والاستقامة، كل سبيل صالح» (أمثال ٢: ١- ٩).

٢
لماذا يبدو اللّه مختفيًا عَنَّا؟

قد يظل الله مختفيًا عنا ككائن مادي. يقول الكتاب المقدس: «الله روح. والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» (يوحنا ٤: ٢٤). ولأنه روح فهو لا يُرى (١تيموثاوس ١: ١٧). إنه في مستوىً آخر من الوجود يختلف عَنَّا كبشر. ومن المعلوم أننا لا نرى كل سلطانه وقوته الهائلة، وهو الذي قال لموسى: «لا تقدر أن ترى وجهي؛ لأن الإنسان لا يراني ويعيش» (الخروج ٣٣: ٢٠).

تخيل معي: ماذا سيحدث لو قلت لك (أنا شون) إنني أملك سيارة لامبورجيني، موجودة الآن بمرآب السيارات (الجراج)؟ إن كنتَ تعرفني، ربما تقول إني لا أستطيع شراء هذه السيارة باهظة الثمن إذا ما كنت أعتمد فقط على راتبي كمدرس بالمرحلة الثانوية. بالطبع أنت على حق. ولكن كل ما عليك هو أن تطلب مني ببساطة «أن ترى السيارة اللامبورجيني.» وإن لم أستطع تقديمها، حتمًا سأكون محتالًا.

بيد أن الأمر يختلف قليلًا عندما يتعلق بالله. فلا يمكن أن نصلي صلاةً، أو نحرك أصابعنا فجأة؛ لتسريع وتيرة الأمر؛ فيظهر الله سريعًا، ويبدد أي تساؤل عن وجوده. ولكي نكون صادقين مع أنفسنا، حتى ذلك قد لا يُقنع البعض، أو يكون كافيًا للإيمان بالله. لكن الحقيقة هي أن الله في الواقع، مختفٍ عنا؛ لأنه قدوس تمامًا (إشعياء ٥٤: ٥، رؤيا ٤: ٨)، لكننا كبشر غير كاملين ولا نتمتع بالقداسة (رومية ٥: ١٢). كما أننا ملوثون بالشر، ويقول الكتاب المقدس عن الله: «عيناك أطهر من أن تنظرا الشر، ولا تستطيع النظر إلى الجور» (حبقوق ١: ١٣).[i]

يود الله أن يكون في عَلاقة مع خليقته، لكن لا تستطيع طبيعة البشر الخاطِئة أن تحمل روح الله؛ لذا يجب أن يكون مختفيًا عنا، لكنه قد مكَّننا أن نعرفه من خلال الموت الكفاري للمسيح الذي كفَّر عن خطايانا. ويُقصَد بتكفير المسيح

---

i راجع السؤالين ١١. مَن هو الله؟ وكذلك ١٨. ما الذي يجعل الناس يخطئون اليوم؟

عن خطايانا أنه دفع «ثمنها» الذي كان الموت، وفدانا من حُكمه (رو ٦: ٢٣؛ ١ بطرس ١٨، ١٩). كما أظهر الله نفسه أيضًا لنا من خلال خليقته (رو ١:١٨-٢١)، وضمائرنا الأخلاقية (رو ٢: ١٤، ١٥)، وكلمته (٢ تيمو ٣: ١٦، ١٧)، وكنيسته (أف ١: ٢٣)، وتاريخه (١ صم ١٧: ٤٦، ٤٧)، كذلك من خلال سُكنى الروح القدس في حياتنا (رو ٨: ٩- ١١). قد يكون الله مختفيًا عنا بالمعنى المادي والجسدي، لكنه حاضر في حياة أولاده الذين افتداهم المسيح.

بالطبع كشف الله لنا عن نفسه في شخص يسوع المسيح عندما عاش هنا على الأرض. سنقدم في هذا الكتاب أدلة وبراهين كثيرة لتأييد الإيمان بأن يسوع كان في الحقيقة الإله الظاهر في الجسد. لقد ذكر الربُّ يسوع والرسل بوضوح أن الله أظهر نفسه لنا من خلال المسيح (راجع يوحنا ١: ١- ١٤؛ ١٤: ٨- ١١؛ كولوسي ٢: ٩؛ العبرانيين ١). وعلى الرغم أن الله قد يكون مختفيًا عنا في العالم المادي، فإنه لايزال يُظهر نفسه لنا بطريقةٍ كبيرة.

من ناحيةٍ أخرى، لا يعد الجانب المختفى عن الله أمرًا سلبيًّا! نعم، فاختفاؤه يمكن أن تكون له نتيجة إيجابية. فقد قال لبني إسرائيل: «وتطلبونني فتجدونني إذ تطلوبنني بكل قلبكم. فأوجد لكم،» (إرميا ٢٩: ١٣، ١٤). وقال يسوع: «اسالوا تعطوا،» (لوقا ١١: ٩). وكما هو الحال مع الكنز المخفي، يريد الله منا أن نسأل، ونبحث، ونكتشف كل الثروات التي تقدمها علاقته معنا. يوجد سر مختفٍ عنا! صحيح. إلا أن هذا السر يمكن أن يعمق رغبتنا في معرفة ثروات الله الخفية واكتشافها.

راجع السؤالين ١١. مَن هو الله؟ وكذلك ١٨. ما الذي يجعل الناس يخطئون اليوم؟

٣

ألا يتطلب التصديق في الله إيمانًا؟

يُعد الإيمان غايةً في الأهمية، لكن كثيرين يسيئون فهمه؛ اعتقادًا منهم أنه يعني «التخلص من عقولهم»! ولكن «الإيمان» في الكتاب المقدس ليس كذلك.

وعلى الرغم من وجود حُجج هامة للغاية تؤكد وجود الله، سنغطيها في هذا الكتاب، أليس التصديق في الله حقًّا مسألة إيمان؟ أفلا ترتبط جميع الأسئلة الدينية بعالم الإيمان؟

الثقة واليقين

يقول الكتاب المقدس: «وأما الإيمان فهو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى» (العبرانيين ١١: ١). إن واحدًا من الأسئلة الوجيهة المطروحة هو: «مِن أين تأتى الثقة واليقين؟» والواقع أن كليهما يأتي من المعرفة، أو الأدلة على الأمور المرجوة، أو التي لا تُرى. إنها معرفتك بالشيء، والتي تسمح لك بالثقة فيه. كما أن رؤية الأدلة تزيد من الثقة في إيمانك. لذا فالإيمان في الكتاب المقدس ليس إيمانًا أعمى، يعمل بدون سبب، وإنما يقين يبحث في وعن الأدلة. وهذا من الأسباب التي جعلت رسل الرب يسوع يسجلون العديد من الآيات والمعجزات التي صنعها يسوع: «وأما هذه (الآيات) فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه» (يوحنا ٢٠: ٣١).

على سبيل المثال: هل تعلم أنك تمارس الإيمان في كل مرة تركب فيها طائرة؟! نعم. فأنت تضع ثقتك في قائد أو قائدة الطائرة دون أن ترى أحدًا منهم، ولا تخشى أو تشعر بالخوف من أنك ستكون معلقًا بالهواء على ارتفاعات مهولة من سطح الأرض. وعلى الأرجح، أنت لم ترَ أصلًا المهندسين الخبراء، والميكانيكيين، والحِرفيين الذين نفذوا تصميم الطائرة، لكنك تؤمن أن الطائرة التي تستقلها صالحة للطيران. من أين تأتى إذن بيقينك أنك ستسافر في أمان؟ بلا شك أنت قد وضعت ثقتك وإيمانك في معرفتك بسجل أداء شركة الطيران

التي ستسافر عن طريقها، وقواعد إدارة الطيران الفيدرالية التي تنظم صناعة الطيران وتراقبها. فكثيرٌ من الأدلة تثبت أن السفر مع شركتك التي اخترتها، آمن. وهذه المعرفة تقدم الثقة واليقين لإيمانك.

نريد التأكيد على نقطة أن «ثقتك تستند على المعرفة بشركة الطيران، وقواعد التشغيل الصارمة». وقد اكتسبت هذه الثقة استنادًا على الإيمان الذكي، أو ذي الدراية الواسعة، أو على الخبرة الشخصية. فإيمانك ليس مجرد إيمان أعمى، لا يتطلب معلومات أو أدلة على الإطلاق. فالإيمان في شيء بدون أدلة واضحة، تمامًا، مثل القفز في الظلام، أو المجهول. والتصرف بإيمان يُعد متأصلًا في الأدلة الواضحة، تمامًا أيضًا مثل الدخول في النور.

في العهد القديم، أرسل الله موسى إلى فرعون، قائد مصر. وقد صنع الله أعمالًا معجزية لإقناع فرعون بأن يطلق بني إسرائيل. وأخيرًا، تجاوب فرعون مع الله. لكن البراهين على قوة الله تركت تأثيرًا عميقًا على شعب إسرائيل. «ورأى إسرائيل الفعل العظيم الذي صنعه الرب بالمصريين، فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وبعبده موسى» (الخروج ١٤: ٣١).

لكن أدلة الله ليست دائمًا بهذه الصراحة. فمعظم الوقت الله مختفٍ عنا في العالم المادي، ويجب الاستمرار في الإيمان به على أية حال. لكن ذلك لا يعني عدم التأكد، أو عدم وجود قناعة راسخة تستند على أدلة. وسنقدم في هذا الكتاب، أدلة على وجود الله، وإجاباتٍ عن الأسئلة التي تتعلق بماهية الله، وما يساعد على تقديم الإيمان الراسخ.

الإيمان والأدلة يعملانِ معًا

مهما كانت الأدلة شاملة أو مقنعة، يجب أن نمارس الإيمان. عندما تزوجت (أنا شون) ستيفاني زوجتي، لم تكن لديّ معرفة شاملة أو كاملة عنها. لم أكن أعرف مطلقًا بنسبة مائة في المائة أنها شخصية تتمتع بالنزاهة. وهذا بالطبع كان مهمًا لي؛ لأني كنت أريد الزواج من شخصية تحبني بما يكفي حتى تكون مخلصة ووفية لي. لكن خلال فترة تعارفنا، تعرفت على شخصيتها

أكثر. وبالتالي اكتسبت الأدلة الكافية التي جعلتني اتخذ قرارًا حكيمًا ومطلعًا بشأن شخصيتها الأخلاقية، وتزوجتها في النهاية. غير أننا كنا نحتاج إلى اتخاذ خطوة إيمان؛ لنضع محبتنا وثقتنا في بعضنا البعض.

نادرًا ما تكون لدينا أدلة شاملة للإيمان بشيء. لكن يمكننا أن نجد أدلة كافية لنتأكد بموضوعية من مصداقية ما نؤمن به وصحته. وعندما يتعلق الأمر بالله، فإنه يود أن نكون في عَلاقة معه أكثر من أي أحد أو شيء آخر، ومفتاح هذه العَلاقة هو الثقة. لذا كلما عرفنا شخصيته وقلبه ودوافعه ورغباته، زاد يقينُنا وعمقُ إيماننا بشخصه.

يعمل كلٌّ من الإيمان والأدلة من خلال التعاون بهذه الطريقة. على سبيل المثال، عندما تأتي أوقات التجربة في حياتنا، يمكن اختبار إيمانك بالله. والتجارب والمآسي يمكن أن يختبرا إيمانك إلى أقصى حد، مثل العاصفة المدمرة التي قد تدمر بيتك، أو تُفقدك وظيفتك، أو تُصيب أحد أحبائك بمرض مريع يقضي على حياته. ومن السهل في هذه الأوقات أن تسأل «لماذا؟». وأحيانًا لا نجد إجابة مُرضية. ويمكن أن نشعر برغبة شديدة في التساؤل: «ألا يرى الله ما يحدث؟ ألا يهمه ذلك؟ لماذا لا يفعل شيئًا؟» يقول الكتاب المقدس: «لكي تكون تزكية إيمانكم، وهي أثمن من الذهب الفاني، مع أنه يمتحن بالنار، توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح،» (١ بطرس ١: ٧).

لماذا تعد «تزكية إيماننا» مهمة للغاية عند الله؟ لأن الإيمان «القوى والخالص» فيه هو إيمان ملىء بالمعرفة به. والله يريد منا أن نعرفه بصفته الإله الحقيقي أكثر من أي شيء آخر. يريد منا أن نعتمد عليه في أوقات التجربة. ويريدنا أن نعرف أنه موجود ليساعدنا مهما كان الأمر. صلى يسوع إلى الله الآب قائلًا: «وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يوحنا ١٧: ٣). وتعد معرفة الله هي الثقة بتسليم حياتنا له. وكلما عرفناه أكثر، زادت الثقة الكاملة التي نضعها فيه.[ii]

---

ii راجع السؤال رقم ١١. مَن هو الله؟

يعرف معظم الذين سمعوا قصتي الشخصية (أنا جوش) أنني سعيتُ إلى دحض المسيحية. وحاولت الكشف عن الأدلة التي توضح أن الكتاب المقدس وقصصه المدهشة مزيفة. وبالطبع أثبت فحص الأدلة ألوهية المسيح، وقيامته، ومصداقية الكتاب المقدس، خلاف ذلك. وهكذا يفترض الناس أني قبلت المسيح من خلال الطريق العقلي.

في الحقيقة، إن كل الأدلة التي وثَّقتُها في كتبي لم تُدخلني في عَلاقة مع المسيح. بكل تأكيد جذبت الأدلة المقنعة انتباهي. لكن ما قرَّبني إلى الله هو معرفتي المباشرة بحبه. وقد رأيت الحب بين مجموعة من أتباع الرب يسوع الذين كرَّسوا حياتهم لله المُحب، وبعضهم البعض. وقد أظهر الله محبته لي من خلالهم. وعندما اختبرت محبته من خلال أتباع المسيح، حدث شيءٌ لي، هو أن حياتي تغيَّرت بقوة الروح القدس عندما وضعت إيماني فيه. وقد مارست الإيمان الذي على دراية واسعة بإلهٍ أحبني بما يكفي، للدرجة التي دفعته يموت بدلًا عني.

يقول الكتاب المقدس: «ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه، لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود، وأنه يجازي الذين يطلبونه» (العبرانيين ١١: ٦). فإن كان إيمانُك في الله ضعيفًا، فإن الهدف من هذا الكتاب هو تقوية إيمانك. وإن كان إيمانُك في الله قوياً، فإن هذا الكتاب سيجعله أقوى. وكلما بحثت عن أدلة عن وجود الله، ومَن هو بالفعل، وما يحبه حقًّا، وأزلت عن نفسك كثيرًا من سوء الفهم عنه، زاد عمقُ إيمانِك فيه.

٤

هل من الخطأ أن تكون لدينا شكوك نحو الله؟

أغلبُنا يعلم أن الله يريد مِنَّا الإيمانَ به. ويود أن نضع إيماننا فيه، ونثق أنه يهتم بنا في أعماق نفسه أفضلَ اهتمام. لكن هل من الخطأ أن تكون لدينا بعض الشكوك تجاه ما يقوله الله عن وصاياه في الكتاب المقدس، أو كيف يجب أن نعيش الحياة المسيحية؟

يبدو أن إيمان يوحنا المعمدان العظيم اهتز عندما دخل السجن، وصارت الأمور مثيرة للقلق. فأرسل تلاميذه ليسألوا يسوع: «أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟» (متى ١١: ٣).

تذكر أنه الرجل الذي قال: «وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله» (يوحنا ١: ٣٤). لكن بعد أن ألقي يوحنا في السجن، لابد أنه تساءل: «لماذا لم يأتِ يسوع لينقذني، مثلما يفعل أحباؤنا عندما نواجه الصعوبات؟». لقد اختبر يوحنا المعمدان الشكَّ!

عندما تساءل تلاميذ يسوع عن هويته الحقيقية، قال لهم: «صدقوني أني في الآب والآب في، وإلا فصدقوني لسبب الأعمال نفسها» (يوحنا ١٤: ١١). لم يشعر يسوع بالاستياء لأن أتباعه كانت لديهم بعض الشكوك، أو أرادوا بعض الأدلة. لكنه استخدم الأدلة ليُثبت أنه الشخص الذي كان قد أعلن عنه. والله يريدنا أن نثق في إيماننا به، ويتعمق يقينُنا فيه. لكن وجود بعض الشكوك أحيانًا ليس خطأ بالضرورة. ومثل يوحنا المعمدان، نفتقر إلى الأدلة الكافية التي تدعم إيماننا. وهكذا يمكن أن يقوى من سعينا إلى معرفة أسباب ما نؤمن به في إيماننا، وهذا، أكرر، ليس خطأ بأيِّ حال من الأحوال.

يمكن أن ننحي العديد من شكوكنا جانباً؛ حتى يُصبح إيمانُنا أكثر ذكاءً فيما يتعلق بأدلة إيماننا وأسبابه. لكن لا تقتصر الأدلة والبراهين على أشياء مثل قيامة المسيح، وألوهيته، ومصداقية الكتاب المقدس، وهلم جرًّا. حيث توجد أدلة أيضًا عن شخصية الله، وطبيعته التي ستدعم إيماننا، وتُزيل شكوكَنا.

جاء رجلٌ إلى يسوع على أمل أن يشفى له ابنه. وقال الرجل: «««لكن إن كنت تستطيع شيئًا فتحنن علينا وأعنا.» فقال له يسوع: «إن كنت تستطيع أن تؤمن. كل شيء مستطاع للمؤمن.» فللوقت صرخ أبو الولد بدموع وقال: «أومن يا سيد، فأعن عدم إيماني.»»» (مرقس ٩: ٢٢- ٢٤)

كان لدى هذا الرجل إيمان، لكنه كان يريد مساعدةً من يسوع، إذ لم يكن يشك في أن السيد سيشفى ابنه. ربما سمع هذا الأب عن قصص المعجزات التي صنعها المعلم. ربما كان هو شخصيًّا يعرف الأعمى الذي أعاد له يسوع بصره. ربما كان له جارٌ من بين الذين أشبعهم يسوع بالخمس خبزات والسمكتين. وبالتالي كان الرجل بلا شك يؤمن أن يسوع له سلطان أن يشفى ابنه، لكن كان السؤال الأهم بالنسبة له: هل سيهتم يسوع بأن يشفى ابني؟

أحيانًا ما تدور شكوكُنا حول إيماننا في طبيعة الله ورحمته. هل يهتم، بما يكفي، بشفاء ابني؟ هل يود تلبية احتياجاتي المادية؟ هل يحفظ سلامتي؟ ومن المهم معرفة وإدراك أن الأدلة التي تثبت أن قلبه يهتم بمساعدتنا، تزيل شكوكنا.[iii]

أخذ يسوع ذات مرة غفوة في القارب أثناء عبور بحر الجليل مع تلاميذه. وهبَّت عاصفة شديدة، وظنَّ التلاميذُ أنهم سيغرقون؛ لذا قاموا بإيقاظ يسوع الذي انتهر الريح، فتوقفت العاصفة. «ثم قال لهم: «أين إيمانكم؟»» (لوقا ٨: ٢٥). يبدو أن العاصفة هي ما كان يشغل عقول التلاميذ ومشاعرهم. أبعدهم ذلك عن الثقة في يسوع، وتسليم الموقف له. بالطبع كان يسوع يريد منهم أن يؤمنوا بأن له القدرة والسلطان على تهدئة العاصفة، وأنه يهتم بما يكفي بسلامتهم. كان يريد منهم الإيمان فيه.

كما قال يسوع أيضًا لتلاميذه إنه لا داعي للقلق بشأن احتياجهم للطعام واللباس. وأكد لهم أن الله يهتم بالطيور والزنابق، «فكم بالحري يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان؟»» (لوقا ١٢: ٢٨). ومرة أخرى يريد يسوع من أتباعه التركيز على

---

iii راجع السؤالين ١١. مَن هو الله؟

طبيعة قلبه التي تعتني وتسدد الاحتياجات. لكن هموم الحياة، وعدم الشعور بالأمان، يمكن أن يُثيرا بسهولة شكوكهم. ويمكن أن يتسببا في شكنا نحن أيضًا.

إن تركيزنا على طبيعة قلب الله الذي يسدد احتياجاتِنا، ويحمينا، تسمح لنا باتباع وصية بطرس: «ملقين كل همكم عليه، لأنه هو يعتني بكم» (١بطرس ٥: ٧). إن المستقبل غير معروف، وحياتُنا مليئة بالشك وعدم الأمان. وعلى الرغم أن التساؤل عَمَّا ستسفر عنه الأمور، في طبيعتنا، فإنه يمكن أن تزول شكوكُنا عندما نضيف المعرفة أو الأدلة، إلى جانب قلب الله الذي يعتني بنا. ورغم أنه ليس خطأ أن تكون لدينا بعضُ شكوكٍ من نحو الله، فإنه يريد أن يزيل هذه الشكوك؛ حتى نستطيع الثقة فيه بشأن ما يعترض طريقنا.

٥

ما هي البراهين والأدلة المتاحة بشأن وجود الله؟

تؤمن الغالبية العظمى من الناس في أمريكا وحول العالم بوجود الله. وعند سؤالهم عن الأسباب الوجيهة لإيمانهم، يقول كثيرون: «عالم جميل مصنوع بدقة مثل هذا العالم لم يأتِ للوجود عن طريق الصدفة». وهم على حق في ذلك. لكن كيف نصيغ هذه الإجابة البديهية في حُجة أو دليل على وجود الله فعلًا؟

يقول الكتاب المقدس: «فإن ما لا يُرى من أمور الله، أي قدرته الأزلية وألوهيته، ظاهر للعيان منذ خلق العالم، إذ تدركه العقول من خلال المخلوقات،» (رومية ١: ٢٠). لا يحتاج الله أن يَظهر في صورة مادية لإثبات وجوده؛ لأن ما لا يُرى من أمور الله ظاهر للعيان، ويقدم دليلًا كافيًا على وجود الله.

كل شيء يتوافق

نشأت (أنا شون) في مدينة جبلية تُدعى جوليان بكاليفورنيا. وكنت دائمًا ما أستمتع بالمشي في الممرات الجبلية، والتنزه لمسافاتٍ طويلة في الغابات. وقد علَّمتُ أطفالي الصغار استشكافَ الغابات.

لنفترض أني كنت أتنزه مع ابني سكوتي (Scottie). وبعد ساعتين من التنزه، يقول لي سكوتي: «أبي لقد تعبت، وأشعر بالعطش.» فإذ بنا نلمح ما يُشبه مبنى خلال الأشجار. وبينما نقترب منه، نرى كوخًا مثاليَ المظهر وسط الغابة. وقد تُرِك البابُ مفتوحاً على مصراعيه.

يالطبع سنشق أنا وسكوتي طريقنا إلى الكوخ. ويا لدهشتنا: أسمع الموسيقي المفضلة لي. وتظهر لعبة الفيديو «وي» المفضلة لسكوتي على شاشة التلفاز. ونرى علامة على الثلاجة مكتوب عليها «بداخل الثلاجة المشروبات المفضلة».

فيسرع سكوتي ويفتح الثلاجة ويأخذ مشروب «سييرا ميست». ويقول لي قبل أن يحتسي مشروبه: «هل تصدق هذا يا أبي؟ هذا مدهش للغاية، أليس كذلك؟!».

ما الذي يمكنك استنتاجه من كل ذلك؟ هل يمكن أن تحدث كل هذه الأمور عن طريق الصدفة البحتة؟ يبدو أن شخصاً ما كان يعلم أننا قادمون، فجهز الكوخ، والموسيقى، ولعبة الفيديو، والمشروبات المفضلة. إنه يفكر فينا!

على الرغم من هذا الاكتشاف الرائع للكوخ، فالحقيقة أن كوكب الأرض أكثر روعة. وكما حدث في قصة الكوخ، يبدو كما لو أن شخصًا قد أعدَّ بعناية عالمنا، وهو يضعنا في اعتباره.

تعتمد قوانين محددة للطبيعة على ثوابت محددة تسمح بوجود البشر في عالمنا. ويُقدِّر العلماء، بتحفظ، عدد قوانين الفيزياء، بحوالي ثماني عشر قانونا، تعمل بانسجام تام؛ حتى يكون الكون وكوكب الأرض صالحًا للحياة المعقدة. وعلى سبيل المثال، توجد قوانين الجاذبية، وقانون بقاء الطاقة، والديناميكا الحرارية، والقوة النووية الشديدة، والقوى الكهرومغناطيسية، وهلم جرا. فإذا تغيَّر أو تفاوت قليلًا أيٌّ من هذه القوانين، فإن الحياة لن تكون ممكنة في هذا الكون.

دعونا نفكر في القوة النووية الشديدة التي تحافظ على تماسك نوى (مراكز) الذرات معا. حيث تقوم بروتونات ونيوترونات الذرة داخل النواة باستبدال الجسيمات الصغيرة. وتتماسك البروتونات معًا عن طريق القوة الشديدة، على الرغم من تنافر شحناتها الموجبة في الطبيعي. وهكذا تبقى الذرة سليمة.

لكي نرى إحدى نتائج القوة النووية الشديدة، سنأخذ إنتاج شمسنا من الطاقة النووية كمثال. «تحرق» الشمس، وتُنتج طاقة للحفاظ على كوكب الأرض، عن طريق دمج ذرات الهيدروجين معًا. وعندما تندمج ذرتان من الهيدروجين، تتحول ٠,٧ ٪ من كتلتيهما إلى طاقة. لكن ماذا لو كانت نسبة المادة المتحولة إلى طاقة أقلَ قليلًا؟ لو كانت المادة المتحولة ٠,٦ ٪ بدلًا من ٠,٧ ٪، لن يندمج البروتون مع النيوترون، ولن يتألف الكون سوى من الهيدروجين وحده. ولن يوجد كوكب الأرض لنعيش عليه، ولا شمس لتدفئته!

ماذا لو كانت المادة المتحولة إلى طاقة أكبر قليلًا، ولتكن ٠,٨ ٪؟ حينها سيحدث الاندماج بسرعة شديدة، ولن يبقى أيُّ هيدروجين. وهذا سيعني أيضًا أن الحياة بالصورة التي نعرفها لن تكون موجودة. إن الكون الذي نعيش فيه متوافق بدقة شديدة، لدرجة أن ذرات الهيدروجين المتناهية في الصغر عندما تندمج مع بعضها البعض يجب أن تتحول ما بين ٠,٦ ٪ و٠,٨ ٪ من كتلتها في صورة طاقة.[١]

ويمكن تقديم عشراتٍ من هذه الأمثلة التي توضح أن الكون الذي نعيش فيه متوافق بدقة، لدرجة غير معقولة. ومن المستحيل أن يكون قد نشأ «بالصدفة». يبدو الأمر كما لو أن كائنًا ذكيًّا قد أعدَّ كوكب الأرض، ووضع عبارة ترحيب تقول: «لقد صممت هذا الكوكب خصيصًا لكم».

لا يشعر أولئك الذين يؤمنون بإله الكتاب المقدس بالاستغراب عند اكتشاف التوافق الدقيق للكون. في الواقع، هذا بالضبط ما نتوقعه إن كان موجودًا! يقول الكتاب المقدس: «إنه (يسوع) ضياء مجد الله وصورة جوهره. حافظ كل ما في الكون بكلمته القديرة» (العبرانيين ١: ٣). تتطلب فكرة الروايات التي تنسب خليقة العالم بكل تعقيداته ودقته إلى «الحظ» أو «الصدفة» إيمانًا أكثر بكثير من الاعتقاد بأن يوجد خالق أعد ذلك كلَّه لنا!

السماوات تحدث بمجد الله، والفلك يخبر بعمل يديه. يوم إلى يوم يذيع كلامًا، وليل إلى ليل يبدي علمًا. لا قول ولا كلام. لا يسمع صوتهم. في كل الأرض خرج منطقتهم، وإلى أقصى المسكونة كلماتهم. جعل للشمس مسكنًا فيها،» (المزامير ١٩: ١- ٤).

قدَّم لنا «الإله» غير المنظور البرهان على وجوده في الكون المعروف، في ما يمكن رؤيته بأعيننا، واستنتاجه بعقولنا. ويمكن فحص الأدلة على وجود الله من خلال ما نسميه «حُججًا» على وجوده. وتوجد أربع حجج رئيسة هي حُجة السبب الأول، وحُجة التصميم، وحُجة القانون الأخلاقي، وحُجة التجربة الشخصية. وسنناقش هذه الحجج الأربع في الأسئلة الأربعة القادمة.

٦

ما هي الحُجة الأولى لوجود الله؟

عندما كنت (أنا شون) طفلًا، كثيرًا ما تساءلتُ: «كيف جاء كلُّ شيءٍ إلى حيز الوجود». وكنت أعتقد: «طالما أن الكون له بداية، يجب أن شخصًا أو شيئًا قد جاء بهذا الكون إلى حيز الوجود». وبدا لي أن هذا الشخص يجب أن يكون الله. وهذا هو جوهر حُجة السبب الأول (First-Cause Argument) لوجود الله التي يُشار إليها أيضًا بالحُجة الكونية (Cosmological Argument).

يتمثل افتراض هذه الحُجة في أن كل ما له بداية يجب أن يكون لوجوده سبب. وإذا عُدتَ بالزمن قديمًا بما فيه الكفاية، ستعرف السبب الأول، وهو الله الخالق. وفي الواقع هذه الحُجة لها ثلاث فرضيات:

١- كل ما له بداية لابد من سبب لوجوده.

٢- الكون له بداية.

٣- إذًا يوجد سبب لوجود الكون.

جاءت الفرضية الأولى والثانية بنقطتهما، جزئيًّا، من القانون الثاني للديناميكا الحرارية. ويقول هذا القانون إن «الكون يستنفد كل طاقته الفاعلة». فإذا لم تكن لهذا الكون بداية، أي إنه أزليٌّ، سيكون قد استنفد بالفعل طاقته الفاعلة. على سبيل المثال، ستحرق شمسُنا طاقتَها، وسوف تنضب يومًا ما. لذا فالشمس جنبًا إلى جنب مع كل النجوم في الكون، لها بداية. (تتوفر الكثير من الأدلة العلمية الأخرى على أن الكون له بداية، بما في ذلك زحزحة الأحمر، وإشعاع الخلفية الكونية الميكروي، والآثار المترتبة على نظرية النسبية العامة لأينشتاين).

تستند الفرضية السببية على منطق بسيط أن شيئًا ما موجود الآن (الكون الذي نعيش فيه)، ولا يمكن أن ينشأ شيءٌ ما من لا شيء. صحيح أن اتحاد الأشياء يمكن أن ينتج عنه شيءٌ جديد. على سبيل المثال، اتحاد جزيئين من الهيدروجين

بجزيء من الأكسجين سينتج عنه ماء، لكن ذلك لا يأتي من لا شيء. والاستنتاج الذي نخرج به أن كل ما له بداية لابد أن له سببًا. والكون بالفعل له بداية.

تستند الفرضية الأخيرة على الفرضيتين السابقتين: إذًا الكون له سبب. والسؤال الذي يطرح نفسه: «مَن الذي تسبَّب في السبب؟» ويمكن أن نستخلص إجابتنا من أصل الزمن والفراغ والمادة. ومن المنطقي استنتاج أنه بما أن الزمن والفراغ والمادة لم يكونوا موجودين قبل بداية الكون، فلابد أن يكون «المُسبِّب» للكون أزليًّا، وغير محدود، وغير مادٍ. فضلًا عن ذلك، لا يمكن أن يكون «المُسبِّب» ماديًّا، أو خاضعًا لقانون الطبيعة؛ لأن ذلك من شأنه أن يفترض أن وجوده يتطلب زمنًا وفراغًا ومادة. ويقودنا التفكير في هذه النقاط معًا إلى استنتاج أن «المُسبِّب» الأزلي، وغير المحدود، وغير المادي، هو الله.

وتعد حُجة السبب الأول من الحُجج القوية. وباختصار، بما أن الكون له بداية، فلابد أن شيئًا أو شخصًا قد تسبب في ذلك. وهذا الشخص هو الله. قد لا يقودنا ذلك على طول الطريق إلى إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، لكنه يستبعد الإلحاد؛ باعتباره تفسيرًا معقولًا لأصل الكون.

٧

ما هي حُجة التصميم على وجود الله؟

تُعرَف حُجة التصميم أيضًا بالحُجة الغائية (Teleological Argument). وهذه الحُجة توضح أن الحياة وقوانين الطبيعة، وكل الكون، يُظهرون تعقيدًا محددًا وضخمًا، وكذا علامة التصميم. وبالتالي يجب أن يكون الكون قد أتى من مصمم ذكي.

منذ وقتٍ مضي، تعاونتُ (أنا شون) مع دكتور ويليام ديمبيسكي (William Dembski) في كتابة كتاب بعنوان «فهم التصميم الذكي» (Understanding Intelligent Design). وفي هذا الكتاب، تناولنا الكثير من حُجج التصميم الذكي. والجزء المتبقي من الإجابة عن هذا السؤال مقتبسٌ من هذا الكتاب.[iv]

إن سبقت لك زيارة ديزني لاند، أو عالم ديزني، ستلاحظ حتمًا عند المدخل، مساحة مزروعة بالزهور المصممة على إحدى الضفاف المنحدرة، تشكل ألوانُها وتصميمُها تشابهًا واضحًا مع الميكي الماوس. لا يمكن أن ينسب أحد أعجوبة هذه الحديقة إلى أنها مجرد صدفة. لماذا؟ أولًا: لأن كل هذه الزهور والألوان لا تنمو وحدها بالصدفة لكي تصنع شكل الميكي ماوس الشهير. وتوضح أنواع الزهور العديدة، وترتيبها المتأنق، مدى تعقيدها. وهذا التعقيد هو نفسه الذي يقول إن من غير المحتمل أن تكون هذه الزهور قد نمت نموًّا عشوائيًّا، أو وُضِعت صدفة بمثل هذه الطريقة المعقدة.

ثانيًا، بجانب تعقيدها، صُمِّم النظامُ الزهري بطريقة محددة. إذ نجد أن العين مصنوعة من بعض الزهور، والأنف مصممة من البعض الآخر، وكذا الفم والأذان. وتُظهر هذه الصورة لنا نمطًا مستقلًا ومحددًا.

يسمي هذا المزيج من التعقيد (أو عدم الاحتمالية)، والتحديد (أو الأنماط المفروضة باستقلال)، «بالتعقيد المحدد»؛ الذي يُعد علامة على الذكاء، مثلُه

---

iv ناشرون دار هارفست ٢٠٠٨

في ذلك مثل بصمة الأصبع أو التوقيع، حيث يحدد نشاط عامل الذكاء. وتُظهر مساحات الزهور الضخمة في ديزني لاند، تعقيدًا محددًا، وتقودنا للاعتقاد بأن منسقًا ذكيًّا للحديقة هو السبب في ذلك. هل يوجد مثل هذا النمط في الطبيعة؟

ما الذي تعلنه الخلية الواحدة الحية؟

كلما كان الشيء أكثر تعقيدًا، زادت فرص اتباع هيئته لأنماط محددة، وزدات مؤشرات وجود مصمم ذكي. على سبيل المثال، تتكون وحدة بناء الحياة البشرية من خلية حية واحدة. هل بها تعقيد معين؟

دعنا ننظر بإيجاز لخلية مكبرة ملايين المرات. سنجد على سطحها ملايين الفتحات مثل الكوة الموجودة في سفينة. لكنها ليست مجرد فتحات أو كوة، بل تعمل على تنظيم تدفق ومرور المواد من وإلى الخلية. وتُظهر الخلايا هندسية نانوية ذات مجال واسع، وتعقيدًا بالكاد بدأ العلماءُ الكتابة فيه. وقد صف فرانسس كريك (Francis Crick)، واحد من مكتشفي تركيب الحمض النووي (DNA)، الخلية «بمصنع دقيق يعج بنشاط كيميائي منظم وسريع». وكان ذلك في بداية عام ١٩٨٠. ويعتقد العلماء الآن أن الخلية مدينة تُدار آليًّا.

وداخل الخلية نجد عددًا كبيرًا من المواد الخام تتحرك ذهابًا وإيابًا بمكينات تُشبه الإنسان الآلي، وتعمل في انسجام. في الواقع، يتحرك العديد من الأجسام المختلفة في انسجام تام خلال قنوات تبدو لا نهاية لها. ويعد مستوي التحكم في هذه الحركات المصممة بحق مثيرًا، وهذه مجرد خلية واحدة. وفي الكائنات الحية الأكبر، لا بد أن تعمل الخلايا معًا لأداء الوظيفة المناسبة لهذه الأعضاء، مثل القلب والعيون والأكباد والأذان، وهم بدورهم لا بد أن يعملوا معًا لصالح حياة الكائن الحي.

ولو نظرنا بتدقيق أكثر داخل الخلية، سنجد خيوط الحمض النووي (DNA) التي تختزن المعلومات الضرورية لبناء البروتينات. ولهذه البروتينات نفسها أنظمة جزيئية معقدة وملحوظة. يتكون البروتين المثالي من قليل من مئات الأحماض

الأمينية المرتبة في تسلسل منظم بدقة، يدخل في تركيب ثلاثي الأبعاد منظم تنظيمًا عاليًا. ويُمكِّن هذا التركيبُ البروتينَ من أداء وظيفته داخل الخلية.[٢]

ولا يستطيع علماء الأحياء اليوم وصف العمليات الحيوية داخل الخلية بدون مقارنتها بالماكينات وغيرها من الهندسة الحديثة. ويرجع السبب في ذلك إلى أن كل خاصية من خواص التكنولوجيا الحديثة يمكن أن نجدها في الخلية.

وبينما نلاحظ بعناية ما يحدث من الأعمال الداخلية في الخلية، يظهر لنا شيءٌ واضح: إذ نجد تعقيدًا وتكلُّفًا يقلان من الابتكار التكنولوجي للإنسان اليوم. وهذا ما يجعل العديد من العلماء اليوم يستنتجون أن أفضل شرح للخلية هو التصميم الذكي.

الحياة تتطلب كمية هائلة من المعلومات

تعد المعلومات هي السمة الأساسية للحياة. وتحتاج الحياة حتى في أبسط خلايا البكتيريا إلى كم هائل من المعلومات لأداء وظيفتها. وتُخزِّن المعلومات الخلوية في الحمض النووي (DNA). يحمل الحمض النووي للخلية الواحدة في جسم الانسان ما يعادل ٨٠٠٠ كتاب من المعلومات. ويحتوي جسم الإنسان على ١٠٠ تريليون خلية، وكلٌّ منها يحوي خيوطًا من الحمض النووي (DNA)، يمكن أن يصل طولُها، وهي غير ملتفة، إلى أمتارٍ ثلاثة. وإذا اتصلت خيوط الحمض النووي (DNA) للإنسان البالغ ببعضها البعض سيصل طولها بطول المسافة من الأرض للشمس ٧٠ مرة![٣]

بفرض عدم وجود مصمم ذكي، كيف ستجمع كل المعلومات اللازمة للحياة؟ توصل الداروينيون للإجابة عن هذا السؤال: بتوافر الوقت والمادة والفرصة الكافية. كل شئ يمكن أن يحدث!

لكن كم من الوقت والمادة والفرص متاح فعليًّا؟ في بداية ١٩١٣، ناقش عالم الرياضيات الفرنسي إيميل بوريل (Emile Borel) فكرة إذا سُمِح لمليون قرد بالكتابة عشر ساعات يوميًّا، فمن المحتمل أن يُعاد إنتاج كل الكتب الموجودة في مكتبات العالم.

يـرى بوريـل أن العالـم قديـم وهائـل جـدًّا، لكنـه ليـس قديمًـا وكبيـرًا بمـا يكفـي.

دعونـا نضيِّق النطـاق الـذي يتحـدث عنـه بوريـل، وبـدلًا مـن التركيـز علـى العديـد مـن الكتـب، دعونـا نركـز علـى أعمـال شكسـبير. وهنـا نطـرح سـؤالًا: كـم عـدد القـرود، وكـم مـن الوقـت يحتاجونـه، لإنتـاج واحـدة مـن أعمـال شكسـبير، أو حتـى عـدد قليـل مـن الأسـطر؟

وقـد قـام سـيث لويـد (Seth Lloyd) العالـم فـي فيزيـاء الكـم الحسـابية بمعهـد ماساتشوسـيتس للتكنولوجيـا، بالعمـل علـى إجابـة هـذا السـؤال. ووفقًـا للويـد، ففـي الكـون المـادي المعلـوم، لا يمكـن سـوى إنتـاج ٤٠٠ بايـت مـن المعلومـات المحـددة مسـبقا؛ أي مـا يعـادل سلسـلة مـن ٤٠٠ صفـر وواحـد. ويبلـغ ذلـك سلسـلة مـن ٨٢ مـن الحـروف والمسـاحات العاديـة. لذلـك، أطـول قطعـة مبدئيـة فـي مونولـج هاملـت يمكـن إنتاجهـا بالصدفـة، بالأخـذ فـي الاعتبـار حجمهـا، وتاريخهـا المزعـوم بملايين السـنين، هـي السـطران الآتيـان: «أكـون أو لا أكـون هـذا هـو السـؤال. أيكـون العقـل أسـمى وأنبـل إذا احتمـل...».

مـن الواضـح أن ظاهـرة الصدفـة محـدودة فـي قدرتهـا علـى شـرح سـمات محـددة فـي الكـون. حيـث لا تقـدر كل الصـدف فـي الكـون المعلـوم أن تكتـب سـطرين مـن أعمـال شكسـبير عشـوائيا، ناهيـك عـن كتـاب كامـل! [٤]

إذا كانـت الصدفـة لا تسـتطيع أن تنتـج بمـرور الوقـت المعلومـات الكافيـة لكتابـة سـطرين مـن أعمـال شكسـبير، فكيـف تقـدر أن تخلـق التعقيـدات المحـددة لخليـة بدائية واحـدة حتـى؟ تتطلـب الخليـة الواحـدة مئـات الآلاف مـن البايـت مـن المعلومـات المرتبـة والمتسلسـلة بدقـة فـي الحمـض النـووي (DNA). لذلـك يواجـه مَـن ينكـر وجـود المصمـم الذكـي مهمـة مسـتحيلة فـي شـرح كيفيـة ظهـور معلومـات فـي خليـة واحـدة بسـيطة لكائـن حـي مـن عمليـة غيـر موجهـة عميـاء. تتطلـب الحيـاة ببسـاطة الكثيـر مـن المعلومـات حتـى تحـدث عشـوائيًّا. علـى سـبيل المثـال:

تفـوق قـدرة الحمـض النـووي (DNA) علـى تخزيـن المعلومـات أقـوى أنظمـة الذاكـرة الالكترونـة المعروفـة اليـوم بكثيـر. لاحـظ عالـم الأحيـاء الجزيئيـة مايـكل

دينتون (Michael Denton) أن المعلومات الضرورية في الحمض النووي لبناء البروتين في كل أنواع الكائنات الحية المختلفة التي عاشت «يمكن أن توضع في معلقة صغيرة، ويظل هناك متسع لجميع المعلومات الموجودة في كل الكتب المكتوبة من قبل.» لكن الحمض النووي (DNA) لا يختزن المعلومات فحسب، بل ينتج معلومات بالاتحاد مع الأنظمة الخلوية الأخرى. لذلك يشبه بيل جيتس (Bill Gates) الحمضَ النووي «ببرنامج كمبيوتر»، على الرغم أنه أكثر تقدما من أية برمجيات اخترعها البشر.

لذلك يعد المصمم الذكي أفضل شرح للمعلومات التي يحتويها الحمض النووي (DNA). تخيل نفسك تسير على الشاطئ، ولاحظت عبارة تقول «شون يحب ستيفاني» مكتوبة على الرمال. ماذا سوف تستنتج؟ من الممكن أن تفكر أن شون أو ستيفاني أو بعضاً من الغرباء المثرثريين قد كتب ذلك، لكن لن يخطر ببالك أنها صدفة أو ضرورة أو مزيج من الاثنين. وذلك لأن الرياح والمياه والرمال ببساطة لا ينتجون معلومات لها معنى. يعد الاستنتاج المعقول أن مصممًا ذكيًا قد كتب ذلك. إذا كان هذا استنتاجنا لرسالة بسيطة من ١٥ حرفًا، فكم يكون استنتاجُنا لأصل الخلية الذكي الذي يتطلب مئات آلاف البايت من المعلومات.[٥]

عندما ننظر لكل التعقيد الهائل والتصميم المحيط بنا سنواجه اختيارًا. إما أن الكون بأكمله قد صُمِّم من خلية واحدة، أو قد نشأ كله بالصدفة. إذًا الكون إما إنه إنتاج تصميم ذكي، أو مجرد صدفة.

٨

ما هي حُجة القانون الأخلاقي لوجود الله؟

تتمتع كل ثقافة إنسانية بقانون أخلاقي. ونجد ذلك في سجلات الثقافات السابقة، وكذا في جميع المجتمعات الحالية. والمدهش أن أخلاق جميع هذه المجتمعات تتشابه، مهما كانت متباعدة إلى حدٍّ كبير في الوقت أو الجغرافيا أو التطور الثقافي أو المعتقد الديني. وتختلف الأخلاق الواردة بالوصايا العشر اليهودية، وشريعة حمورابي البابلية، والتاوية الصينية، والعهد الجديد في المسيحية في التفاصيل والتركيز، ولكن ليس في الجوهر.

على سبيل المثال، تسمح بعض المجتمعات للأفراد بالقتل من أجل الانتقام، في حين يصر آخرون أن الإعدام حق من اختصاص الدولة. وتسمح بعض المجتمعات بالحرية في العلاقات الجنسية قبل الزواج، أو تسمح للرجال بالزواج من أكثر زوجة واحدة، في حين يمنع البعض الآخر هذا السلوك. لكن الجميع لديهم قواعد تنص على أن الناس لا يمكن أن يقتلوا الآخرين عندما يرغبون في ذلك، أو ينخرطوا في ممارسة الجنس مع أي شخص يريدونه. وتحمي هذه القوانين الحياة الإنسانية، وهي قوانين تحكم الزواج والعلاقات الأسرية، وتدين السرقة، وتشجع على فعل الخير للآخرين.

على مر التاريخ، نفذت المجتمعات القواعد الأخلاقية بصرامة، في حين تهاون البعض الآخر في تنفيذ نقطة واحدة أو أكثر. وفي أي مجتمع، يقاوم البعض فرض الأخلاق على سلوكهم. وعندما يكتسب عدد كبير من هؤلاء الأشخاص القوة أو الدعم الكافي لموقفهم، يمكن أن يحدث خلل كبير للحس الأخلاقي العالمي بعد ذلك، كما حدث في ألمانيا على يد هتلر، أو قبول قتل الأطفال الإناث في بعض البلدان الآسيوية. ولم تدُم هذه الانحرافات طويلًا؛ لأن بعض العناصر داخل المجتمع أو خارجه كانت تغضب غضبًا شديدًا بما فيه الكفاية، وتثور ضد السلوك المنحرف، وتوقفه. وعلى الرغم من مثل هذه الاختلافات والتشوهات، يظهر نفس الحس الأساس للأخلاق أينما يعيش البشر معًا، كما لو أن العديد من الفرق الموسيقية المختلفة تعزف من القطعة الموسيقية المدونة (النوتة) نفسها، لكنهم يُكيِّفون النغمات الموسيقية؛ لتتوافق مع الأدوات الخاصة بهم.

ما تفسير ذلك؟

كيف نفسر القانون الأخلاقي الموجود دائمًا في جميع المجتمعات؟ كيف يمكن تفسير الحس الأخلاقي الذي يعطى بالفعل لكل شخص عاقل على وجه الأرض حِسًّا فطريًّا للتمييز بين الصواب والخطأ؟ لماذا لا بد أن يتواجد مثل هذا الحس الأخلاقي بأي حال من الأحوال؟[٦] بدون الرجوع إلى مصدر أعلى، وبالتحديد الله، ما الذي يمكن أن يفسر الحس الأخلاقي المشترك في كل الجنس البشري بأكمله على مدار التاريخ؟ من أين يمكن أن تأتي الأخلاق؟ إذا قلنا إن حدسنا الأخلاقي له أصل في عملية الصدفة العمياء مثل التطور، فإن الأخلاق هي خدعة عشوائية طبيعة حتى تجعلنا نطيع. ويترتب على ذلك أن الأخلاق ليس لها أساس موضوعي، وسيكون من الخطأ الحكم على سلوك معين بأنه خطأ موضوعيًّا من خلال حدسنا العميق. هل هذا هو الثمن الذي تود أن تدفعه؟ نعتقد أنه يوجد تفسير أفضل من ذلك؟

تشير أحد معايير الحق والنقاط الأخلاقية الموضوعية والعالمية والثابتة إلى وجود إله شخصي وأخلاقي.

في رواية «الإخوة كارامازوف»، يقول الروائي الروسي فيودور دوستويفسكي باقتدار: «إذا لم نؤمن بخلود الروح، لن نسلك بالفضيلة على الإطلاق، وبالتالي فكل شيء مباح وجائز.» وبعبارة أخرى، لو لم يكن الله موجودًا كأساس للأخلاق، فكل شيء مباح. وهذا لا يعني أن الملحدين أو غير المؤمنين سيسلكون بالضرورة بدون التمسك بالفضائل أكثر من المؤمنين، لكن هذا يعني أننا سنفقد الأساس الموضوعي الذي يساعدنا في اتخاذ قرارات أخلاقية. لو لم يكن الله موجودًا، سنفقد القدرة والحق في الحكم على النازيين، وعلى أي شخص آخر نختلف معه أخلاقيًّا؛ لأنهم يعتقدون أنهم على صواب، في حين أننا نعتقد أنهم على خطأ. بدون قانون أعلى من البشرية، من الذي سيحدد الحق الأخلاقي؟ لو لم يكن يوجد مصدر أعظم من البشر، ستكون الأخلاق وهمًا من الصعب تفسيره.[٧]

لكن إن كان الله موجودًا، سيكون لدينا أساس للأخلاق الموضوعية. يجب أن نكون صادقين؛ لأن الله صادقٌ وأمين. وتنبع الأخلاق من شخصية الله وطبيعته،

وهي مُلزمة للخليقة. وتشير حقيقة القوانين الأخلاقية الموضوعية إلى وجود مُشرِّع للقوانين الأخلاقية. ولا يمكن تفسير الأخلاق الموضوعية تفسيرًا صحيحًا سوى في وجود الله وشخصيته.

هل يمكن وجود أخلاق مستقلة؟

مع ذلك، يجادل البعض على وجود الأخلاق باستقلال عن الله، حيث يؤكدون أننا لا نحتاج إلى الله حتى نكون صالحين أو أشرار. لكن هذا التأكيد يقدم مشكلة: كيف نحدد الخير أو الشر بدون وجود معيار أخلاقي متعال؟ على سبيل المثال، جرت العادة على فهم الشر بأنه انحراف عن الخير. وكما أن الغش والاحتيال يشير ضمنًا إلى معيار الأمانة، يتضمن الشر أيضًا معيار الخير. قال سي. أس. لويس مقولته المشهورة بأن الشكوى من انحناء العصا لن يكون معقولًا سوى في ضوء مفهوم الاستقامة. وبالمثل، لن يوجد هناك شرٌّ سوى إن كان أولًا خير.

لكن إن لم يكن الله موجودًا، فما هو الخير؟ بدون الله، سيكون علينا أن نكتشف معنى الخير بأنفسنا، وسيختفي مفهوم الخير الموضوعي.

ويصبح الخير مصطلحًا نسبيًّا في هذه الحالة؛ لأنه ببساطة سيكون: «أي شيء يريده أي واحد منا في لحظة معينة، أو أي تطور قد يوصلنا بدون تفكير أو فهم إلى الإيمان».

ويعد الوجود المعترف به عالميًّا للقيم الأخلاقية الموضوعية أحد الأسباب القوية للإيمان بالله. فكِّرْ في هذه الحُجة البسيطة:

١- إذا كانت القيم الأخلاقية الموضوعية موجودة، فلابد أن الله موجود.

٢- القيم الأخلاقية موجودة.

٣- إذًا لابد أن الله موجود.

نعلم أن القيم الأخلاقية الموضوعية موجودة بالفعل. وبالتالي فلسنا بحاجة إلى الاقتناع بذلك. وعلى سبيل المثال، من الخطأ تعذيب الأطفال للتسلية. يعرف جميع العقلاء ذلك. لذلك، بما أن القيم الأخلاقية الموضوعية موجودة، فلابد أن الله موجود أيضًا. وتقدم هذه الحُجة الأخلاقية دفاعًا قويًّا يؤكد أن الله شخصية أخلاقية موجودة بالفعل.

٩

ما هي حُجة التجربة الشخصية لوجود الله؟

بعد فترة ليست طويلة من إيماني بالمسيح، دخلت (أنا جوش) في مناظرة مع رئيس قسم التاريخ في جامعة ميدويسترن (Midwestern University). وقولت له كيف أن علاقتي الجديدة مع الله قد أعطت لحياتي معنى وهدفًا. فقاطعني قائلًا: «يا سيد ماكدويل، أنت تحاول أن تقول لي إنك تؤمن بالله، وإنه قد غيَّر الكثير في حياتك حقًّا؟ هل يمكن أن تقدم بعض التفاصيل؟» بعد أن استمع لي أشرح ذلك على مدار ٤٥ دقيقة، قال لي أخيرًا: «حسنا، هذا يكفي!»

يسألني البعض: «كيف تعرف أنك أصبحت مسيحيًّا؟ كيف تعرف أن الله حقيقي؟» لأنه قد غير حياتي. وهذا التحول هو إحدى الطرق التي تؤكد صحة إيماني، ووجود إله حقيقي وشخصي.

أنا متأكد أنك قد سمعت البعض يتحدثون عن «الصاعقة» التي أصابتهم مع أول خبرة دينية لهم. حسنًا، لم يكن الأمر مثيرًا بالنسبة لي لهذه الدرجة. بعد صلاتي، لم يحدث شئ. أعني ذلك تمامًا. وحتى الآن لم تظهر لي فجأة أجنحة أو هالة. في الواقع، بعد أن التزمت بالحياة مع الله، شعرت بأن الأمور صارت للأسوأ. وشعرت فعلًا أنني ساترك إيماني. وتساءلت ما هذا الشيء البغيض الذي تورطت فيه؟! وشعرت حقًّا أني تجاوزت الحدود، وأتصرف بغرابة شديدة (وأنا متأكد أن البعض يعتقدون ذلك).[٨]

لم يحدث تغيير فوري في حياتي، لكنه كان تغييرًا حقيقيًّا، بسبب ما حدث بعد إيماني بحوالي من ستة إلى ثماني عشر شهرًا. وأعرف أني لم اتجاوز الحدود بتصرفاتي الغريبة، بل قد اختبرت الله الذي غيَّر كل شيء.

يُعد الاختبار الشخصي مع الله دليلًا على حقيقته ووجوده. قد يطعن البعض في هذا التأكيد قائلين إن «مثل هذا الاختبار يمكن بسهولة أن يكون خداعًا أو

وهمًا عاطفيًّا أو نفسيًّا». لكن أولئك الذين اختبروا مقابلاتٍ حقيقية شبيهة بما قد اختبره بولس الرسول في طريقه إلى دمشق يعرفون أفضل. يعرفون أنها مقابلة حقيقية. وتعد هذه الاختبارات هي أحد التأكيدات العديدة التي قالها بولس:

«فإذا كنتم للمسيح، فأنتم إذن نسل إبراهيم وحسب الوعد وارثون» (غلا ٣: ٢٩).

قد لا يكون الاختبار الشخصي مع الله في حد ذاته دليلًا مقنعًا للآخرين، لكن ذلك لا يجعله غيرَ حقيقي. وبالإضافة إلى الأدلة أو البراهين على وجوده، يمكن أن يقدم الاختبار الشخصي شهادة قوية على أن الله «موجود، وبأنه يكافيء الذين يسعون إليه» (العبرانيين ١١: ٦).

١٠

إن كان الله هو نبع كل شيء، فمَن أوجد الله إذن؟ أو ما سبب وجوده؟

يبدو أن كل شيء موجود كانت له بداية في وقتٍ ما. متى إذن كانت بداية الله؟! على الرغم من وجود أدلة كثيرة جديرة بالثقة على وجود الله، لا يزال سؤالٌ أساس يُطرح: مَن وراء وجود الله؟ أو مَن الذي سبَّب وجوده أو ما سبب وجوده؟! في مناقشتنا لحُجة السبب الأول لوجود الله، لعلكم تتذكرون الفرضيات الثلاث الآتية:

١- كل ما له بداية لا بد من سبب لوجوده.

٢- الكون له بداية.

٣- إذًا لوجود الكون سبب.

من المهم توضيح أنه ليس مؤكدًا أن كل شيء موجود يحتاج سببًا لوجوده. بل بالأحرى أن كل شيء يبدأ في الوجود يجب أن يكون له سبب.

لذا فالإجابة المختصرة عن هذا السؤال هي «لا شيء». فالله أزلي، مما يعني أن له حياة بلا بداية أو نهاية. لم تمر لحظة لم يكن الله موجودًا فيها، ولن ينتهي أبدًا. ولأن الله دائمًا ما كان موجودًا، فلن يحتاج إلى مسبب. وهذه ليست مناشدة خاصة من المسيحيين؛ لأن تعريف الله يشير إلى كائن موجود بذاته (واجب الوجود). فإن كان يوجد مُسبِّب لوجود الله، فلن يكون إذن هو الإله؛ لأن هناك أعلى منه تسبب في وجوده. ولتفهم ذلك لا يمكن أن نسأل باستمرار سوى عن سبب الأشياء التي يمكن أن تسبَّب من حيث المبدأ مثل الكراسي والكتب وأجهزة الكمبيوتر. لكن بما أن تعريف كلمة الله يعني أنه موجود بذاته (بلا مسبب)، وبالتالي فهو ليس من الأشياء التي يمكن أن يكون لها سبب؛ لذلك، فإن سؤال: «ما أو مَن هو مسبب الله؟» في الواقع بلا معنى.

عندما نتوقف للتفكير في ذلك، نجد أن عقولنا المحدودة لا تستطيع فَهم، أو حتى التعبير عن شيء أو شخص موجود دائمًا منذ الأزل. ونميل إلى التفكير في أن كل شيء له بداية. لكن في ذلك: «لو لم يُخلَق العالَم أبدًا، هل سيكون من الصواب أن ١ + ١ = ٢؟» بالطبع نعم. نستطيع فهم أن مثل هذه الأشياء هي حقًّا رياضية، وقوانين المنطق موجودة دائمًا، وبالتالي فهي بلا مسبب.

على الرغم أن عقولنا لا تستطيع إدراك كيف أن الله أزلي، فهذا لا يعني أنه من غير المنطقي الإيمان بذلك. من الطبيعي أن نشعر بأن شيئًا من خارج الكون قد تسبب في وجوده. ويعد الله الخالق الأزلي هو التفسير الأكثر منطقية. يقول الكتاب المقدس: «ألم تعلموا؟ ألم تسمعوا؟ إن الرب هو إله سرمدي وخالق أقاصي الأرض» (إشعياء ٤٠: ٢٨).

١١

مَن هو الله حقًّا؟

يقول الكتاب المقدس إن الله روح (يو ٤: ٢٤)، ولا أحد يقدر أن يرى الله ويعيش (خر٣٣: ٢٠). فكيف يمكننا كبشر وليس أرواح أن نعرف مَن هو الله؟

صحيحٌ أن الله مختفٍ عنا بطرق عديدة [٧]، لكنه ما يزال يُظهر نفسه لنا بدرجة كبيرة. فقد أعلن عن نفسه للخليقة كلها. وعندما نتأمل العالمَ من حولِنا، نرى لمحة من وعن طبيعة الله المبدعة، والتجارب التي بلا نهاية، وعظمته غير المفهومة.

لقد أظهر الله نفسه لنا في الكتاب المقدس أيضًا. ومن خلال كلمته المكتوبة والموثوق بها، يمكن أن نخرج برؤية عميقة عن:

١- صفاته غير المحدودة.

٢- قلبه العَلاقاتي.

٣- طبيعته المقدسة.

ولأن الله قد أعلن عن نفسه لنا في شخص يسوع المسيح، فقد رأينا الله في الجسد. ويمكننا أن نرى بطريقة قوية للغاية كيف يريد أن يرتبط بنا، ويكون في عَلاقة معنا. وكلُّ واحدةٍ من هذه الأبعاد المذكورة عن الله تعطينا فهمًا أكبر عَمَّن هو الله بالفعل.

الله له صفات غير محدودة

إن واحدةً من الأشياء التي نعرفها عن الله أنه «غير محدود»، وهو يتخطى فهمنا كبشرٍ محدودين. ماذا يقول الكتاب المقدس لنا؟

إن الله سرمدي. بمعنى أنه له حياة غير محدودة، بلا بداية أو نهاية (إشعياء ٤٠: ٢٨). فقد خلق الله الزمن، وأشرك نفسه داخل الزمن، لكنه موجود منذ الأزل خارج الزمن. لم تمر لحظة قط، لم يكن الله غيرَ موجودٍ فيها، ولن

---

٧ راجع السؤال رقم ٢. لماذا يبدو الله مختفيًا عَنَّا؟

يحدث ذلك أبدًا. لا يمكننا حقًّا أن نستوعب مفهوم أن الله أزلي وموجود بذاته، لكن هذا جزء من كينونة الله.

الله كلي القدرة. والكتاب المقدس يكشف عن إلهٍ قدير، أو ما نطلق عليه كلي القدرة. فإن أراد أن يفعل شيئًا، معناه أنه قادر على فعل هذا الشيء. قال الملك داود: «عظيم هو ربنا، وعظيم القوة» (المزامير ١٤٧: ٥). إن الله القدير الذي يسود على الكون له قدرة على معرفة المستقبل، وجعله يحدث.

«اذكروا الأوليات منذ القديم، لأني أنا الله وليس آخر. الإله وليس مثلي. مخبر منذ البدء بالأخير، ومنذ القديم بما لم يفعل، قائلا: رأيي يقوم وأفعل كل مسرتي» (إشعياء ٤٦: ٩، ١٠).

الله كلي الوجود. وليس لمعرفته وقوته حدود؛ لذا نقول إن الله كلي الوجود. ومرة أخرى، ككائناتٍ محدودة، لا نستطيع تصور أنه يمكن أن يكون كلي الوجود، في الزمان والمكان، الخاصين بالكون الذي نعيش فيه، وكذلك خارجهما (بما يتجاوزهما) (إرميا ٢٣: ٢٣، ٢٤). ومع ذلك، فهذا جزء من كينونة الله.

والله لا يتغير. وبطبيعته يمكن الاعتماد عليه؛ لأنه غير قابل للتغيير. وهذا يعني أنه لن يتردد أو يكذب. سيفعل دائمًا ما يقوله (راجع المزامير ١٠٢: ٢٦، ٢٧؛ العدد ٢٣: ١٩). ولا يتغير يُقصد بها أنه ثابت وراسخ ومضمون بلا حدود، يمكنك الثقة فيه؛ لأنه دائمًا سيكون عند حسن الظن.

الله كلي المعرفة: معرفة الله غير محدودة، فهو يعرف كلَّ شيء، الماضي والحاضر والمستقبل؛ لذا فهو كلي المعرفة (إشعياء ٤٦: ٩، ١٠؛ المزامير ١٣٩: ١). خذ بعين الاعتبار كل شيء موجود داخل الكون المعروف. وبرغم أن الكون موجودٌ منذ آمادٍ بعيدة، فإن ذلك لا يمكن أن يؤثر على معرفة الله.

حتى الآن وصفنا الله بأنه أزلي، وقدير، وكلي الوجود، وكلي المعرفة، ولا يتغير قط. وهذا يعطينا إدراكًا لبعضٍ من سماته الرائعة، وغير المحدودة، لكن هذه كلها لا توضح الجانب الشخصي له، أو جوهره. ومن هذا المستوى الشخصي يمكن أن نفهم عنه المزيد.

الله له قلب عَلاقاتي

الله غير المحدود قال هذه الكلمات: «ليكن...» فخلق العالم (التكوين ١: ٣). ورأى أن ذلك حسن. لكن عندما خلق، لم يفعل ذلك بمفرده؛ لأن (الأقانيم) الثلاثة لذات الله كانوا موجودين. يقول الكتاب: «وروح الله يرف على وجه المياه» (التكوين ١: ٢). كما أن الابن يسوع المسيح كان موجودًا هناك أيضًا. يقول الرسول بولس: «هو (المسيح) صورة الله الذي لا يُرى، والبكر على كل ما قد خلق، إذ به خلقت جميع الأشياء: ما في السماوات وما على الأرض، ما يرى وما لا يرى، أعروشا كانت أم سيادات أم رئاسات أم سلطات. كل ما في الكون قد خلق به ولأجله» (كولوسي ١: ١٥، ١٦). ويتضح من الله المثلث الأقانيم أنه كائن عَلاقاتي. وقبل وجود البشر، وقبل كوكب الأرض، أو الكون، أو الزمن كما نعرفه، كان الله أزليًّا بصفته كائنًا عَلاقاتيا.

سجَّل موسى في الكتاب المقدس أن هذا الخالق الأزلي «اسمه غيور جدًّا» (الخروج ٣٤: ١٤). ويقول الكتاب المقدس في تعريف طبيعة هذه العَلاقة بأن «المحبة تصدر من الله... لأن الله محبة» (١ يوحنا ٤: ٧، ٨). يمكننا قول إن الله موجود بصفته كائنًا عَلاقاتيا مُحِبًّا.

أحد الأسباب التي جعلت الله يخلق الإنسان هو أن يكون في عَلاقة معه.[vi] ولم يفعل ذلك لأنه في احتياج لعَلاقة لأنه بالفعل موجود في عَلاقة. لكنه خلقنا كائناتٍ عَلاقاتية؛ لأنه في جوهر قلبه كائن عَلاقاتي مُحب، يريد أن يرتبط بنا. والخليقة خُلِقت بالكامل بسبب خيره ونعمته العَلاقاتية.

وصف الملك داود قلب الله المحب قائلًا:

«الرب رحيم ورؤوف، طويل الروح وكثير الرحمة» (المزامير ١٠٣: ٨).

«إلى دور فدور أمانتك. أسست الأرض فتثبتت... كثيرة هي مراحمك يا رب» (المزامير ١١٩: ٩٠، ١٥٦).

---

vi راجع السؤال رقم ٢٠. لماذا خلق الله البشر؟

«المجري حكما للمظلومين، المعطي خبزًا للجياع. الرب يطلق الأسرى. الرب يفتح أعين العمي. الرب يقوم المنحنين. الرب يحب الصديقين. الرب يحفظ الغرباء. يعضد اليتيم والأرملة، أما طريق الأشرار فيعوجه» (المزامير ١٤٦: ٧- ٩).

«يشفي المنكسري القلوب، ويجبر كسرهم» (المزامير ١٤٧: ٣).

هل تدرك الصورة؟ يركز قلب الله العَلاقاتي على الآخرين. وقلب الله رحيم ورؤوف وكثير الرحمة وأمين وعادل ويعضد الآخرين ويهتم بهم. ويوفر قلبه النقي الحماية والخير والأمان والفرح والراحة والرفاهية والصحة للذين يحبهم، كما يهتم بتوفير ذلك للآخرين أيضًا مثل خاصته. كما يقدم محبة معطاءة وواثقة وغير أنانية ومضحية وآمنة ومخلصة وللمنتهى.

لكن ماذا فعل الله لأجل البشر عندما لم يصدقوا في محبته، وفكروا بكل جوارحهم في مصلحتهم، وتمردوا عليه؟ بدلًا من أن يتركهم في وحدتهم وانفصالهم عنه منغمسين في خطاياهم، مَد يدَه بكل حبٍّ؛ ليقربهم ويستردهم له.

«الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح» (أفسس ٢: ٤، ٥).

كانت التكلفة بالطبع هي موت ابنه بعد كل أنواع التعذيب بوحشية على الصليب. كان الابن البار والقدوس على استعداد أن يتألم ويموت؛ حتى يسترد عَلاقاته معك ومعي. وهذا هو قلب الله العَلاقاتي.

طبيعة الله المقدسة

من المستحيل التعبير عن سمات الله غير المحدودة أو استيعابها. لا يمكن إدراك قلبَه المُحب العَلاقاتي. لكنه خلقنا كائنات عَلاقاتية، وعلى الرغم أننا لا نستطيع، بأي حالٍ من الأحوال، فهمَه باستفاضة، فإننا مشدودون له بقوة، ويمكننا الارتباط به ارتباطًا حقيقيًّا. فقد خلقنا لكي نبادله الحب، ونحب الآخرين كما نحب أنفسنا. وعلى الرغم أننا كبشر نفشل في محبة الآخرين محبة كاملة، الله

لا يفشل. لأن الله العَلاقاتي غير المحدود قدوس وكامل وبار. ويقول عنه الكتاب المقدس: «هو الصخر الكامل صنيعه. إن جميع سبله عدل. إله أمانة لا جور فيه. صديق وعادل هو» (التثنية ٣٢: ٤).

يكشف الكتاب المقدس عن الإله القدوس الكامل (إشعياء ٥٤: ٥؛ الرؤيا ٤: ٨)، والعادل (الرؤيا ١٦: ٥)، والبار (المزامير ١١٩: ١٣٧). وهذه السمات لم يقرر أن يفعلها. وبعبارةٍ أخرى، لم يقرر بكل بساطة أن يعمل الأشياء المقدسة والعادلة والبارة، لكن هذه السمات في كينونته. وكل ما هو بار وقدوس وعادل وخيِّر مشتق من طبيعته الأساسية. يقول الكتاب المقدس: «كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق، نازلة من عند أبي الأنوار، الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران» (يعقوب ١: ١٧).

هذا أمرٌ مهم للغاية! فما يفشل الناس في فهمه عن الله هو أنه كلي الصلاح. وكل ما هو مثالي، وبار، وجميل، وكامل، وله معنى، وملىء بالرضا والفرح والسعادة يأتي بسببه ومنه. فالله صالح في طبيعته وجوهره. يقول الكتاب المقدس: «الرب صالح ومستقيم» (المزامير ٢٥: ٨). كما أنه «القدوس الحق» (الرؤيا ٣: ٧). ويقول النبي إشعياء عنه: «قدوس، قدوس، قدوس رب الجنود» (إشعياء ٦: ٣). ويؤكد كاتب المزمور ذلك: «الرب بار في كل طرقه، ورحيم في كل أعماله» (المزامير ١٤٥: ١٧). ويضيف أيضًا «بأن الرب مستقيم. صخرتي هو ولا ظلم فيه» (المزامير ٩٢: ١٥).

تجعل طبيعة الله المقدسة وغير المتغيرة من المستحيل أن يكذب، أو يفعل ما يتعارض مع صلاحه المطلق (رومية ٣: ٣، ٤؛ العبرانيين ٦: ١٦- ١٨). لذا فالله هو المعيار المطلق لتحديد الصواب والخطأ، والخير والشر، والفرح الحقيقي والسعادة. والحياة التي تتشبه بالله تعني اختبار البر والصلاح والفرح الذين يقدمهم الله. والحياة البعيدة عنه تعني اختبار الشر والمعاناة وغياب الخير والصلاح.

إذا بدأنا بالفعل في فهم مَن هو الله، يجب الاعتراف بأنه غير محدود، وبالتالي نكون في رهبةٍ له، ونعترف بطبيعته العَلاقاتية ونقبله، ونُقِر بصلاحه المطلق ونعبده. قال الملك سليمان في حكمته: «بدء الحكمة مخافة الرب، ومعرفة القدوس فهم» (الأمثال ٩: ١٠).

يعد امتلاك الحكمة، فهم الله والكتاب المقدس والحياة نفسها، مغلقًا في معرفة سمات الله غير المحدودة، وقلبه العَلاقاتي المُحِب، وطبيعة صلاحه المطلق.

لذا يمكننا أن نبدأ في رؤية الحياة بوضوح، وتكون لنا نقطة مرجعية لاتخاذ الخيارات الأخلاقية الصحيحة، ونحن نضع ذلك كله مركزاً للجاذبية الأخلاقية.

١٢

مَن هو الروح القدس؟

عندما نفكر في الله، قد نتصور أنه الخالق القوي الجالس على عرشه في السماء. وقد نعتقد أنه في صورة بشرية مثل يسوع مخلص العالم. لكن هل نراه باعتباره الروح القدس؟ مَن هو الله في شخص الروح القدس؟

يعتقد البعض أن الروح القدس هو ببساطة سلطة الخير مثل «قوة الخير» في الكون. لكن الروح القدس في الحقيقة هو شخص، وهو الأقنوم الثالث من الثالوث (الله الآب، والله الابن، والله الروح القدس). أشار يسوع إلى الروح القدس بصفته شخصًا عندما قال: «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم» (يوحنا ١٤: ١٦، ١٧).

ويعد الروح القدس واحدًا من الأقانيم الثلاثة لله. ويتمتع الروح القدس بعقل ومشاعر، كما أنه يتخذ قرارات. يقول الكتاب المقدس: «ولكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح،» (رومية ٨: ٢٧). كما يعلمنا الكتاب أيضًا أن الروح يستطيع أن يشعر. ويقول الكتاب: يجب أن «لا تُحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم ليوم الفداء» (أفسس ٤: ٣٠). كما أنه يأخذ قرارات بشأن الذين ينالون مواهب روحية. «ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه، قاسمًا لكل واحد بمفرده، كما يشاء» (١كورنثوس ١٢: ١١). كما قال الرسول بطرس إلى حنانيا: «لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس» (أعمال ٥: ٣). لم يكذب حنانيا على «قوة مؤثرة»، بل على شخص، حيث أضاف بطرس قائلًا: «أنت لم تكذب على الناس بل على الله» (أعمال الرسل ٥: ٤).

عندما أرسل الله الروح القدس، أصبح هو ممثل الله الذي يتعامل ويتفاعل معنا. وعندما «انسكب» الروح القدس على شعب الله في يوم الخمسين (أعمال ٢)، يجوز لنا القولُ إن «الله» لم يُصبح اسمًا فحسب، بل فعلًا أيضًا. وبدلًا من تَعلُّم ماهية الله، أو اتباع تعاليم يسوع شخصيًّا، اختبرنا حضور الله لحياتنا فعليًّا

من خلال الروح القدس. إنه الله النشيط والمؤثر الذي يحثنا على العمل. إن الله الروح القدس هو الذي يعطى الحياة، ويحبنا، ويشجعنا، ويحترمنا، ويتلمذنا، ويعزينا، ويؤيدنا، ويقوم بعدد لا يُحصى من الأفعال الأخرى.

إن الروح القدس ديناميكى ونشيط. وشخص الله كلى الوجود. ونختبره في حياتنا اليومية. فضلًا عن ذلك، فقد أعلن عن نفسه من خلال قدرتنا على تقديم الحب كما يحب الله. يقول يوحنا: «الله لم ينظره أحد قط. إن أحب بعضنا بعضًا، فالله يثبت فينا، ومحبته قد تكملت فينا. بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا: أنه قد أعطانا من روحه» (١ يوحنا ٤: ١٢، ١٣). إن الروح القدس حقيقي. وقد برهن عن نفسه بقوة «يوم الخمسين» منذ ألفي عام. ويعد حضوره برهانًا إضافيًّا أننا ننتمي إلى الله، «الروح نفسه أيضًا يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله» (رومية ٨: ١٦).

١٣

ما المقصود بأن الله ثالوث؟

ارتبك الكثيرون بسبب فكرة أن الله واحد في أقانيم ثلاثة. ما المقصود بأن الله ثالوث؟

يعلمنا الكتاب المقدس أن الله واحد. وهذا ما يُسمَّى «التوحيد»: «اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد» (التثنية ٦: ٤). واقتبس يسوع هذه الآية في مرقس ١٢: ٢٩، وأكد أن الله واحد. فكيف يمكن أن يَدَّعي الناس أن الله ثالوث؟ البعض يتساءل: «كيف يمكن أن يكونوا ثلاثة آلهة، وهم إله واحد؟

كون الله ثالوثًا لا يعني أنه يوجد ثلاثة آلهة؛ فالله موجود في ثلاثة كيانات، لكنه كائن واحد؛ وكل واحد من الثالوث، أي الآب والابن والروح القدس له كيان منفصل، لكنه يتمتع بالطبيعة الكاملة لله.

يسوع هو ابن الله. لكن ذلك لا يعني أن يسوع مخلوق من الله. في الواقع، يعلمنا الكتاب المقدس بوضوح أن يسوع كان دائمًا مع الله (يوحنا ١: ١- ٣). أعلن يسوع نفسه أنه منذ الأزل مع الآب. وعلى أساس هذا الإعلان، تآمر القادة اليهود على قتله قائلين إنه: «قال أيضًا إن الله أبوه، معادلًا نفسه بالله» (يوحنا ٥: ١٨). كما أعلن بولس الرسول عن ألوهية يسوع: «ولهم الآباء، ومنهم المسيح حسب الجسد، الكائن على الكل إلهًا مباركًا إلى الأبد. آمين.» (رومية ٩: ٥). ويؤكد كاتب رسالة العبرانيين أن الله: «هو بهاء مجده، ورسم جوهره، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته...» (العبرانيين ١: ٣).

لذلك فالله الآب موجود مع الله الابن:

«الذي (المسيح) هو صورة الله غير المنظور، بكر كل خليقة. فإنه فيه خلق الكل: ما في السماوات وما على الأرض... الذي هو قبل كل شيء، وفيه يقوم الكل،» (كولوسي ١: ١٥- ١٧).

ويشير بولس إلى كلٍّ من الآب ويسوع بصفتهما الله: «وإنما أظهر كلمته في أوقاتها الخاصة... نعمة ورحمة وسلام من الله الآب والرب يسوع المسيح مخلصنا» (تيطس ١: ٣، ٤). وهكذا يتضح أن الآب هو الله، والابن هو الله أيضًا.

كما أن الروح القدس أيضًا هو الله. وأدرك الرسول بطرس ذلك عندما وضَّح الخطية التي ارتكبها حنانيا في كنيسة أورشليم (أعمال ٥: ٣، ٤). وكان الروح موجودًا منذ الأزل مع الآب والابن، كما كان حاضرًا في وقت الخليقة (راجع التكوين ١: ٢). وقال يسوع عنه: «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيًّا آخر ... وأما المعزي، الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم» (يوحنا ١٤: ١٦، ٢٦). وكذلك قال بولس: «الذي فيه أيضًا أنتم، إذ سمعتم كلمة الحق، إنجيل خلاصكم، الذي فيه أيضًا إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس،» (أفسس ١: ١٣). وصف يسوع الروح الموجود بالقدوس لأنه هو روح الله القدوس، الشخص الثالث من الله الثالوث.

في الختام، صاغت الكنيسة عقيدة الثالوث بإخلاصٍ لتعاليم الكتاب المقدس عن طبيعة الله؛ في محاولةٍ للتعبير عن الحق.[vii]

---

vii لمزيد من المعلومات عن الثالوث راجع الفصل السادس وثلاثين في كتاب «الحق الثابت» (The Unshakable Truth) تأليف جوش ماكدويل وشون ماكدويل

١٤

هل الله ذكر أم أنثى؟

إن طرحَ سؤالٍ مثل «هل الله ذكر أم أنثى» يشبه إلى حد ما سؤالنا: هل يستخدم يده اليمنى أم اليسرى؟ أو هل لغته الأولى هي الإنجليزية أم الإسبانية؟ لكن في الحقيقة، الله غير محدود ببشريتنا أو عالمنا المادي. فقد خلقنا على صورته، لكنه مختلف عنا في العديد من الطرق.

قال يسوع: «اَللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا» (يوحنا٤: ٢٤). صحيح أن الله أخذ صورة إنسان، وجاء في شخص يسوع الذي كان بالطبع ذكرًا، لكن الله لم يكن موجودًا في كائن مادي، أو جسدي. لذلك فهو لا يمكن أن يكون ذكرًا أو أنثى، كما عرفنا الأجناس البشرية.

في الوقت نفسه، اختار الله أن يُلقب نفسه، مستخدمًا تشبيهًا ذكوريًّا وأنثويًّا! نعم! لقد أشار بالطبع إلى نفسه بصفته الآب، ويسوع بصفته ابن الله، وكلاهما تشبيه ذكوري. لكن يسوع تكلم أيضًا عن نفسه بصيغة المؤنث عندما قال: «كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَم تُرِيدُوا» (متى ٢٣: ٣٧).

أشار البعض إلى أن الانجذاب الطبيعي بين الذكر والأنثى منبثق من طبيعة الله. وتتبع جاذبية الرجل تجاه المرأة، والمرأة تجاه الرجل، من وحدة وكمال إله يحمل سمات كلٍّ من الذكر والأنثى. وتفترض هذه الفكرة أن الله في طبيعته يضم السمات «الموجبة والسالبة» في الذكر والأنثى. وعند وضع كل هذه الصفات منفصلة في كل جنس على حدى، ينجذبون مثلهم في ذلك مثل انجذاب الأقطاب المغناطيسية المتضادة. على الأقل، هذه إحدى النظريات التي توضح سبب انجذاب الذكور للإناث.

مـع ذلـك، اختـار الله فـي مقاطـع مختلفـة مـن الكتـاب المقـدس أن يصـف نفسـه أولًا بعبـارات ذكوريـة، علـى الرغـم أنـه ليـس ذكـرًا ولا أنثـى. وسـواء كان المولـودون مـن الله ذكـورًا أو إناثًـا، فهـو يشـير إلينـا كأبنـاء نلنـا الخـلاص (رومية ٨: ١٤)، وكعروسـة (أفسـس ٥: ٢٥- ٢٧)، وهيكلـه القـدوس (افسـس ٢: ٢١، ٢٢)، وورثـة معـه (رومية ٨: ١٧)، وكهنـوت ملوكـي، وأمـة مقدسـة، وشـعب اقتنـاء (١بطـرس ٢: ٩).

علـى الرغـم أن الله ليـس ذكـرًا ولا أنثـى، فإنـه يسـتطيع أن يرتبـط بنـا كرجـال ونسـاء علـى حدٍّ سـواء؛ لأنـه يحبنـا بالتسـاوى، وأعطـى لنـا جميعًـا الفرصـة لنكـون فـي عَلاقـة معـه.

١٥

هل يمكن أن يرتكب الله خطيةً مثل الغيرة؟

بكل تأكيد الغيرة خطية. على الأقل بالنسبة لنا نحن البشر، أليس كذلك؟ لكن الكتاب المقدس يقول إن الله إله غيور! فكيف يحدث ذلك إن كان الله لا يخطئ؟

الله كلي الصلاح. يقول الكتاب المقدس: «هو الصخر الكامل صنيعه. إن جميع سبله عدل. إله أمانة لا جور فيه. صديق وعادل هو» (التثنية ٣٢: ٤). فضلًا عن ذلك، يعلمنا كاتب العبرانيين أن الله ألزم نفسه بقسمٍ عندما وعد إبراهيم. والأمران يعتمدان على شخصيته التي بلا خطية، وطبيعته التي لا تتغير. يقول الكتاب: «حتى بأمرين عديمي التغير، لا يمكن أن الله يكذب فيهما،» (العبرانيين ٦: ١٨). لو أخطأ الله سيكون ذلك ضد طبيعته وشخصيته، وهو ما لا يمكن فعله.[viii]

إذن كيف يمكن أن يكون الله غيورًا مثلَ البشر؟! وإن كان لا يمكن أن يخطيء، فلماذا يقول الكتاب إنه إله غيور؟

يقول بولس: «لأنكم بعد جسديون. فإنه إذ فيكم حسد وخصام وانشقاق، ألستم جسديين وتسلكون بحسب البشر؟» (١كورنثوس ٣: ٣). يوضح الرسول أن الامتلاك بأنانية، وإثارة الخلاف والنزاع مع أولئك الذين لديهم شيء تحتاجه، خطية واضحة. لكن في رسالته التالية، كتب إلى أهل كورنثوس قائلًا: «فإني أغار عليكم غيرة الله،» (٢ كورنثوس ١١: ٢). وهنا الرسول بولس خائف أن «تفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح» (٢ كورنثوس ١١: ٣)، وبالتالي فهو يغار على المؤمنين مثله في ذلك مثل الله الغيور. من الواضح أن بولس لا يدين «غيرة الله». فما نوع الغيرة التي يُظهرها الله؟

---

viii للمزيد عن شخصية الله الخالصة راجع السؤال رقم ١١. مَن هو الله؟

يقول سفر الخروج: «فإنك لا تسجد لإله آخر؛ لأن الرب اسمه غيور. إله غيور هو» (الخروج ٣٤: ١٤). كان يشوع أيضًا يُعلم بني إسرائيل أن إلههم «إله قدوس وإله غيور هو» (يشوع ٢٤: ١٩). ويُقصد «بإله غيور» في العِبرية «el qana»، التي تدل على العاطفة القوية والحماسة. وعلى الرغم أن كلمة غيرة في الإنجليزية تُستخدَم في الغالب بمعنى شرير، فالكلمة في العِبرية تُعبِّر عن العاطفة والاهتمام، وكثيرًا ما ترتبط بالعَلاقة الزوجية. ويرى الله أن بني إسرائيل شريكه في الزواج، وأراد منهم أن يحبوه مثلما تكرس الزوجة نفسها بالكامل لزوجها. ولهذا قال لهم أن لا يعبدوا إلهًا آخر غيره. كان الله يريد منهم أن يحبوه وحده، وليس سواه، محبة نقية، وبعاطفةٍ ملتهبة.

مثال بشري

بصفتنا كائناتٍ عَلاقاتية، يمكننا الارتباط بمَن يريد أن يحظى وحده بالمحبة. ما الذي ستشعر به إن قال لك شخصٌ إنه يحبك محبة حقيقية ثم خانك بعد ذلك؟! ليس من الخطأ أن تشعر بالأسى من شخص خانك، أليس كذلك؟ أليس من الطبيعي أن تريد أن تكون «رقم واحد» في حياة شخص تربطك به عَلاقة؟

تخيل أني (أنا شون) أقضي شهر العسل. وبينما نتمشى أنا وزوجتي ستيفاني برومانسية على الشاطئ، التفتُ إليها قائلًا: «حبيبتي، اخترتك لتكوني من أفضل عشرة نساء أحبهم من بين أكثر من ثلاثة مليارات امرأة على هذا الكوكب». ثم تضع زوجتي التي تزوجتها حديثًا رأسها على كتفي ناظرة إلى عيني: «يا شون شكرًا لك. هذا يعني الكثير لي. من المثير أن تفكر بأني من النساء العشر اللواتي تحبهن! مجرد وجودي في القائمة هذا يكفيني يا حبيبي!».

هل يمكنك تخيل هذا الرد؟ أنا لا أستطيع. ستشعر ستيفاني بالإهانة والأذى والضيق لو أحببتُ امرأةً واحدة غيرها، ولها الحق في ذلك. بكل تأكيد تريد زوجتي أن تكون رقم واحد في حياتي. كما يجب أن أكون رقم واحد في حياتها. وأنا وأنت خُلِقنا وصُمِّمنا بهذه الطريقة عندما يتعلق الأمر بالعَلاقات.

فقد صممنا الله لكي نسعى بغيرة نحو محبة شريك أو شريكة الحياة دونما آخر.

لأن الله كلي الصلاح والقداسة، فغيرته ليست، بأي حال من الأحوال، غيرة أنانية. فالله يعلم أننا عندما نحبه وحده من كل القلب والنفس والقدرة، فإن ذلك يسمح لنا أن نختبر الفرح والمعنى اللذين نبحث عنهما في الحياة. لهذا السبب يدعونا أن نعبده وحده. ليس من الخطأ أبدًا أن يريد الله بغيرة أن نقدم له وحده حبَّنا وتكريسَنا. في الواقع، حبُّه الغيور نموذجٌ لنا ينبغي اتباعُه.

١٦

مِن أين يأتي الشر؟

لا بد وأن الشرَّ يأتي من مكانٍ ما، أليس كذلك؟ يقول الكتاب المقدس: «إله أمانة لا جور فيه. صديق وعادل هو» (التثنية ٣٢: ٤). ويقول أيضًا: «كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان» (يو ١: ٣). فإذا كان خالقُ كل شيء صالحًا وبلا خطية، كيف وُجِد الشرُّ إذن في العالم؟! ومِن أين أتى؟! نحن نعرف أن الشر موجود، وأن الله مَن خلق كلَّ شيء. فكيف نقول إن الله لم يخلق الشر؟ وإن لم يخلقه، فمِن أين جاء؟

الله كلي الصلاح والقداسة، ولم يخلق سوى كائناتٍ مثالية. ولكنه أعطى الخليقة البشرية القدرة على الاختيار، أو الإرادة الحرة. كان البشر الأوائل يتمتعون بفرصة لاختيار الثقة في الله، والإيمان بأنه صالح، ويتخذ القرارات التي في صالحهم، عندما يعطيهم وصية لكي يطيعوها. ولسوء الحظ استخدموا هذا الصلاح ضد الله؛ ما جلب الشرَّ إلى هذا العالم.

إمكانية حدوث الشر

هكذا نشأت إمكانية حدوث الشر من الله، ولكن بطريقة غير مباشرة. فقد جاء الشرُّ من سوء استخدام الخير، فيما يُسمَّى «بالإرادة الحرة». قد يكون الله مسؤولًا عن إمكانية حدوث الشر الموجود في العالم، لكنه كان اختيار البشر، الذي جعل من الشر حقيقة في العالم. يمكننا قول إن الله يعطي الاختيار الحر، لكن الإنسان هو مَن يقوم بهذا الاختيار الحر.

بالطبع كان الله يستطيع أن يخلق عالمًا بلا «حرية إرادة». وكان يمكن أن يكون البشر «مبرمجين» تمامًا لعمل الخير. ولكن في عالم بلا اختيارات، سيضيع المعنى الحقيقي لعبارة «أحبك». كما أن الهدف والحقيقة المُرضية للحب سيكون باطلًا، وبلا معنى، دون القدرة على الاختيار الحر. أراد الله منا اختبار حقيقة عَلاقة الحب معه. وكانت المخاطرة الكبيرة هي إمكانية حدوث الشر. ولكن

المسؤولية الكبيرة في التصرف بخصوص هذه الإمكانية تقع على عاتق البشر، وليس الله.

واقعية الشر

لذلك جعل الله وجود الشر ممكنًا، لكن البشر جعلوا حدوثه واقعًا. لكن ما الذي تسبب في اختيار البشر الأوائل للشر؟[ix] في حالة حواء، اختارت أول امرأة في التاريخ البشري أن تأكل من الشجرة التي أوصاها الله هي وزوجها آدم أن لا يأكلا منها. كان آدم وحواء أولَ زوجين يتمتعان بقوة الإرادة الحرة. وكان بإمكانهما أن يطيعا الله، ولا يأكلا من الثمرة المُحرَّمة. لكن عندما قالت الحية، أو المُجرِّب، إن الله في الواقع لا يعرف ما يقوله، استمعت إليها حواء. وقالت لها الحية أيضًا إنها ستصير مثل الله عارفة بالخير والشر. ويقول الكتاب المقدس: «فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها أيضًا معها فأكل» (التكوين ٣: ٦).

أعطى الله حواءَ كلَّ الخير، وأعطاها القدرة على الاختيار بين معرفة الصواب والخطأ وتحديد كليهما، أو السماح لله وحده بأن يكون المُحكّم الوحيد الذي يحدد الصواب من الخطأ. كان الله، ولايزال، هو صاحب السلطان في تحديد الصواب من الخطأ. ولكن حواء أرادت أن تتمتع بهذا الامتياز، وأن تكون صاحبة السلطان الذاتي، التي لها القدرة على اختيار ما تعتقد أنه الأفضل لمصلحتها.

لتلخيص الإجابة عن السؤال الذي يستفسر من أين يأتي الشر؟ وما الذي تسبب في اختيار البشر الأوائل للشر؟ اشتهت حواء حكمة الله، وتحديده السيادي لما هو في مصلحة وخير البشر. فقد أعطى الله إلى أول زوجين القدرة على الإرادة الحرة، لكنهما اختارا اتباع رغباتهما الخاصة بدلًا من رغباته. لقد وُلِد الشرُّ من اختيار الإيمان بأن الله يحرم خليقته البشرية من الخير. ونتيجة لذلك، ارتكب البشر الأوائل خطية السيادة الذاتية في عصيان وصية الخالق.

---

ix راجع السؤال رقم ١٨. ما الذي يجعل الناس يخطئون اليوم؟

١٧

ما هو الشر؟

اختبرت البشرية ،الشرَّ، لأول مرة عندما مارس أول زوجين قوة الإرادة الحرة، واختارا عدم الثقة في الله والتمرد عليه.[x] ومنذ ذلك الحين، ونحن نعلم أن الشر موجود. فما هو الشر بالضبط؟ هل الشر كيان، بمعنى أنه موجود في حد ذاته، وخارج الإرادة الحرة للإنسان؟

يوضح الكتاب المقدس أن الله خلق كل شئ (يوحنا ١: ١-٣؛ وكولوسي ١: ١٥-١٧). وإذا قبلنا حقيقة وجود الشر، فكيف يمكن القول بأن الله لم يخلقه؟ يكمن الجواب في حقيقة أن الشر ليس شيئًا أو مادة أو كِيانًا يُخِلق، لكنه فسادٌ للخير الذي صنعه الله. دعنا نشرح ذلك.

صنع الله البشر، وكان هذا حسنًا. وقد تكرر هذا عدة مرات في سفر التكوين الأصحاح الأول. وأعطى الله البشرَ، منذ البداية، متمثلين في آدم وحواء، قوة الإرادة الحرة، وكان هذا أيضًا حسنًا. وهذا يعني أن الله قد أعطاهما القدرة على «اختيار التصديق والإيمان بأنه المُحكِّم الذي يفصل بين الصواب والخطأ، وأنه كان يعرف الأفضلَ لهما عندما أوصاهما ألا يأكلا من شجرة محددة»، وكان هذا حسنًا. لكن عندما اعتقد البشرُ الاوائل أن الله لا يعلم ما هو الأفضل لهم، وهو ما أفسد الشيء الحسن، وُلِد الشر.

هكذا نرى أن الشر ليس مادة أو كِيانًا، لكنه فساد ما هو حسن وخيِّر. وهذا يعني أن الشر بمثابة طفيل على الخير. بعبارة أخرى، يعتمد الشر على وجود الخير، في حين لا يعتمد الخير على وجود الشر. وهكذا في الوقت الذي يمكن فيه وجود الخير دون الشر، لا يمكن أن نجد الشر دون الخير. ومثلما يتطلب «الالتواء» وجود «الاستقامة»، فإن وجود الشر يتطلب وجود الخير قبله.

---

x راجع سؤال رقم ١٦. من أين يأتي الشر؟

أصبح الشر حقيقة عندما:

(١) حدث رفض لِمَا قال الله إنه صواب ويستحق الطاعة.

(٢) حدثت معارضة وعصيان لله. فقد أراد الله من البشر أن يثقوا فيه ويطيعوه. وصمَّم الله كلًّا منا، في الواقع، ليعيش حياة مُشبِعة ذات معنى من خلال عبادته، والحياة معه في عَلاقة حقيقية. وعندما اخترنا عدم الثقة فيه، والبُعد عن طرقه، أصبح الشر حقيقة موجودة.

١٨

ما الذي يجعل الناس يخطئون اليوم؟

ربما سمعتَ قبلًا أشخاصًا يبررون أفعالَهم الخاطئة قائلين: «جعلني الشيطان أرتكب هذا الخطأ». والسؤال: هل يدفعنا الشيطان أو البشر أو التجربة إلى ارتكاب الخطأ؟ ما الذي يجعل البشر يرتكبون الخطية؟ ونقصد بالخطية هنا: أيَّ تفكير أو موقف أو فعل لا يعبر عن أو يتوافق مع شخصية الله وطبيعته المقدسة.[xi]

الحالة البشرية

لكي نفهم السبب الذي يجعل البشر يخطئون، نحتاج إلى فهم حالتهم. ولا نحتاج أكثر من النظر إلى أنفسنا أو أولادنا كي نفهم ذلك. إن قضيت وقتًا طويلًا حول أطفالك، يمكنك أن تشهد بأن الطفل دون أي تدريب هو نزعة مستقلة «أنا محورها». منذ مرحلة الطفولة، ويبدو أنه علينا أن نصارع للتحكم في ما نريد الحصول عليه، وبالطريقة التي نريدها. وبشكل أو آخر، هذه القيادة المستقلة لتحمل المسؤولية تكمن وراء كل صراع على السلطة، وكل تحيز وصراع وسوء استخدام لعَلاقة منذ فجر التاريخ. وينبع هذا الميل إلى الخطية من داخل كلٍّ منا. لكننا قد نتساءل، من أين هذا الدافع القوي لعمل الخطية؟

عندما واجه أول زوجين، آدم وحواء، الاختيار، كانا يعيشان في عالم مثالي، وفي عَلاقة مثالية مع الله. لكن، ولأن الله قد أعطاهما الإرادة الحرة، والقدرة على الاختيار، كانت إمكانية حدوث الشر موجودة.[xii] كان يمكن لهما الإيمان بأن وصية الله لهما بعدم الأكل من شجرة معرفة الخير والشر هي تحريم ليس به أية أنانية، وأنه يتخذ أفضل القرارات لصالحهما، لكنهما لم يصدقا ذلك!

---

xi راجع السؤال رقم ١١. مَن هو الله؟

xii راجع السؤال رقم ١٦. مِن أين يأتي الشر؟

يقول الكتاب المقدس: «من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع» (رومية ٥: ١٢). وهذا يعني أننا بدأنا حياتنا منذ الولادة بطبيعة أنانية لخدمة ذواتنا، التي قد تريد أيَّ شيء، في أي وقت. وبالتالي؛ الشيطان، أو أي شخص آخر، ليس هو مَن يجعلنا نخطئ. فالشر ليس كِيانًا خارجنا يسعى أن يغرينا بالخطية، بل إن الطبيعة الخاطئة داخلنا هي نتيجة انفصالنا روحيًّا عن العَلاقة الحميمة والمتواصلة مع الله القدوس. وهذه الطبيعة الخاطئة هي «شهوة الجسد، وشهوة العيون، وتعظم المعيشة،» (١ يوحنا ٢: ١٦). ويقول الكتاب المقدس: «لأنه حيث الغيرة والتحزب، هناك التشويش وكل أمر رديء» (يعقوب ٣: ١٦).

قد تقول «إنها ليست بهذا السوء». أليس كذلك؟!

تعد الخطية حالة فاسدة للجنس البشري بأكمله. لكن غالبًا ما نُفضِّل التفكير في أن ميولنا للخطية ليست بهذا السوء. لكن فساد البشر يمتد إلى الجوهر، ويعطيهم القدرة على الأعمال القاسية والفظة ضد الأبرياء. وعلى سبيل المثال، في الفترة من ١٩٣٢ حتى ١٩٣٣، أجبِر الملايينُ من المواطنيين الأوكرانيين على الموت جوعًا لأسباب سياسية. كما قتل النازيون بالغاز الملايين من الرجال والنساء والأطفال اليهود في معسكرات داخاو وبوخنفالد وأوشفيتز خلال الحرب العالمية الثانية. كما تعرض الآخرون في ذلك الوقت إلى تجارب طبية غريبة الأطوار على يد جوزيف منجل (Josef Mengele)، الذي اختبر النساء والأطفال خلال إجراءات التعذيب من أجل «تقدُّم الجنس الآري».

تاريخيًّا، تتضمن وحشية الحرب جميع أنواع التعذيب المروع، والاغتصاب الجماعي، والمجاعة الشاملة. وقد أرَّخت وسائل الإعلام أعمال «التطهير العرقي» في كرواتيا والبوسنة والهرسك خلال ثمانينات وتسعينات القرن الماضي. واستمرَّت زيادةُ الوعي بحالات الرعب والفزع المستمرة في السودان ودارفور. والشر البشري يحدث مؤخرًا في الأخبار اليومية. وأثناء كتابة هذه السطور «توصل تحقيق أجرته الأمم المتحدة مؤخرًا إلى أن القوات السورية

ارتكبت جرائم ضد الإنسانية بقتل مئات الأطفال وتعذيبهم، ومن بينهم مقتل طفلة لم تتجاوز العامين بالرصاص؛ حتى لا تكبر وتتظاهر ضد النظام!» [٩] وعلى مدار قرون، شهد العالم سوء المعاملة والهمجية من البشر لغيرهم من البشر.

نقول إن هذه الأعمال الفظيعة خالية من الرحمة والشفقة وأية إنسانية. لكن الحقيقة أن هذه الأعمال قد حدثت من بشر نتيجة طبيعتهم الفاسدة. إن الجنس البشري يتمتع بقدرة لا يمكن تصورها على ارتكاب الشر. وفي قلب كلٍّ منا بذور القسوة والفساد. يقول الكتاب المقدس: «الكل قد زاغوا معًا، فسدوا. ليس من يعمل صلاحًا، ليس ولا واحد» (المزامير ١٤: ٣). فالأمر برمته بسبب الخطية النابعة من داخلنا، وليس من قوى الشر الخارجية.

مع ذلك، فالأخبار السارة هي أن الله قد أرسل ابنه الوحيد لكي يغفر لنا خطايانا ويطهر قلوبنا. قال يسوع: «طوبى للأنقياء القلب، لأنهم يعاينون الله» (متى ٥: ٨).

١٩

إن كان الله مُحبًّا للغاية، لماذا لا يكون أكثر تساهلاً مع الخطية؟!

يعلم الجميع أن الله لديه مشكلة خطيرة مع الخطية. لكن لماذا لا تقل متطلباته ويزداد تفهمُه لعيوبنا؟ قد نفكر في شيء مثل «لماذا لا يكون الله أكثر تسامحًا، ويتغاضى عن نقاط ضعفنا وفشلنا؟» إن كان الله مُحِبًّا للغاية، أفلا ينبغي أن يكون أكثر تساهلًا مع عيوبنا؟

الحقيقة هي أن الله رحيم، ولكن هذا ليس تساهلًا! أولًا: لا يفهم الكثيرون خطورة الخطية، وتكلفتها الكبيرة بالنسبة لله شخصيًّا حتى يغفر خطايانا. وعندما نرى المزيج بين قداسته وعدله، نفهم رحمته أكثر. وهذا من شأنه أن يقطع شوطًا كبيرًا للإجابة عن السبب الذي يجعل الله لا يتساهل مع الخطية، لكنه في الوقت نفسه رحيم.

لا سبب يجعل الله يتحمل الخطية. فقد رأيتُ أن طبيعته الأساسية تتميز بالقداسة والنقاوة. فليست لديه دوافع أو أفعال غير نقية؛ لأنه كامل وبلا خطية (التثنية ٣٢: ٤؛ إشعياء ٥٤: ٥؛ الرؤيا ٤: ٨). لا يمكن أن يكون الله القدوس في عَلاقة مع الخطية بأي حالٍ من الأحوال. يقول الكتاب المقدس: «عيناك أطهر من أن تنظرا الشر، ولا تستطيع النظر إلى الجور،» (حبقوق ١: ١٣). الله قدوس للغاية؛ لدرجة أنه لا يسمح للخطية بأي شكلٍ من الأشكال. كما أن التساهل مع الخطية سينتهك جوهرَه!

الانفصال

لذلك تفصلنا الخطية عن الله. ويتسبب انفصال العَلاقة بيننا وبينه في الموت الروحي. يقول الكتاب المقدس: «لأن أجرة الخطية هي موت،» (رومية ٦: ٢٣).

إنه الموت أو الانفصال عن الله الذي يحفظ قداسته. ولأن الله محبة، يعلن الكتاب المقدس عن أنه «يُسَر بالرأفة» (ميخا ٧: ١٨). قال الملك داود: «إلى الأبد رحمته» (المزامير ١٠٧: ١). ويعلمنا العهد الجديد: «الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها،» (أفسس ٢: ٤). ولكن حتى مع رحمة الله نحونا، لا تزال المشكلة التي ذكرناها موجودة، وهي الخطية. لا يمكن أن يكون الله في عَلاقة مع الخطية، ونحن كبشر لدينا حالة تُسمَّى الخطية. فما الذي فعله الله؟

كيف تجتمع سمات الله معا؟

تكمن الإجابة في المزيج بين رحمته المحبة وعدالته الكاملة. لا يمكن للرحمة في حد ذاتها أن تتغاضى عن، أو تغفر الخطية، بدون التعامل مع هذه الخطية بالعدل. ينبغي دفع ثمن الخطية، ومن هنا يأتي عدل الله. يقول الكتاب المقدس: «ليخبروا بأن الرب مستقيم. صخرتي هو ولا ظلم فيه» (المزامير ٩٢: ١٥). ويؤكد دانيال ٤: ٣٧ «الذي كل أعماله حق وطرقه عدل.» إنها طبيعته العادلة التي تتطلب فصل الخطية عن الطهارة، وتصحيح الخطأ، وهزيمة الشر. لكن مع هذا الإصرار البار على العدل، لا يزال الله صالحًا. قال عنه أيوب: «القدير لا ندركه. عظيم القوة والحق، وكثير البر. لا يجاوب» (أيوب ٣٧: ٢٣). لذا، وبدلًا من التساهل مع خطايانا، دفع شعور الله بالعدالة المتحد مع الرحمة، ثمنَ خطايانا.

في رحمته، وضع الله حياة ابنه الوحيد ليدفع ثمنَ خطايانا. فقد ورثنا حالة الخطية بولادتنا من أول زوجين في الجنس البشري أخطأ (رومية ٥: ١٢). لكن يشهد بطرس قائلًا: «عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى، بفضة أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم، كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح،» (١ بطرس ١: ١٨، ١٩).

أرضى «حمل الله الذي بلا عيب» طلب الله من القداسة والعدالة. وقد أرضت الذبيحة قداسة الله؛ لأن يسوع كان بلا دنس، وكان الذبيحة الكاملة التي بلا خطية. يقول الرسول بولس: «متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه، لإظهار بره، من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله،» (رومية ٣: ٢٤، ٢٥). كما أن الذبيحة قد أوفت عدالة الله؛ لأن موت المسيح دفع «أجرة الخطية»، أي الموت. لقد دفع الله ثمنًا باهظًا ليمنحنا الغفران. ورغم أنه لا يستطيع التساهل مع الخطية، فإنه دفع الثمن؛ حتى يَبسط لنا الرحمة من خلال المسيح.

٢٠

لماذا خلق الله البشر؟

هل كان الله وحيدًا، ويحتاج إلى شخصٍ ما حتى يرتبط به، ويتواصل معه؛ لذا خلق البشر؟ هل كان يشعر بالملل، وفي يوم من الأيام جاءته فكرة عبقرية بخلق الكون الذي يضم البشر؟ لماذا خلق الله البشر؟

بعد أن خلق الله الإنسانَ الأول، أعلن إعلانًا مذهلًا: «ليس جيدا...» (التكوين ٢: ١٨). كان قد خلق كل شيء قبل هذا الإعلان، وبعد كل مرحلة من الخليقة يقول الكتاب إن الله «رأى ذلك أنه حسن». لكن في هذا العالم المثالي، وقبل أن يخطئ البشر، قال الله شيءٌ ما لم يكن جيدا. ما هذا الشيء الذي «لم يكن جيدًا»؟ إنه شعور الإنسان بالوحدة.

خمَّن البعضُ ما يلي: «بما أن الوحدة لم تكن جيدة في عالم مثالي، لابد وأن الله قد شعر بالوحدة أيضًا، وهذا ما جعله يخلق البشر. لعل الله كان يريد أو يحتاج عَلاقة بشرية؛ لذا خلق البشر؛ حتى يتخلص من وحدته». تتمثل إحدى المشكلات الكبيرة في هذا التفكير أنها تلمح إلى أن الله يفتقر لشيء. لكن إن كان كاملًا، فلا شيءَ أبدًا ينقصه.

تتمثل المشكلة الثانية لهذه الفكرة في أن الله أزلي، ولم يكن وحيدًا قط. والله ثلاثة أشخاص (أقانيم) موجودون منذ الأزل في عَلاقة. ومنذ الأزل توجد دائرة مستمرة من العَلاقات المثالية داخل ألوهية الآب والابن والروح القدس.[xiii] صحيح أن الإنسان الأول خُلِق وحيدًا. لكن الله تدارك ذلك عندما قال: «ليس جيدا»، وخلق لآدم إنسانًا آخر بهدف إقامة عَلاقات إنسانية. لذا نعود للسؤال ذاته، لماذا خلق الله البشر في المقام الأول إن لم يكن وحيدًا؟

فرح العَلاقة

عندما قال الله: «نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا،» (التكوين ١: ٢٦)، كان يُصمِّمنا لنعيش الحياة، ونستمتع بها، في عَلاقة، كما يفعل الله. وعلى الرغم أننا لا نستطيع فهم العَلاقة الكاملة والمثالية داخل الثالوث بالمعنى المطلق، فإن لدينا

[xiii] راجع السؤال رقم ١٣. ما المقصود بأن الله ثالوث؟

القدرة على اختبار الفرح بما تقدمه العَلاقات حقًّا. قال يسوع: «كلمتكم بهذا لكي يثبت فرحي فيكم ويكمل فرحكم» (يوحنا ١٥: ١١). الله في الواقع يقول: «كونوا في عَلاقة حميمة معي، واسمحوا لفرحي حتى يكون فيكم، ومن خلال عَلاقتنا القريبة، ستختبرون الفرح الحقيقي في الحياة؛ لأنكم ستحملون ثمار طبيعتي من محبة وفرح وسلام وطول أناة ولطف وصلاح ووداعة وتعفف (راجع غلاطية ٥: ٢٢، ٢٣). وبذلك ستعكسون حضوري وتعطونني المجد.»

في عام ١٦٤٧، قام الإصلاحيون الإنجليز بتأليف كتاب «ويستمنستر للتعليم الديني»، وكان يحتوى على ١٠٧ سؤالًا وإجابة. وكان السؤال الأول هو: «ما هو الغرض الأساسي للإنسان؟» وكانت الإجابة: «الغرض الأساسي للإنسان هو تمجيد الله، والتلذذ به للأبد.» وهذا يوضح بايجاز السبب الذي خلق الله لأجله البشر.

يقول الرسول بولس: «لأن منه وبه وله كل الأشياء. له المجد إلى الأبد» (رومية ١١: ٣٦). وفي أخبار أيام الأول ١٦: ١٢، يقول الكتاب: «اذكروا عجائبه التي صنع. آياته وأحكام فمه.» وبغض النظر عن القول أو الفكر أو العمل، يعلمنا الكتاب المقدس: «فافعلوا كل شيء لمجد الله» (١كورنثوس ١٠: ٣١). ويقول الرسول بطرس: «لكي يتمجد الله في كل شيء» (١ بطرس ٤: ١١).

يُعد الهدف من حياتنا، في الواقع، هو تمجيد الله؛ بمعنى أن نرفعه ونعليه ونسبحه، ونفكر فيه بإجلال، حتى إن كَسرت الخطية سابقًا عَلاقتنا معه، يمكن استعادة صورتنا التي على صورته من خلال عمل المسيح، «ونحن جميعًا ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف، كما في مرآة، نتغير إلى تلك الصورة عينها، من مجد إلى مجد، كما من الرب الروح» (٢ كورنثوس ٣: ١٨). هكذا خلقنا الله حتى نستطيع أن نتمتع بعَلاقة معه إلى الأبد، وبذلك يتعظم ويتمجد الخالق المُحِب.

٢١

هل خلق الله كائنات ذكية (عاقلة) أخرى غير البشر؟

هل البشر هم الكائنات الذكية الوحيدة في الكون؟ هل يوجد آخرون في مكانٍ ما، خلقهم الله ليكونوا «أقاربنا الغرباء»؟ تكهن كثيرون بأن «الحياة الذكية» موجودة في مكان ما في الكون البعيد. وكل الأمر أننا لم نستطع التواصل مع أفراد هذا العالم حتى الآن!

كتب الملك داود «إذا أرى سماواتك عمل أصابعك، القمر والنجوم التي كونتها، فمن هو الإنسان حتى تذكره؟ وابن آدم حتى تفتقده؟» (المزامير ٨: ٣، ٤). فالفضاء الذي خلقه الله باتساعه، وبمنظره العجيب، مهيب ورائع، ويفوق استيعابنا.

يقول العلماء إن المادة تنتشر على مسافة ٩٣ مليار سنة ضوئية على الأقل. وعلى الأرجح يوجد أكثر من ١٠٠ مليار مجرة في الكون المرصود، مع مليارات من الكواكب التي لا تعد ولا تحصى.[١٠] هذا شيء يأخذ العقل! وقد يجعلنا نتساءل هل نحن الكائنات الذكية الوحيدة التي خلقها الله في هذا الكون الفسيح؟!

ادعت الكثير من الكتب والدراسات والتقارير بوجود أدلة موثوق فيها تبرهن على وجود كائنات خارج كوكب الأرض. كما ظهر العديد من الكتب والتقارير التي تدحض وتعارض تلك الادعاءات؛ والشيء الوحيد الذي يبدو أكيدًا حال وجود كائنات فضائية قادرة على زيارة الأرض، هو أنها لم تختَر الظهور على نطاق واسع للعامة!

لا يكشف الكتاب المقدس عن وجود حياة ذكية على كواكب أخرى. ولم يتناول الكتاب المقدس هذه المسألة، لكنه تكلم عن الشياطين والملائكة والسيرافيم والشاروبيم، غير أنه لم يُشِر إلى أية حياة ذكية أخرى.

لكن إن حدث وكانت توجد حياةٌ على كواكب أخرى بعيدة، فلا يبدو ذلك أنه يتعارض مع المعتقدات المسيحية؛ لأن الله هو خالق الكون، وإن خلق صورًا أخرى من الحياة، ولم يخبرنا بها، فهذا من حقه. ومجرد اختياره أن لا يقول لنا، لا يعني بالضرورة أنه لا توجد كائنات أخرى ذكية خارج كوكب الأرض. المسألة ببساطة أننا لا نعرف!

٢٢

هل من الممكن فعلاً معرفة الحق؟

حتى الآن، حاولنا الإجابة عن واحد وعشرين سؤالًا في هذا الكتاب. وتفترض العديد من تلك الأسئلة حقًّا حول الله والكتاب المقدس، تلك الحقائق تقدم أجوبة مُرضية. وبعبارةٍ أخرى، عندما نكتشف حقًّا معيناً، نكتسب المعرفة، أو نحصل على إجابات لكل أسئلتنا. لكن هل تجيب الحقائق الكونية عن هذه الأسئلة؟ أم إن الأمر يتلخص في ما نختار تصديقه؟ والسؤال هنا: هل توجد طريقة لمعرفة إن كان الحق موجودًا كحقيقة عامة؟!

بعض التعريفات

أولًا: دعونا نبدأ بتعريف الحق. ما هو الحق؟ يوجد تعريفان شائعان لمفهوم الحق، يقدم قاموس وبستر واحدًا منهما، وهو أنه «الدقة في الأصل أو المعيار». على سبيل المثال، نفترض أني (شون) سألتك: «كم الساعة؟» على الأرجح ستنظر إلى ساعتك أو هاتفك الجوال وتقول إنها «٢:٢٣ مساءً». لكن ماذا لو نظرتُ لساعتي وقلت لك «لا، إنها ٢:٢٦ مساءً». مَن مِنا يقول الحقيقة؟!

من الممكن أن نتجادل اليوم كله بخصوص: أيُّ جهازٍ من أجهزتنا أفضل في تحديد الوقت؟ ولكن لتحديد الوقت الصحيح لا بد أن نضبط ساعتنا حسب المعايير الدولية لتحديد الوقت وضبطه. وسيكون ذلك من خلال جرينتش بإنجلترا؛ حيث موطن توقيت جرينتش (GMT). ويعد توقيت جرينتش هو التوقيت العالمي، وأساس التوقيت في أية مِنطقة بالعالم. وعلى الرغم من استبدال توقيت جرينتش بالتوقيت الذري (UTC)، فإنه لا يزال يُستخدَم على نطاق واسع بصفته المقياس الرسمي لتحديد الوقت في جميع أنحاء العالم.

لذلك تحديد «القول الحقيقي» هو في الواقع الحق. فهل الساعة هي ٢:٢٣ أم ٢:٢٦ مساءً؟. علينا ببساطة تحديد ذلك بما يتوافق مع «الأصل أو المعيار»

الخاص بضبط الوقت حسب توقيت جرينتش. وبالتالي يُصبح الوقت الذي يتفق مع توقيت جرينتش هو الصحيح. وبتطبيق هذا التعريف على الحقيقة الأخلاقية، نؤكد أن الله هو المعيار المطلق لكل الحقائق الأخلاقية. فطبيعته وشخصيته يحددان الصواب والخطأ، والخير والشر، والحقيقي وغير الحقيقي.

أما التعريف الثاني للحق هو «التطابق مع الواقع». وتعني هذه الفكرة تقريبًا أن الحق هو ما يتطابق مع العالم الواقعي. على سبيل المثال، قد أقول إني (أنا جوش) ودوتي لدينا أربعة أولاد، هم شابان وفتاتان. عندئذٍ يكون السؤال: «هل هذا القول صحيح أم خطأ؟» يمكن أن يكون هذا القول حقيقيًّا إذا تتطابق مع الواقع. ولكني في الواقع لديَّ أربعة أولاد، هم ثلاث فتايات وشاب. لذلك وبما أن قولي لم يتطابق مع الواقع، فهو غير حقيقي. عندما نطبق تعريف الحق على الحقيقة الأخلاقية، فإننا نؤكد أن هذه الحقيقة تتفق مع الواقع الذي خلقه الله.

إنكار وجود الحق

لكن البعض يقول ببساطة: «لا يوجد حق». وتعد مشكلة هذه العبارة أنها تتناقض مع ذاتها. بعبارةٍ أخرى، تدحض الجملة نفسها من خلال وجودها. دعوني (أنا شون) أشرح ذلك. في بداية الرسالة إلى تيطس، قدَّم بولس بعض النصائح والوصايا إلى تيطس، الذي كان قد بدأ في تأسيس كنائس بين أهل كريت. وقد واجهته بعض الأفكار المعادية. واقتبس بولس من أبيمنيدس الذي من كريت، قائلًا إلى تيطس: «قال واحد منهم، وهو نبي لهم خاص: «الكريتيون دائمًا كذابون. وحوش ردية. بطون بطالة.» (تيطس ١: ١٢). وأي قارئ فطن للكتاب المقدس سيفهم السخرية الموجودة في هذه العبارة. فإن كان كل الكريتيين كذابين، فكيف يمكن الثقة في أبيمنيدس نفسه؟ سيكون الأمر مثلما أقول وأنا من كاليفورنيا: «لا يمكنك الثقة في أهل كاليفورنيا».

تعاني العبارات التي من نوعية «الكريتيون دائمًا كذابون» «ولا يوجد حق» من العيب نفسه. فكلا العباراتين تتناقضان مع نفسيهما. والعبارة الثانية تحديدا

تتعارض بشدة مع نفسها، لأن مذكورًا بها كلمة «حق»! وفيما يلي بعض الأمثلة الأخرى المتناقضة:

- لا توجد جملة إنجليزية تتكون من أكثر من خمس كلمات.
- لا شيء يسمى الحق المطلق. (هل هذا حتما حقيقي؟)
- لا يمكن التأكد من أي شيء. (هل أنت متأكد من ذلك؟)
- لا تقل أبدًا كلمة «أبدًا». (تأخرت كثيرًا! فقد قلتها بالفعل في الجملة السابقة!)

تحتوى جميع العبارات الأربع السابقة مثلهم في ذلك مثل عبارة «لا يوجد حق» على بذور تثبت خطأ قائليها. وتُضعِف هذه الجمل من نفسها عندما تتناقض مع المقاييس الخاصة بها عن الحق. لا وسيلة للهروب من حقيقة أن الحق موجود ويمكن معرفته. وهكذا، يُصبح السؤال الأهم ليس إذا ما كان الحق موجودًا، بل ما هو الحق؟

شرح يسوع بوضوح ما هو الحق عندما قال: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يوحنا ١٤: ٦). ببساطة: الحق هو شخص يمكننا الارتباط به. الله ليس معيارنا للحق الأخلاقي الذي يتوافق مع الحقيقة التي خلقها فحسب، بل هو ذاك الشخص الذي بذل جهودًا استثنائية ليكون في عَلاقة معنا. والعَلاقة أساسية في معرفة الحق والحياة به.

٢٣

هل بعض الحق هو تفضيل شخصي؟

ربما سمعت أحدهم قبلًا يقول: «حسنا، قد يكون ذلك حقيقيًّا لك، لكنه ليس حقيقيًّا لي.» ورغم أن هذه العبارة شائعة الاستخدام، لكن لا بد أن نسأل: هل يمكن أن يكون الحق موجودًا، فقط، للشخص الذي يؤمن به؟ هل يمكن أن يكون شيئًا حقيقيًّا لشخص، لكنه ليس كذلك بالنسبة لشخصٍ آخر؟

إزالة اللَّبس

يكمن وراء العبارة السابقة خلط متأصل بين مفاهيم الحق والإيمان. وبكل وضوح لنا أن نتمتع بالحق في الإيمان بمعتقداتنا الخاصة (على الأقل في أمريكا المعروفة بأرض الحرية)، لكن هل يعني ذلك أن لكلٍّ مِنا الحقائق الخاصة به؟ يعد الحق مستقلًا عن معتقداتنا. ومن الناحية الأخرى، من الضروري أن تكون المعتقدات شخصية. لذلك، عندما نضع في الاعتبار طبيعة الحق، لن يكون له معنى قول إن شيئًا ما حقيقي لك، لكنه ليس حقيقًا بالنسبة لي. على سبيل المثال، تخيل أنك أنت وصديقك أمام تفاحة خضراء على الطاولة. يعتقد صديقك أن التفاحة فاسدة من الداخل، ومليئة بالديدان. لكنك تعتقد أنها طازجة، وخالية من الديدان. هل يمكن أن تكون معتقداتكم المختلفة بخصوص التفاحة تعكس حقيقتين مختلفتين، ويكون اعتقاد كلٍّ منكما حقيقة؟ إن الطريقة الوحيدة لحل هذه المعضلة هي قطع التفاحة، ومعرفة ما بداخلها. عندئذ سيمكنك اكتشاف الحقيقة. وستكشف اللحظة التي تقطع فيها التفاحة عن الحقيقة؛ ما سيفضح المعتقد الخاطئ. إن حقيقة التفاحة موجودة ومستقلة عنك، وعن معتقدات صديقك.

الحقائق والمعتقدات الأخلاقية

الشيء نفسه يتعلق بالحقائق الأخلاقية. أصبح الله وكلمته هما المعيار لتحديد

مـا هـو حـق أخلاقـي، ومـا هـو ليـس كذلـك؛ لأن الحقائـق الأخلاقيـة تنبـع مـن شـخصيته.[xiv] وفـي حيـن أن الحقائـق الأخلاقيـة لا ترقـى للنظـر إليهـا باعتبارهـا شـخصية أو موضوعيـة، فـإن المعتقـدات يمكـن اعتبارهـا كذلـك. كمـا يمكـن اعتبـار المعتقـدات الشـخصية أيضًـا كمـا يسـميها البعـض «قناعـات شـخصية». وفـي رسـالة رومية، عالـج الرسـول بولـس الخـلاف بيـن بعـض أتبـاع المسـيح مـن اليهـود بشـأن الضوابـط التـي ينبغـي أتباعهـا علـى الأكل، والأعيـاد التـي يحفظونهـا، ويـوم السـبت. وقـال بولـس لهـم: «لا يـزدر مـن يـأكل بمـن لا يـأكل، ولا يـدن مـن لا يـأكل مـن يـأكل؛ لأن الله قبلـه» (رومية ١٤: ٣). كمـا قـال لهـم بشـأن يـوم العبـادة: «واحـد يعتبـر يومـا دون يـوم، وآخـر يعتبـر كل يـوم، فليتيقـن كل واحـد فـي عقلـه،» (رومية ١٤: ٥).

كان بولـس حريصًـا علـى توضيـح أنـه توجد أمـور خارج القانـون الأخلاقـي العالمي لله، تتطلـب قـرارًا شـخصيًّا، وتكـون بيـن الإنسـان وربـه فقـط. اعـرف (أنـا شـون) بعـض الأشـخاص الذيـن يشـعرون برغبـة شـديدة فـي إكـرام يـوم الـرب، حتـى إنهـم يمتنعـون عـن شـراء أي منتجـات فـي يـوم الأحـد. ويشـعر آخـرون أن مـن الصـواب أن يدخـل أبناؤهـم المـدارس المسـيحية، ومـن الخطـأ إلحاقهـم بالمـدارس الحكوميـة. وكثيـرون منهـم لا يديـن أولئـك الذيـن يفعلـون عكـس ذلـك، لكنهـم يشـعرون بأنهـا قناعـات أو معتقـدات شـخصية يجـب اتباعهـا. وأوضـح الرسـول بولـس هـذه النقطـة عندمـا أشـار إلـى الشـريعة اليهوديـة فيمـا يتعلـق بالطعـام الطاهـر والنجـس. يقـول بولـس: «إنـي عالـم ومتيقـن فـي الـرب يسـوع أن ليـس شـيء نجسـا بذاتـه، إلا مـن يحسـب شـيئًا نجسًـا، فلـه هـو نجـس» (رومية ١٤: ١٤). إن النقطـة الأساسـية التـي يحـرص عليهـا بولـس هـي أنـه عندمـا تكـون لـدى شـخصٍ مـا قناعـة شـخصية بأمـور لا تعالجهـا الشـريعة الأخلاقيـة بوضـوح، عليـه أن لا يديـن الآخريـن علـى مخالفـة معتقدهـم الخـاص. وتحـدث هـذه الأنـواع مـن القناعـات الشـخصية بيـن الله والشـخص نفسـه، ولا ينبغـي فرضهـا علـى الآخريـن. وينبغـي الوصـول للقناعـة الشـخصية بعـد دراسـة الكتـاب المقـدس بعنايـة كبيـرة، وأخـذ المشـورة الحكيمـة مـن مؤمنيـن ناضجيـن آخريـن.

---

xiv راجع السؤال رقم ٢٢. هل من الممكن فعلًا معرفة الحق؟

٢٤

هل الله متحيز جنسيًّا؟

يرى المسيحيون الله من خلال مجموعة من العدسات المختلفة عن الملحدين وغير المسيحيين والثقافات الأخرى للعالم. ولكن كما تعلم، صوَّر البعضُ الله بالعديد من الطرق المشوهة. على سبيل المثال، قال عنه الملحدون المعاصرون، وكثيرون غيرهم، إنه كاره للنساء، وشوفيني (متطرف في الوطنية)، وذكوري، ومتحيز جنسيًّا، جنبًا إلى جنب مع العديد من السمات المهينة الأخرى. وذكر الملحد ريتشارد دوكنز (Richard Dawkins) في كتابه «وهم الإله» (The God Delusion) ما يلي:

«لا جدال بأن إله العهد القديم هو من أسوأ الشخصيات الأدبية: غيور وفخور بذلك، يدقق بالتوافه، ظالم وغير عادل، متسلط قاسٍ، منتقم ومتعطش للدماء، مميت للأعراق، وكارهٌ للنساء والمثليين، عنصري وقاتل للأطفال والشعوب، قاتل للأبناء، مسبب للأمراض، مصاب بجنون العظمة، سادي وماسوشي ونزوي وحقود شرس.»[١١]

كيف يمكن أن يقول البعض بأن الله متحيز جنسيًّا وعنصري وحاقد ويبيد الآخرين إبادة جماعية وهلم جرا؟ ولكي يقول شخصٌ هذه الآراء المشوهة عن الله، لا بد وأنه قرأ الكتاب المقدس خارج سياقه. على سبيل المثال، سنلقي النظر على اتهام الله بالتحيز جنسيًّا. كيف يمكن أن يرى شخصٌ ما أن الله متحيز جنسيًّا؟

حسنًا، يُقال إن الله خلق آدم أولًا، ثم خلق حواء؛ لتكون مواطنة درجة ثانية، وهو ما يُبيِّن نظرةً أقل للمرأة. وبعد أن أخطأ آدم وحواء، قال الله لحواء إن زوجك «يسود عليك» (التكوين ٣: ١٦). مرة أخرى، يُقال ذلك لتوضيح نظرة الازدراء إلى المرأة؛ باعتبارها أقل شأنا، وعليها الخضوع للرجال وخدمتهم. ثم يقول البعض إن المَرء يستطيع أن يرى في جميع أنحاء العهد القديم كيف كانت عادات وقوانين بني إسرائيل تكشف عن وضع المرأة الأقل شأنًا من الرجال.

على سبيل المثال، كانت الشابة تعتبر قاصرة وفقًا للشريعة، وتعيش تحت سلطان أقرب الأقرباء من الذكور، ويمكن أن يلغى والدها أو زوجها نذورها إلى الله (العدد ٣٠: ٣- ١٦). ويمكن للزوج أن يطلق امرأته (التثنية ٢٤: ١- ٤)، ويتزوج بأخرى (الخروج ٢١: ١٠؛ التثنية ٢١: ١٥- ١٧). لكن لا تستطيع الزوجة أن تطلق زوجها. ولا يمكن للمرأة أن ترث أرض أبيها سوى في حالة عدم وجود ورثة من الذكور، وكان يجب أيضًا أن تكون متزوجة داخل قبيلة أجدادها (العدد ٢٧: ١- ١١؛ ٣٦: ١- ١٣). وقد قيلت جميع هذه النقاط؛ لتبين نظرة الله إلى المرأة؛ باعتبارها أقل شأناً من الرجل، ودون الحقوق نفسها التي يتمتع بها الرجل.

كيف يرى الله بالفعل الرجال والنساء؟

على الرغم من كل هذه التأكيدات، فالله في الحقيقة ليس متحيزًا جنسيًّا. لكن هذا لا يعني أن الكنيسة لم تعامِل النساء على مدار التاريخ على أنهم أقل شانًا، أو أن الرجال المسيحيين لم يكونوا في الواقع متحيزين جنسيًّا. من الواضح أن سلوك التحيز جنسيًّا قد ابتلانا لقرونٍ عدة. لكن الله ليس كذلك، ولا يرى النساء أقل شانًا من الرجال.

قال الله: «نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا... ذكرًا وأنثى خلقهم» (التكوين ١: ٢٦، ٢٧). لقد خُلِقت المرأة على صورة وشبه الله، مثلها في ذلك مثل الرجل (في الواقع، جبل الله الرجل من التراب، لكن المرأة من الإنسان). لم يعمل الله صورة للرجل أعلى شأنًا من المرأة، فالخالق لم يجعل المرأة أقل في الصورة. يتشارك الرجال والنساء في صورة الله بالقدر نفسه.

يقول الكتاب المقدس إن الله خلق المرأة لكي تكون «معينًا» للرجل. وقال البعض إن ذلك يُثبت أن النساء موجودون لخدمة الرجال. لكن الله لم يخلق المرأة لتكون خادمة أو مساعدة للرجل. تترجم الكلمة العِبرية «Ezer» إلى «معين»، وتعني الشخص الذي يحيط بآخر، أو يحميه، أو يساعده. وقد استخدم يعقوب الكلمة

نفسها عن الله عندما قال: «مَن إله أبيك الذي يعينك،» (تك ٤٩: ٢٥). واستخدمها موسى أيضًا عندما قال: «إله أبي كان عوني» (خر ١٨: ٤). ويستخدمها كاتب المزمور داود مرارًا وتكرارًا في نصوص مثل «أنفسنا انتظرت الرب. معونتنا وترسنا هو» (مز ٣٣: ٢٠). لقد صوَّر كُتَّاب العهد القديم، الله، في المقام الأول على أنه «Ezer»، الذي يحيط بنا، ويساعدنا.

وهذا لا يعني أبدًا أن دورها أن تكون خادمة متواضعة، بل بالأحرى لها دور نبيل؛ حيث تقدم المساعدة لشخص يحتاجها. أشهد (أنا شون) شخصيًّا بحقيقة أنني كرجل أحتاج إلى مساعدة، لا من الله وحسب، بل أيضًا من الخبيرة والمُعينة ستيفاني. عندما خلق الله المرأة كمعين على صورة الله لتساعد الرجل، كان لها دورٌ موقر ومحترم جدًّا، ولم يكن دورًا فيه أية دونية أو عبودية. وعندما رأى أن الرجل في احتياج فعلي للمرأة، لم يكن هذا يعني أيضًا أن آدم كان أقل شأنًا. إن المرأة ليست أقل شأنًا؛ لأنها نظيرة أو رفيقة للرجل.

المزيد من المقارنات

تعد عواقب الخطية على حواء مثالًا آخرَ يزعم بأن الله متحيز جنسيًّا. لكن الآثار السلبية للخطية لها تأثير بعيد المدى على كل البشرية وخارجها. ويشمل ذلك الموت الروحي والجسدي لجميع البشر، والألم الجسدي للمرأة عند الإنجاب، وسيادة الأزواج على زوجاتهم، ولعنة الأرض التي تؤثر على حياة النباتات؛ مما يجعل من الصعب على الإنسان زراعة المحاصيل (راجع سفر التكوين ٣: ١٤- ١٩). لكن هذه الآثار السلبية لم يكن المقصود منها أن تكون مقبولة كمعايير. لقد وضع الله نفسُه خُطة يديرها، حتى قبل أن يخلق البشر؛ لكي يعكس هذه العواقب. فقد كان يخطط لإرسال ابنه؛ لا كي يقدم حياة أبدية للبشر الأموات في خطاياهم وحسب، بل ليعكس آثار الخطية في النهاية على هذا الكوكب بالكامل وحياة الحيوانات (راجع إشعياء ٢٥: ٧، ٨؛ ٦٥: ١٧).

فكِّرْ في هذا: هل نحن بصفتنا خليقة الله نجلس ساكنين، ولا نساعده في خطة الخلاص والاسترداد؟ هل ليس علينا اكتشاف الطرق الجديدة والمُحسِّنة لزراعة الأرض وزيادة إنتاجية المحاصيل؟ هل علينا أن نقبل الألم أثناء عملية الإنجاب، وعدم البحث عن وسائل طبية لتقليل الألم؟ نحن نستخدم بالطبع تكنولوجيا الزراعة الحديثة؛ لزراعة محاصيل أفضل وأكثر صحة. كما نحاول الاستفادة من الاكتشافات الطبية الحديثة؛ لتخفيف الألم في عملية الولادة. فنحن لا نقبل هذه النتائج السلبية للخطية، ونعيش فيها. ولا ينبغي علينا قبول الآثار السلبية لسيادة الأزواج على زوجاتهم. لم يكن ذلك قصد الله منذ البداية، ومن الواضح أنه لا يريد الآن هذا النوع من العَلاقة المشوهة في الزواج.

ورغم أن العهد الجديد يقول إن على الزوجات أن يخضعن لأزواجهن، فهذا لا يعني بأي حال من الأحوال ظلمًا. في الواقع، يوصينا الكتاب المقدس أن نخضع جميعًا بعضُنا لبعض (راجع أفسس ٥: ٢١). وقد وضَّح يسوع الحق، بأن على الرجال والنساء خدمة بعضهم البعض في مرقس ١٠: ٤٢- ٤٤، وقد شملت الآية يسوع نفسه «لأن ابن الإنسان أيضًا لم يأت ليُخدَم بل لِيَخدِم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين» (مرقس ١٠: ٤٥). وكون الأزواج والزوجات يخدمون في أدوار مختلفة، لا يعني أن الزوجات أقلُ شأنًا. صحيح أن الخطية قد جاءت بآثار سلبية على عَلاقاتنا، لكن الله لا يريد استمرار ذلك. فالله يريد من كلٍّ من الأزواج والزوجات أن يحترموا ويحبوا بعضهم البعض، كما أظهر لنا ذلك من خلال المسيح.

أخيرا، نرى في جميع أنحاء الكتاب المقدس أن الله رفع النساء إلى أماكن السلطة والقيادة الإلهية، والمتحيز جنسيًّا لا يفعل ذلك. وفي الواقع، التكوين هو قصة الخليقة الوحيدة في الشرق الأدني القديم التي تذكر النساء حتى. ويصل إلى ذروته في خليقة النساء. فقد أعطى الله بوضوح قيمة للمرأة منذ البداية.

عمل مقارنة

في أمة إسرائيل، كانت المرأة تحضر قراءة الكتاب المقدس (التثنية ٣١: ٩- ١٣)، وهو ما كان يعد غاية في التكريم. كانت النساء تخدم في مدخل خيمة الاجتماع (الخروج ٣٨: ٨)، وهو واجب شريف، وكنَّ يقدمن ذبائح (اللاويين ١٢: ١- ٨)، وهو ما يُبيِّن اعترافَ الله بحق المرأة في العبادة. فقد عيَّن مريم أخت موسى «كنبية» (الخروج ١٥: ٢٠، ٢١). كما كانت دبورة نبية وقاضية. وكانت تتكلم وتقضي علنًا باِسم الله (القضاة ٤: ٤- ٧). وكذلك كانت خلدة على قدم المساواة، نبية لله، وكانت تتحدث أيضًا بالنيابة عن الله (٢ ملوك ٢٢: ١٤- ٢٠). ومن الواضح أن الله لم يكن ينظر إلى المرأة بأنها أقلُ شأنًا، وغيرُ قادرةٍ على القيادة والتحدُّث باِسمِهِ.

عَلاوةً على ذلك، ورغم أن النقاد يزعمون كذبًا أن الله متحيز جنسيًّا، فقد فشل الكثيرون من هؤلاء النقاد أنفسهم في توضيح أن قادة الديانات الرئيسة الأخرى كانوا كذلك بوضوح. في كتاب «الدفاعيات لجيل جديد»[xv] (Apologetics for a New Generation) تقدم المؤلفة والقائدة المسيحية جونالين جريس فينشر (Jonalyn Grace Fincher) بعضَ الأفكار عن ذلك. وفي الفصل الخامس عشر تحديدًا، توضح أن محمدًا، نبي ومؤسس الإسلام، كان يَحُط من قدر النساء. وذكرت أن القرآن يقول: «نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أني شئتم؛» وكذلك يقول «(الزوجات) سجناء لكم (للأزواج)، وليس لهن سيطرة على أنفسهن». «ضعوا النساء في مكانة أقل شأنًا بما أن الله قد فعل ذلك».[١٢]

وتخلى سيدهارتا غوتاما (Siddhartha Gautama)-مؤسس البوذية عن زوجته وابنه وسواريه حتى يجد «التنوير». وذكرت التقارير أن تشارلز تاز راسل (Charles Taze Russell)- مؤسس شهود يهوه- اعتدى على ابنته روز بال (Rose Ball) التي كان قد تبناها. وعندما قامت زوجة «راسل» برفع قضية طلاق، قضت المحكمة بأن سلوكه تجاه زوجته «مهين» و»متسلط» و»غير لائق».[١٣]

---

xv ناشرون دار هارفست ٢٠٠٩

في المقابل، أكد يسوع ابن الله على حقوق المرأة عندما تحدث إلى المرأة السامرية (يوحنا ٤: ١- ٤٢). كما أيَّد مريم التي جلست عند قدميه كإحدى تلاميذه. وكذلك مدح كثيرًا النساء اللواتي دهنَّ جسده بالطيب قبل موته (مرقس ١٤: ٣- ٩). كانت المرأة بالنسبة ليسوع مساوية للرجل. ومن ناحية العَلاقات، لا يرى الله أيَّ فارقٍ في الوضع الإنساني بين الذكر والأنثى. وكما ذكرنا يمكن أن يخدم الأزواج والزوجات في أدوار مختلفة، ولكن هذا لا يجعل أحدًا منهم أكثر تفوقًا أو أدنى من الآخر. وقد وضَّح الرسول بولس أن الله ليست عِنده محاباة عندما قال:

«لأنكم جميعًا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع. لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح: ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حر. ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعًا واحد في المسيح يسوع» (غلاطية ٣: ٢٦- ٢٨).

٢٥

هل الله عنصري؟

يُقصد بالشخص العنصري مَن يعتقد أن جنسًا بشريًّا بعينه أفضل من أي أو كل الأجناس البشرية الأخرى، ويرى أن هذا الجنس، أو بعض الأجناس، لها سمات متميزة، تحددها عوامل وراثية؛ وهو ما يمنحهم تفوقًا جوهريًّا. وهذا يعني أن التمييز العنصري له ما يبرره. ودعونا نتساءل بناءً على هذا التعريف، هل الله عنصري؟ البعض يقول إنه كذلك!

يقول سفر التكون إن الله ميَّز رجلًا يُدعى أبرام، واختاره قائلًا له:

«اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك. فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك، وتكون بركة. وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» (التكوين ١٢: ١- ٣).

إذا اخذنا هذا الوعد من الله، ودرسنا بدقة كيف كان الله يُفضِّل بني إسرائيل (اليهود)، فإن البعض سيقول بلا شك إنه تمييز عنصري. على مر التاريخ، وكما سجل الكتاب المقدس، كان لله شعبٌ مختار واحد. وقد يقول البعض إن هذا يُثبت أنه عنصري.

إحدى الأمثلة الأخرى التي تؤخذ للدلالة على «عنصرية الله» المزعومة، تظهر عندما لعن الشعبَ الإفريقي بالعبودية كما يقول البعض. واعتاد الكثيرون على الادعاء بأن الله قد لعن نسل حام بن نوح؛ لأنه أخبر أخويه الأكبر منه سنًّا بأنه وجد أبيه عاريًا بعد أن شرب الخمر وسكر. وكانت اللعنة أنه «عبد العبيد يكون لإخوته» (التكوين ٩: ٢٥). وبما أنه يُعتقد أن نسل حام هو الأفارقة، كان من المنطقي استنتاج أن الله قام بالتمييز ضد جميع أجيال الأفارقة، بما في ذلك اللعنة بالعبودية!

تصحيح سوء التفسير

تأتي هذه التهم الموجهة لله من سوء التفسير، وسوء فهم الرواية المذكورة في الكتاب المقدس. أولًا: لم يلعن الله حام على ما فعله، بل نوح هو مَن نطق باللعنة. كما أن نوحَ لم يلعن حام، بل لعن كنعان بن حام قائلًا: «ملعون كنعان! عبد العبيد يكون لإخوته». وقال: «مبارك الرب إله سام. وليكن كنعان عبدًا لهم.» (التكوين ٩: ٢٥، ٢٦). والأمر الأكثر شدة كان عندما يُلعن الابن بدلًا من الأب؛ لذا وجَّه نوح لعنته إلى كنعان بن حام.

صحيح أن اثنين من أبناء حام على الأقل قد استقرا في إفريقيا هما كوش ومصرايم (راجع التكوين ١٠: ٦- ٢٠). لكن نسل كنعان قد سكن شرق البحر المتوسط، في المنطقة التي أصبحت معروفة فيما بعد بأرض كنعان، وهي إسرائيل حاليًا (راجع التكوين ١٠: ١٥- ١٩). لذلك من غير المعقول الادعاء بأن الله عنصري استنادا على سوء تفسير كامل للنصوص الواردة في سفر التكوين. ومع ذلك، برَّر الكثيرون على مدار سنين عدة آراءهم العنصرية نحو الأفارقة السود، والأمريكيين من أصل أفريقي؛ بناءً على تشويه كلمات الكتاب المقدس.

لكن ماذا عن نظرة الله لليهود؟ بالفعل قطع الله عهدًا مع إبراهيم ونسله اليهودي لسببٍ وجيه! قبل الخليقة، كان الله يخطط لفداء البشر «الخطاة»، وكان سيفعل ذلك بأن يأخذ صورة إنسان من خلال ميلاد يسوع. لذا اختار شعبًا، وأعطاه كلمته المقدسة، الكتاب المقدس. وأسس نظام الذبائح الذي سيقود في النهاية إلى العلاج النهائي للخطية والموت. وقد تنبأ في كلمته بأن الذبيحة الكاملة، حمل الله سيُولد من نسل إبراهيم (راجع متى ١: ١- ١٧). وقد جاء يسوع ليفدى ويخلص كلَّ مَن يقبله، سواء من اليهود أو الأمم.

لذلك فاختيار الله لإسرائيل لا يتعلق ببساطة بهم، لكن بأنه كان يريد أن يجعل اسمَه معروفًا، ويقدم الخلاص لبقية العالم. كما أنه قضى أيضًا لإسرائيل كما فعل مع شعوب أخرى (راجع ٢ ملوك ١٧). لم يكن الله يفضل أحدًا على الآخر، سواء من اليهود أو الامم، ونحن جميعًا على قدم المساواة سنُعطي حسابًا لله.

٢٦

هل الله يتمسك بحرفية الشريعة؟

يُقصد بالشخص الذي يتمسك بحرفية الشريعة أنه يلتزم التزامًا صارمًا بها، أو بقانون معين، كغايةٍ في حد ذاته. ويُعد اتباع الشريعة كاملةً هو كل شيء لدى الشخص الذي يتمسك بها بحرفية. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن، هل الله يتمسك بحرفية الشريعة؟

يرى الكثيرون أن تسلط الله الظاهر على تشريع القوانين والوصايا برهانٌ على تمسكه بحرفية الشريعة. وقد ورَّث لنا العديد من القوانين والتعليمات. ذكر العهد القديم الكثير من الوصايا والقوانين المحددة للغاية، وكانت وصايا أخلاقية، ووصايا مدنية لشعب إسرائيل، ووصايا خاصة بالذبائح والاحتفالات، ووصايا التطهير، كما قدَّم العديدَ من الوصايا التي تتعلق بالأكل والملبس والعبادة والزواج. وكانت الوصايا والتعليمات والقواعد مستمرة. كما أن الوصايا قد وضعت بعضَ العقوبات القاسية على مَن يكسرها ويخالف القوانين. وهنا يبدو في الظاهر أن الله يتمسك، إلى حدٍّ كبير، بحرفية الشريعة.

مع ذلك، يغيب عن أولئك الذين يرون أن الله يتمسك بحرفية الشريعة، السبب، الذي جعله يقدم هذه الوصايا. إن سببًا جوهريًّا دفع الله لأن يُقدم تعليماتِه ووصاياه على هذا النحو. فقد قال إلى بني إسرائيل: «لأني عرفت الأفكار التي أنا مفتكر بها عنكم، يقول الرب، أفكار سلام لا شر، لأعطيكم آخرة ورجاء» (إرميا ٢٩: ١١). قدَّم الله شريعته وخططته؛ لكي يجعل إسرائيل يُثمر ويزدهر. وكانت لخير شعبه.

أعطانا الله شريعته من أجل اثنين من الدوافع أساسهما المحبة: (تسديد احتياجاتنا)، و(تقديم الحماية لنا)، وهذا سبب يتعلق بالعَلاقات. والله يريد مِنا في الحقيقة أن نتبع وصاياه؛ لأنها تمثل طرقه التي تسدد احتياجاتِنا، وتوفر الحماية لنا، وتأتي بالفرح لحياتنا. لذلك، في كل مرة نطيع شريعته، نحن في الواقع نتصرف وفقًا لطرقه.

يبدو أنه غائبٌ عن كثيرين أن طرق الله تعكس ماهيته. عندما نبدأ في التصرف بطريقة إلهية، نعيش الحياة التي من المفترض أن نعيشها. ويمكنك رؤية أن طبيعة الله وشخصيته تحدد كلَّ ما هو كامل ومستقيم وخَيِّر، وهذه الأشياء هي التي تجلب لنا الفرح الحقيقي. يقول الكتاب المقدس: «كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق،» (يعقوب ١: ١٧). لذلك، عندما نتصرف وفقًا لطرقه، نختبر الفرح؛ لأن طرقه تعكس صلاحه وكماله المطلق. وعندما نتحلى بالصدق؛ سيأتي ذلك بالفرح لأن الله حقيقي. وعندما نتمتع بالطهارة، سنعيش حياة الفرح لأن الله قدوس. وعندما نتعامل مع الآخرين بعدل، سنفرح لأن الله عادل. وتتبع وصايا الله لنا من أنه يريدنا أن نتصرف بطرقٍ معينة تعكس طبيعته، والطريقة التي يتصرف بها. بكل تأكيد طرق الله تعكس ببساطة طبيعته الكاملة، وبهذه الطريقة يأتي الفرح في حياتنا، وتُسدَّد احتياجاتُنا ويحمينا.

بأي حالٍ من الأحوال، لا يتمسك الله بحرفية الشريعة. فقد أعطانا وصاياه وتعاليمه كحدودٍ؛ حتى يعلمنا الصواب والخطأ، وبالتالي نعيش وفقًا لطرقه من أجل خيرنا. والله يريد منا أن نرتبط به، ونعيش مثله؛ لأن ذلك سيملأ حياتنا بالفرح، وهو ما سيفرح قلبَه أيضًا. يقول الرب يسوع: «كلمتكم بهذا لكي يثبت فرحي فيكم ويكمل فرحكم،» (يوحنا ١٥: ١١).

٢٧

هل الله عنيف؟

سيعترف أي شخص يقرأ العهد القديم بأن بعض الشعوب قد تحملت مأساةً كبيرة، والبعض حقق انتصاراتٍ عظيمة، وهو ما تتضمن، في الحالتين، العديدَ من أعمال العنف. كما قرأنا قصص الخيانة والإرهاب والاغتصاب والقتل والحرب وذبح الأبرياء، والتعذيب والاستعباد والقتل الجماعي. وعلى الرغم أن الكتاب المقدس وثق هذا السلوكَ العنيف، فلا نستطيع الجزم بموافقة الله باستمرار هذه الأعمال أو حتى افتراض ذلك. لكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل الله عنيف؟ هل يشترك في أعمال عنيفة؟

لماذا يرتكب الله أعمال عنف؟!

إن الإجابة المختصرة هي: نعم ارتكب الله أعمال عنف، لكن ما لم يكن لدينا سياق للعنف الذي قام به الله، سوف نخاطر بسوء فهم طبيعته.[xvi] فالله رحيم ورؤوف (مز ١٠٣: ٨). كما أنه قدوس وبار (مز ١٤٥: ١٧؛ رؤ ٣: ٧). وكذلك هو عادل ومنصف. يقول الكتاب: «بار أنت يا رب، وأحكامك مستقيمة. عدلًا أمرت بشهاداتك، وحقًّا إلى الغاية» (مز ١١٩: ١٣٧، ١٣٨). ويضيف الكتاب المقدس: «هو الصخر الكامل صنيعه. إن جميع سبله عدل. إله أمانة لا جور فيه. صديق وعادل هو» (تث ٣٢: ٤).

ما مقدار العنف الذي يرتكبه إلهٌ عادل، ولماذا؟ في سفر الملوك الثاني، يقول الكتاب: «وكان في تلك الليلة أن ملاك الرب خرج وضرب من جيش أشور مئة ألف وخمسة وثمانين ألفا» (٢ مل ١٩: ٣٥). وهنا نرى أن الله ذبح بالفعل مئة ألف وخمسة وثمانين ألفا من جيش أشور وهم نائمون! لماذا يرتكب مثل هذه الفظاعة؟ ما الذي كان وراء هذا التصرف العنيف؟

أولًا: دعونا نعترف أننا نعيش في عالم ملىء بالعنف، ولم يكن الله هو السبب في هذا العنف، بل البشر أنفسهم. تمتلئ جميع الصحف، والأخبار عبر

---

xvi راجع السؤال رقم ١١. مَن هو الله؟

الإنترنت، في جميع أنحاء العالم اليوم، بقصص الطمع، وعنف السّفة، والسرقات، والصراعات، وعمليات القتل، والحرب، والدمار، والموت. وقد وضّح يسوع ذلك بأن هذا العنف الشرير في العالم لم تسببه ظروفٌ خارجيةٌ، بل بالأحرى «من القلب تخرج أفكار شريرة: قتل، زنى، فسق، سرقة، شهادة زور، تجديف» (متى ١٥: ١٩). لا يعد العنف في هذا العالم مشكلة اجتماعية أو اقتصادية أو حتى مَرضية، بل هو مشكلة روحية أو قلبية. كما أن الخطية، وميل الإنسان الفطري إلى الانانية، هما أساس أعمال العنف.

لكن في بعض الأحيان، مارس الله - الذي وقف ضد الخطية والانانية - العنف؛ لأنه الحامي الأسمى للأبرياء، وقاضي المظلومين. عندما قتل الله مئة ألف وخمسة وثمانين ألفا من جيش أشور، فقد قتل الجيشَ الذي يحاول أن يستولى على أورشليم، ويدمر يهوذا وشعبه. وكان الجيش الآشوري في عهد الملك سنحاريب قد دمَّر بالفعل إسرائيل، وكان يستعد لإبادة شعب الله.

كانت آشور دولة عدوانية، تعذب الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال، وتقتلهم بوحشية. وقد سخر القائد الأعلى الملك سنحاريب الشرير، من الله، في رده على يهوذا: «مَنْ مِنْ كل آلهة الأراضي أنقذ أرضهم من يدي، حتى ينقذ الرب أورشليم من يدي؟... لا يخدعك إلهك الذي أنت متكل عليه قائلًا: لا تدفع أورشليم إلى يد ملك آشور» (٢ ملوك ١٨: ٣٥؛ ١٩: ١٠).

كانت هذه الامبراطورية الوثنية التي قتلت الأبرياء، وسخرت من الإله الحقيقي، تستحق العقاب. وقد جاء القاضي البار للكون؛ حتى يدافع عن شعبه. نعم استخدم الله العنف للدفاع عن شعبه وحمايته، وتحقيق العقاب المستحق على فاعلى الشر. وقال عن ملك آشور: «وأحامي عن هذه المدينة لأخلصها من أجل نفسي ومن أجل داود عبدي» (٢ ملوك ١٩: ٣٤).

الحامي والقاضي

لا بد ألا نعتقد بأن الله أقل من الدفاع عن الأبرار، والحكم على الأشرار. إنه البطل الذي يأتي لينجد المظلومين. ما الذي كان ينبغي أن يفعله قبل الخليقة عندما كان الشيطان يتحدى قداسته وعدله وسلطانه؟ هل كان لا بد أن يقف موقف المتفرج، ولا يحارب العصيان والشر؟ بكل تأكيد لا، كان من الحق والعدل أن يلجأ إلى العنف، ويطرد إبليس من السماء. كما أنه من الحق والعدل أن يستمر في الحرب؛ حتى يقهر الشيطان، وكلَّ الشرور، والموت؛ حتى يحل في يوم من الأيام السلام الأبدي (راجع الرؤيا ١٢- ٢١).

يقول كاتب المزمور: «الله رحيم ورؤوف، طويل الروح وكثير الرحمة» (المزامير ١٠٣: ٨)، لكنه لا يقف مكتوفي الأيدي، ويسمح للشر أن يمر بلا قضاء. يقول الكتاب المقدس: «أمام الرب، لأنه جاء. جاء ليدين الأرض. يدين المسكونة بالعدل والشعوب بأمانته» (المزامير ٩٦: ١٣). فالله عادل، ويستخدم العنف لتنفيذ عدله الكامل، الذي في النهاية سيأتي بالسلام الكامل والأبدي. والمسيح هو بطلُنا، والملك الآتي، وهو «رئيس السلام. لنمو رياسته، وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته، ليثبتها ويعضدها بالحق والبر، من الآن إلى الأبد. غيرة رب الجنود تصنع هذا» (إشعياء ٩: ٦، ٧).

٢٨

هل الدين هو السبب الحقيقي للعنف في العالم؟

هل الدين هو سبب كل هذا العنف الذي في العالم؟ هل سبب كل هذا القتال متأصل بطريقةٍ أو أخرى في المعتقدات الدينية؟ البعض يؤكد ذلك.

على سبيل المثال، قبِل الله قربان هابيل، لكنه لم يقبل قربان قايين. يقول الكتاب المقدس: «فاغتاظ قايين جدا» (التكوين ٤: ٥). وقام قايين لاحقًا بقتل هابيل. وكانت أولَ أعمال العنف بين البشر التي سجلها الكتاب المقدس متأصلة في مسألة دينية. وقد تبعها العديد من أعمال العنف على مر التاريخ البشري، والتي كاتب ترتبط بطريقةٍ مباشرة، أو غير مباشرة، بالدين.

أشار الكاتب والأستاذ جا. هارولد إلين (J. Harlod Ellen) في كتابه بعنوان «قوة الدين المدمرة» إلى أن الدين هو سبب العنف في العالم. وفيما يلي تعليق على شبكة الإنترنت يقدم الكتاب:

«سواء قادوا الطائرات لاختراق مركز التجارة العالمي أو البنتاجون، أو فجَّروا السفن والموانئ والمباني الفيدرالية، أو قتلوا الأطباء والممرضات في عيادات الإجهاض، أو أبادوا الفلسطينيين المعاصريين، أو قتلوا الجنود الإسرائيليين من خلال عمليات التفجير الانتحارية، يتشكل جميعُ المتدينين المدمرين بنفس التعبيرات المجازية التي تتعلق بالأحداث المرعبة التي سوف تحدث في المستقبل، ولا يمكن إدراكُها، وكذلك بالمثال الإلهي والتخطيط للعنف.»[١٤]

بدايةً من العبودية المصرية لبني إسرائيل، إلى الحروب الصليبية الدينية في القرون الحادي والثاني والثالث عشر، وحتى صراعات يومِنا الحاضر في جميع أنحاء العالم، يرى الكثيرون أن الدين قوة للعنف، أكثر من السلام. ولعل هذا السبب ما دفع الراحل كريستوفر هيتشنز (Christopher Hitchens)، وهو

أحد الكتاب والمتحدثين الملحدين، إلى كتابة العبارة التالية: «الدين يُسمِّم كلَّ شيء».[١٥] كما كان للملحد فريدريك نيتشه (Friedrich Nietzsche) في القرن التاسع عشر وجهة نظر مهينة بالقدر نفسه عن المسيحية عندما قال: «إنها قد ملكت إرادة الوصول إلى الغاية الأخيرة الممكنة من الفساد.. ولم تدع شيئًا دون أن تلمسه بفسادها، كل قيمة حولتها إلى لا قيمة، وكل حقيقة إلى كذب، وكل أمر مشرف إلى حطة للروح.»[١٦]

لكن هل الدين، وتحديدًا المسيحية، هي سبب العنف في العالم؟

بلا شك حدثت حروب عنيفة باسم الله. لكن الدين ليس السبب الوحيد، أو الأكبر، لهذا العنف في العالم. ويجب الاعتراف بأن الأنظمة العلمانية، مثل الحكومات الماركسية، ارتكبت أكبرَ عمليات إراقة الدماء في القرن العشرين. على الأقل مائة مليون قتلوا في الصين الشيوعية والاتحاد السوفيتي وكمبوديا وأنظمة شيوعية أخرى. نعم، في القرن العشرين وحده.

بحث الأسباب النهائية

ليست المسيحية أو الدين أو الأيدولوجية العلمانية هي أقصى سبب للعنف، بل هو ينبع من قلوب البشر الأنانية.[xvii] قال يسوع إن سبب الشر والعنف في العالم ليس في ظروف خارجية، أو وجهات نظر دينية متضاربة، بل «من القلب تخرج أفكار شريرة: قتل، زني، فسق، شهادة زور، تجديف. هذه هي التي تنجس الإنسان» (متى ١٥: ١٩، ٢٠).

تسبَّب قلب البشر الأناني الذي يتبنى الطمع، والحسد، والغيرة، والكبرياء، والكراهية في العنف المدمر في العالم. وللأسف كثيرًا ما يحدث ذلك باسم الدين. وفي الواقع، الحسد والقلب المتكبر هما الذين تسببا في ثورة الشيطان ضد الله. لذا فالعنف كان موجودًا معنا منذ البداية، لكن الدين والتعاليم التي قدَّمها يسوع لم تكن مسؤولة عن هذا العنف مطلقًا.

---

xvii راجع السؤال رقم ١٨. ما الذي يجعل الناس يخطئون اليوم؟

في حالة تركها بلا رادع، سترجع الطبيعة البشرية دائمًا إلى طرق العمل من أجل مصلحتها ومنفعتها الشخصية، التي تسعى إلى الكسب على حساب الآخر. وكثيرًا ما يستخدم الناسُ العنفَ لتحقيق أهدافهم. لكن على الجانب الآخر من المعادلة، تدعو رسالة يسوع إلى الاهتمام بالآخرين، ورعايتهم، بما لا يقل أهميةً عن نفسك. وفي الواقع، هذه هي جوهر تعاليمه التي تمثل قلب الله. قال يسوع: «فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضًا بهم؛ لأن هذا هو الناموس والأنبياء» (متى ٧: ١٢).

على الرغم أن البعض قد شنَّوا حروبًا، واستعبدوا الناس، وحاولوا بعنف السيطرة على الآخرين باسم الدين، سواء في الماضي أو الحاضر، لم تكن هذه هي المسيحية الحقيقية. وعَنَّا.. لماذا نوجه اللوم إلى المسيحية عندما يتصرف الأشخاص بما يخالف تعاليم يسوع ومثاله؟ لأن المسيح هو «رئيس السلام» (إشعياء ٩: ٦)، وعلى مدار التاريخ، لا يوجد شك في أن أتباع المسيح المخلصين كانت لهم قوة فدائية للسلام والخير في عالمنا.

إن رؤية يسوع قادت أتباعه إلى تعزيز جهود السلام والإنسانية، وفرض حماية للأطفال، والذين لم يُولدوا بعد، ووضع قوانين عمل الطفل، وفصل الكنيسة عن الدولة، والحرية والعدالة، ورعاية كل المحتاجين في جميع أنحاء العالم. إن يسوع وتعاليمه بعيدون كلَّ البُعدِ عن العنف؛ ما عزَّز المزيدَ من الخير، وقد قدَّمت هذه التعاليمُ مساهماتٍ إيجابية في المجتمع، أكثرَ من أية قوة في التاريخ.

٢٩

هل يمكن أن يُبيد الله البشرَ إبادة جماعية؟

يُقصد بالإبادة الجماعية القتل العمد لمجموعة كبيرة، أو أمَّة معينة، على أساس عِرقي أو سياسي أو ثقافي. وتُعد كلمة الإبادة الجماعية مزيجًا من اليونانية واللاتينية وتعني «قتل جنس معين». وكانت الفظائع التي ارتكبها هتلر والجيش النازي ضد اليهود عملية إبادة جماعية. فقد حاصر النازيون حوالي ستة ملايين يهودي، وقتلوهم في الفترة من ١٩٣٨ حتى ١٩٤٥. كما قُتِل أكثر من مليوني مواطن من كمبوديا على يد جيش بول بوت للخمير الحمر في الفترة من ١٩٧٥ حتى ١٩٧٩. وخلال مائة يومٍ في عام ١٩٩٤، قُتِل بوحشيةٍ أيضًا حوالي ٨٠٠ ألف من التوتسي في رواندا على يد الميليشيات المسلحة لقبيلة الهوتو. وفي الفترة من ١٩٩٢ حتى ١٩٩٥، قام الصرب بعملية «تطهير عِرقي» للبوسنة والهرسك، بعد أن قتلوا أكثر من ٢٠٠ ألف مسلم في البوسنة. لم تكن هذه الحالات سوى أمثلة قليلة من الإبادة الجماعية التي ارتكبها البشر ضد بعضهم البعض في التاريخ الحديث.

تثير أعمال القتل التي يرتكبها بلا رحمة مجموعة من البشر، الاشمئزاز؛ لأنها ضد شعورنا بالأخلاق والحرية والعدالة! ويبقى السؤال: هل يمكن أن يشارك الله في مثل هذه الأعمال الوحشية ضد شعب أو عِرق معين؟ هل من الممكن أن يُبيد الله البشر إبادة جماعية؟

في سفر التثنية، قال الله لبني إسرائيل: «بل تحرمها تحريمًا: الحيثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين، كما أمرك الرب إلهك،» (التثنية ٢٠: ١٧). وبعد سنوات يقول الكتاب: «فضرب يشوع كل أرض... لم يُبقِ شاردًا، بل حرم كل نسمة كما أمر الرب إله إسرائيل» (يشوع ١٠: ٤٠). لذلك اتَّهم البعضُ من أمثال الملحد كريستوفر هيتشنز، الله، بارتكاب الإبادة الجماعية قائلًا: «كان الكنعانيون يُطرَدون من بيوتِهم بلا رحمة أو شفقة؛ حتى يُفسِحوا المكانَ لبني إسرائيل المتمردين والناكرين للجميل.»[١٧] لذلك هل كان إلهًا بلا رحمة، يمحو عند حمو غضبه أجناسًا كاملة من البشر؟

دافع الله

أولًا: لـم تكـن أيـة عمليـة قتـل مـن الله فـي العهـد القديـم إبـادة جماعيـة. فقـد كان الدافـع لذلـك مخـاوف أخلاقيـة، لا بسـبب الجنـس أو العِـرق. لـم تكـن الإبـادة الجماعيـة ببسـاطة داخـل طبيعتـه. وخـلال الإجابـة عـن السـؤالين: «مـا هـو الله حقًّـا؟ وهـل الله عنيـف»[xviii] اكتشـفنا أن الله رحيـم ورؤوف (المزاميـر ١٠٣: ٨)، وقـدوس وبـار (المزاميـر ١٤٥: ١٧؛ الرؤيـا ٣: ٧)، وعـادل ومنصـف، (المزاميـر ١١٩: ١٣٧، ١٣٨). والله لا يتسـرع فـي الحكـم، بـل هـو «بطـئ الغضـب وكثيـر الرحمـة» (المزاميـر ١٠٣: ٨). لكنـه «جـاء ليديـن الأرض. يديـن المسكونة بالعـدل والشـعوب بأمانتـه» (المزاميـر ٩٦: ١٣). فليـس فـي طبيعتـه، بتاتًـا، ظلـمٌ، أو أن يكـون ظالمًـا.

لـن يكـون الله كامـلًا ومُحِبًّـا دون أن يكـون عـادلًا أيضًـا، ويقضـي بالعـدل. ولا يمكـن أن يديـر وجهـه عنـد ارتـكاب الشـر، ويظـل صالحًـا. يسـاعدنا اللاهوتـي جـا. أي باكـر (J.I. Packer) علـى رؤيـة هـذه النقطـة بوضـوح:

هـل يمكـن أن يكـون الإلـه الـذي لا يهتـم بالفـرق بيـن الصـواب والخطـأ، صالحًـا، وجديـرًا بالإعجـاب؟ هـل يمكـن للإلـه الـذي لا يفـرق بيـن وحـوش التاريـخ مثـل هتلـر وسـتالين مـن جانـب (إن كان يجـرؤ بنـا أن نسـتخدم الأسـماء)، وقديسـيه مـن الجانـب الآخـر، أن يكـون محـل المديـح، والكمـال الأخلاقـي؟ لابـد أن تكـون اللامبـالاة الأخلاقيـة نقصًـا فـي الله، وليس كمـالًا فيـه. إن عـدم إدانـة العالـم قـد تبيـن اللامبـالاة الأخلاقيـة. ويعـد البرهـان الأخيـر بـأن الله كائـن أخلاقـي كامـل، يهتـم بأسـئلة الصـواب والخطـأ، التزامًـا منـه بدينونـة العالـم.[١٨]

الله يقضـي بالعـدل لأنـه إلـه كامـل وقـدوس ومحـب. والتصـرف علـى خـلاف ذلـك لـن يجعلـه فـي مكانـة إلهيـة.

---

xviii راجع السؤالين ١١. مَن هو الله؟ و٢٧. هل الله عنيف؟

أسباب الله

ثانيًا: يجب أن نحدد السبب الذي جعل الله يوصي بدمار شعب بالكامل. قال موسى لبني إسرائيل: «ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم، بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك، ولكي يفي بالكلام الذي أقسم الرب عليه لآبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب» (التثنية ٩: ٥). لم يكن دخول أرض كنعان التي وعد الله أن يعطيها لإبراهيم، بسبب شيء فعله بني إسرائيل، أو لأنهم كانوا يعيشون بصدق لله؛ لأنهم لم يكونوا كذلك. بل امتلكوا الأرض بسبب وعد الله لإبراهيم.

فضلًا عن ذلك، تعرض الكنعانيون إلى التدمير؛ بسبب شرهم؛ لأنهم كانوا يعبدون الأوثان، كما كانوا يرتكبون زنا المحارم، والدعارة في المعابد، والزنا، والمثلية الجنسية، والزنى بالحيوانات. كما كانوا يتحرشون بأطفالهم، ويقدمونهم ذبائح. باختصار كانوا شعبًا فاسدًا. لكن الله تأنى عليهم، وبسط رحمته لهم، حتى في خطاياهم البغيضة. وقد أعطى الله شعب كنعان أكثر من أربعمائة سنة؛ حتى يتوبوا عن طرقهم الرديئة (التكوين ١٥: ١٦). لم يكن الله يحمل شيئًا ضدهم كشعب، لكنه كان يختلف مع سلوكهم الفاسد والشرير، ويعارضه.

مع ذلك، كان الله على استعداد أن يخلص الأبرار داخل كنعان وينقذهم. وهو الذي أنقذ رحاب في أريحا؛ لأنها كانت بارة. وفي نهاية الأمر، جاء الله بالدينونة على جميع الخطاة الذين لم يتوبوا عن خطاياهم. ولكن أهل كنعان لم يُظهروا أيَّ تغييرٍ أو اختلاف. وما أتى من دينونةٍ إلهية على هذا الشعب، لا يعكس أن الله أبادهم إبادة جماعية، بل يكشف ببساطة عن عدله المقدس، وقضائه البار.[xix]

يعد انتشار الشر في العالم واحدًا من أكثر الاعتراضات شيوعًا ضد الله. والسؤال الذي يُكرره كثيرون: لماذا لا يتدخل الله ويوقف الشر والألم؟ وعندما

---

xix لمعالجة أكثر شمولًا، راجع الفصل الثالث عشر بعنوان «هل الله يتزعم عمليات الإبادة الجماعية؟» في كتاب «هل الله مجرد اختراع من البشر؟» المشار إليه في الملاحظات

يتدخل لكي يوقف الشر، كما هو الحال في دينونته على الكنعانيين، يشتكى البشر بأنه يتصرف بقساوة. لكن إن كان الله القدوس والبار، والعالِم بكل شيء، موجودًا بالفعل، أليس من المتوقع أن يحدد مقاييس الدينونة على فاعلى الشر؟ حتى إن لم نفهم تمامًا سبب تدميره للكنعانيين، يمكننا الثقة في أن لديه أسبابًا وجيهة لعمل ذلك. فالله هو الله، ونحن لسنا الله. يقول الله: «لأن أفكاري ليست أفكاركم، ولا طرقكم طرقي،» (إشعياء ٥٥: ٨).

ورغم أننا قد نصارع أحيانًا لفهم أساليب الله التي تتعلق بالعدل والحق، فإننا يجب أن نعترف بإيمان أنه إله رائع وقدوس. يقول عنه الملك داود:

«اللهم، في القدس طريقك. أي إله عظيم مثل الله؟ أنت الإله الصانع العجائب. عرفت بين الشعوب قوتك. فككت بذراعك شعبك،» (المزامير ٧٧: ١٣- ١٥).

٣٠

كيف يمكن لإله مُحب أن يُلقى البشر في الجحيم؟

يعتقد كثيرون أنه ليس من الصواب أن يدين الله البعض، ويُلقيهم في النار، حيث العذاب الأبدي. فكيف لإله المحبة، أن يعاقب البشرَ بالعقاب الأبدي. كيف يتوافق ذلك مع محبته؟ كيف يمكن أن يُلقي الإله المُحب البشرَ في الجحيم؟

لكي نبدأ في الإجابة عن هذا السؤال، سيكون من المفيد أن نفهم أين سيُرسل الله هؤلاء البشر. يعتقد غالبية الأمريكيين أنه سيرسل البشر إلى مكان يدعى الجحيم. ويعتقد الكثيرون أنه مكان للعقاب الأبدي «بالنار والكبريت» مثل غرفة التعذيب بالنار. ولكن هل هذا هو الجحيم؟ هل هو أتون أبدي، حيث يتعرض البشر للعذاب الأبدي؟ ما هو هذا المكان؟

توضيح كلمات الكتاب المقدس

لكي نفهم تعاليم الكتاب المقدس، يجب أن نفهم متى تُستخدَم الكلمات حرفيًّا، ومتى تُستخدَم مجازيًّا. وإن لم نفهم ونميز ذلك، يمكن بسهولة إساءة فهم تعاليمه وكذا تفسيرها. لقد أشار يسوع إلى الجحيم باعتباره مكانًا به نار، والنار في الطبيعي تُصدر نورًا (لوقا ٩: ٤٨). وفي الوقت نفسه، أشار إليه باعتباره مكان «الظلمة الخارجية» (متى ٢٢: ١٣). ويبدو من المعقول أن هذه الكلمات مجازية. وإذا فهمنا المكان حسب المعنى الحرفي، سنجد أن الظلام والنور الذي يخرج من النار سيلغي كلٌّ منهما الآخر. استخدم يسوع كثيرًا الاستعارات في تعاليمه. ونعتقد أن يسوع هنا يقدم صورة لطبيعة هذا الجحيم الذي لا توصف.

يأتي أفضل فهم للجحيم هو بوصف ما ليس موجودًا فيه. ويصفه بولس كمكان «سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته» (٢تس ١: ٩). تخيل أنه مكان ليس للموجودين فيه عَلاقة مع الله. والمكان الذي ليس فيه الله، مكان

دون عَلاقات وحب وفرح وسلام وجمال وشبع ورضا وقبول ومودة وإنجاز وضحك، إلى آخره. وهذا هو الجحيم بالمعنى الحرفي أنه مكان خالٍ من جميع ما هو لله، مكان للوحدة الأبدية؛ لذا فهو يُدعى جحيماً. ونحن نعتقد بأن «الظلمة الخارجية» التي أشار إليها يسوع تصف هذا الغياب الكامل للعَلاقة. وهذه الوحدة الأبدية هي مصدر الألم الذي لا يوصف.

بالمثل، نعتقد أن استخدام استعارة النار الأبدية لوصف الجحيم تشير إلى تحلل الروح. إنها تصف التلاشي الذي لا ينتهي لكل ما هو صالح في حياة الشخص. وفي الحقيقة، نحن أرواح حية، إما أن نُصبح أشخاصًا نحب الله والآخرين بلا أنانية، وهذه هي الحياة الحقيقية، أو نحب أنفسنا بأنانية، وهذا هو الموت الحقيقي. قدَّم الراعي والمدافع والمؤلف تيم كيلر (Tim Keller) فكرة تتعلق بهذا المفهوم:

«حتى في هذه الحياة يمكن أن نرى نوعًا من تحلل الروح التي تتسب فيها الأنانية. ونعرف أن الأنانية والاستغراق في الذات يقودان إلى الشعور بالمرارة، واشمئزاز الحسد، وشلل القلق، والأفكار الموسوسة التي تسبب الذعر، وما يصاحبهم من إنكار وتشوهات العقلية. والآن نطرح سؤالًا: «ماذا سيحدث لو لم تنتهي حياتنا عند موتنا، ولكن امتدَّت روحيًا حياتُنا حتى الأبدية؟ حتمًا سيكون الجحيم هو مسار الروح. والحياة المستغرقة في الذات والأنانية سوف تستمر للأبد.»[١٩]

حذرنا يسوع من حياة الأنانية التي ستنتهي بالخسارة عندما قال: «فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلي فهذا يخلصها. لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله، وأهلك نفسه أو خسرها» (لوقا ٩: ٢٤، ٢٥).

رغبة الله الحقيقية

إذًا الجحيم هو مكان ليست فيه عَلاقة، وفيه يختبر الشخصُ مشاعرَ الوحدة المطلقة. ويعد الجحيم هو المكان الذي تتحلل فيه الروح باستمرار إلى أنانية

أكثر فأكثر. من الصعب تخيل المعاناة في مثل هذا المكان، والوحدة المطلقة للأموات الأحياء هناك. لكن كيف يمكن أن يرسل الله المحب البشرَ إلى ذلك المكان؟ يوضح الكتاب المقدس ذلك بأن الله «لا يشاء أن يهلك أناس، بل أن يقبل الجميع إلى التوبة» (٢ بطرس ٣: ٩). والله يحب العالم كله، وقد مات لكي نختبر حضوره، وكلَّ الفرح والخير الذي يقدمه. لكنه لن يجبرنا حتى نحبه، ونتمتع بعَلاقة معه. لذلك، فالله بالفعل لا يُرسل البشرَ للجحيم، بل البشر اختاروا بإرادتهم أن يرفضوه. لا يجبر الله أحدًا ليكون في عَلاقة معه، لكنه أعطى الإنسان حرية الاختيار؛ وهو ما قد فتح الطريق إلى عواقب من الممكن أن تكون في غاية السلبية.[xx] وعندما يختار البشر أن يخدموا أنفسهم بدلًا من الله، فإنهم يختارون في النهاية مكانًا خالٍ من العَلاقة، ملآن بالذات. وهو ما يُدعى الجحيم.

قال سي. إس. لويس (وهو كاتب وباحث إيرلندي): «جميع مَن في الجحيم قد اختاروه.. فباب الجحيم مغلق عليهم من الداخل.»[٢٠] يختار البشر أن يخدموا أنفسهم؛ لأنه ليس من المريح لهم أن يخدموا الله والآخرين. أما السماء، حيث يقيم الله، هي مكانٌ للعبادة والخدمة المستمرة له (راجع الرؤيا ٤). ومن اختار الحياة الأنانية لن يحتمل السماء.

الله لا يريد لأحد أن ينتهي به الحال في الجحيم، لكنه لن يجبرهم على اختياره، حتى يتمتعوا بالفرح الأبدي معه. لقد قدَّم الله نفسه ببساطة لهم؛ حتى يخلصهم من أن يعيشوا الأبدية بدونه. وقال يسوع: «أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا، وكل من كان حيا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد» (يوحنا ١١: ٢٥، ٢٦).[xxi]

---

xx راجع السؤال رقم ١٦. من أين يأتي الشر؟

xxi لمزيد من المعلومات الكتابية الشاملة عن الجحيم، راجع الفصل الثاني عشر بعنوان «هل الجحيم حجرة تعذيب إلهية؟» في كتاب «هل الله مجرد اختراع من البشر؟» المشار إليه في الملاحظات

٣١

هل الله يعاقب البشر من خلال الكوارث الطبيعية؟

تعرضت هاييتي البلد الصغير إلى التدمير في عام ٢٠١١ بسبب زلزال مدمر. وفي عام ٢٠٠٥، دمَّر إعصار كاترينا ساحل الخليج في الولايات المتحدة. وتسبب زلزال ٢٠١١، وتسونامي الذي حدث في اليابان، في دمار هائل. وكلَّ عامٍ، يحدث آلاف من الزلازل، والتسونامي، والأعاصير، والفيضانات، والأعاصير المدارية، والأعاصير الحلزونية، والأعاصير الدوامية، والبراكين، والجفاف، والانهيارات التي تسبب خسائر بمليارات الدولارات، وقتل عشرات الآلاف من الرجال والنساء والأطفال والحيوانات. يقول الكتاب المقدس إن المسيح: «فيه يقوم الكل» (كولوسي ١: ١٧). لذا هل هو مسؤول عن هذه الكوارث الطبيعية؟ هل يُعاقِب الله البشرَ من خلال الزلازل، والبراكين، والأعاصير، والفيضانات، وكل أنواع الكوارث الطبيعية؟

يسجل العهد القديم العديد من الحوادث التي منع الله فيها المطرَ عن إسرائيل (١ ملوك ١٧: ١)، وأرسل الضربات على مصر (الخروج ٣: ١٩، ٢٠)، وشق الأرض وابتلعت بيت قورح الذي تمرد على موسى (العدد ١٦: ٢٩- ٣٣). إن الله يتحكم تمامًا في كل ذرة من ذرات الكون. كما رأينا أن يسوع كان له سلطان على المناخ عندما هدَّأ العاصفة لتلاميذه (لوقا ٨: ٢٤). لذلك يقول البعضُ اليومَ إن يسوع يستخدم العوامل الطبيعية لتحقيق مشيئته، خاصة في تنفيذ قضائه على الأمم والبلدان والمدن والقرى.

الله بالفعل له السيادة على كل الكون، ويتحكم في كل الخليقة بالكامل. لكن هذا ليس معناه أنه اختار أن يتلاعب بكل الظواهر الطبيعية. بلا شك الله لديه القدرة على التدخل في العالم الطبيعي، وقد فعل ذلك، ولا يزال، لكنه على سبيل المثال، لا يتسبب بالضرورة في كل تغيُّر مناخي. كما أن كل كارثة طبيعية ليست من «عمل الله».

يعلمنا سفر التكوين أن العالم كان مكانًا مثاليًّا وحسنًا، ولكن بعد تمرد البشر ضد الله (وارتكابهم الخطية)، أصبح الموت هو النتيجة الطبيعية، أي الانفصال عن الله الذي كان يحافظ على الحياة، وكل ما هو حسن. وبعد هذا الانفصال، واجه

آدم وحواء عالمًا يعاني من الحياة الصعبة، تحدث به الكوارث الطبيعية. يبدو أن الكوكب قد عانى من الانتقال إلى العنف. ومنذ ذلك الحين، والهواء البارد يتصادم مع الهواء الدافئ، وتتشكل أنماط الطقس غير المستقر، والأعاصير المدارية تتلوى، والأعاصير الدوامية تدور مثل الدوامة، والأمطار تتساقط، والفيضانات تأتي، والأرض تتزحزح، والتربة تهتز، والبراكين تتفجر. واليوم يحدث في الأرض أكثرُ من ألفي عاصفةٍ رعدية في وقتٍ واحد. فضلًا عن ذلك، يتلقى كوكبُنا أكثرَ من مائة صاعقة صادمة من البرق كل ثانية، وحوالي ٣.٦ تيريليون صاعقة في السنة.[٢١] نحن نعيش فوقَ أرضٍ عنيفة.

لكن الله لا يُسَر بالكوارث الطبيعية أكثر منا. وسيجلب السلام على الأرض العنيفة. يقول الكتاب المقدس: «لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله. لأن الخليقة نفسها أيضًا ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معًا إلى الآن» (رومية ٨: ١٩، ٢١، ٢٢).

يقول خبراء الأرصاد الجوية إن الفيضانات هي القاتل رقم واحد بين الكوارث الطبيعية. ولعل الرسالة ليست أن الله يعاقب البعيدين عنه، بل بالأحرى أنه ينبغي علينا أن نكون أكثر حذرًا بخصوص الأماكن التي نبني فيها أعمالنا التجارية ومنازلنا. فقد تمكن البناءُ الحديث من بناء حواجز لمنع الفيضان، ووفرت أجهزة تحكم أخرى الملايين من الأفدنة للمجتمعات؛ حتى تنمو في جميع أنحاء العالم. وعندما تفيض أو تنكسر هذه الأجهزة أو الوسائل، يحدث تدمير للمجتمعات المنخفضة. وهذا لا يعني أن الله لا يستطيع أن يتكلم أو يدين البشر من خلال الكوارث الطبيعية. لكن هذا الكوكب يتبع قوانين الفيزياء والطبيعة. لذلك من الحكمة عدم إلقاء اللوم على الضحايا أو الله عندما تحدث مأساة طبيعية.

إن الحياة على الأرض غير مؤكدة، ولا شيء مضمون فيها. تحدث أشياء جيدة للأشرار، كما تحدث أشياء سيئة للأبرار. قال يسوع إن الله: «يشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين» (متى ٥: ٤٥). وعندما تحدث الكوارث الطبيعية، بدلًا من الاستفسار عَمَّا إذا كان الله يعاقبنا شخصيًّا، من الأفضل اتباع نصيحة بطرس: «فتواضعوا تحت يد الله القوية لكي يرفعكم في حينه، ملقين كل همكم عليه، لأنه هو يعتني بكم،» (١ بطرس ٥: ٦، ٧).

٣٢

لماذا يسمح الله بالألم؟

لن تستوعب الكتب أخبار الألم التي اجتاز فيها البشر منذ فجر التاريخ.

وهنا تساءل بارت إيرمان (Bart Ehrman)، الأستاذ الذي يؤمن باللا أدرية ومؤلف كتاب «مشكلة الله»:

«نحن نعيش في عالم يموت فيه طفل كل خمس ثوان بسبب الجوع. وكل دقيقة يموت خمسة وعشرون شخصًا بسبب عدم وجود مياه نظيفة للشرب. وكل ساعة يموت سبعمائة شخص بسبب الملاريا. أين الله من كل هذا؟»[٢٢]

كيف يمكنك تفسير كل هذا البؤس والألم في العالم إن كانت لله السيادة والسيطرة على الأمور؟ هل توجد إجابة عن هذا التساؤل الذي حيَّر ويُحيِّر كثيرين في العالم أجمع: لماذا يسمح الله بالألم؟

يقول البعض إن الألم هو «عقاب الله للخطية» أو «اختبار إيمان» أو «هجوم شيطاني على البشر وكوكب الأرض» أو «وسيلة الله للفداء» أو «لغز كبير لا نمتلك الحق في استجواب الله بشأن حدوثه». لكننا نؤمن أنه سؤال وجيه يستحق الإجابة عنه. ونعترف أن المناقشة المختصرة حول هذا الموضوع غير كافية، ونأمل على الأقل في تقديم بعض وجهات النظر.

أولًا: لا أعتقد أنه يمكن لأي تفسيرٍ منطقي أن يُرضي إلى حدٍّ ما الصرخة العاطفية العميقة لحل المشكلة المروِّعة للألم والمعاناة. لذلك نعترف أن العقل والحديث الفلسفي لا يمكن أن يجيبا إجابةً كاملة عن صرخات القلب! لكن هذا لا يعني أنه لا ينبغي التفكير بعمق في الموضوع. لكن وُضِعت جميعُ الأشياء في الاعتبار، ونحن نعتقد أن وجهة النظر المسيحية تقدم أكثر الإجابات المُرضية فكريًّا، والمُشبِعة عاطفيًّا لمشكلتي الألم والشر.

منذ البداية، أعطى الله البشرَ المخلوقين على صورته، القدرة على الاختيار الحر،

أو الإرادة الحرة.[xxii] ومِن المنظور البشري، خاطر الله مخاطرةً شديدة بعمل ذلك؛ لأن البشر قد يختارون طرقهم الخاصة، وليس طرق الله. وبالطبع هذا ما فعلوه. قد لا يبدو ذلك مدهشًا من حيث الظاهر، لكنه الحقيقة.

فإذا قبلت فرضية أن «كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق،» (يعقوب ١: ١٧)، ستقبل على الأرجح فكرة أن اختبار حياة الفرح والسلام والوداعة والجمال واللطف والمحبة، وكلَّ ما هو صالح، تعتمد وتتوقف علينا. إنها نتيجة العَلاقة مع الله، والحياة وفقًا لطرقه. لذلك، فإن لم يَختر الإنسانُ المحدود المخلوق أن يكون في عَلاقة مع الله، ما البديل؟! تعد الحياة التي بدون الفرح والسلام والمحبة والصلاح، وما إلى ذلك، حياة مضادة لحياة الله، تثمر عن حياة الألم والمعاناة.

تخيل أن أول عائلة من الأسماك كانت من الكائنات الذكية التي لها أرواح أبدية. وبالطبع خُلِقت الأسماك لتعيش في المياه، حيث تتنفس «الأكسجين الجيد» بالخياشيم في بحيرة الجنة. لكن ماذا لو اختارت أول عائلة من الأسماك أن «تعيش» خارج بيئتها المثالية في بحيرة الجنة؟ كما نعلم سيكون ذلك خطأ فادحًا. حيث لم تُصمَّم الأسماك لتتنفس من الهواء الطلق؛ لأن «أكسجين الهواء سيء» بالنسبة لها. وإن فعلت الأسماكُ ذلك، ستختبر الألم والمعاناة. لكن، ولأن لهذه الأسماك أرواح أبدية، ستعاني من «موت الأحياء». ولننتقل لِمَا أبعد من هذا، ما الذي سيحدث لكل ذرية من هذه الأسماك؟ بالتأكيد ستنتقل تجربة «موت الأحياء» لكل الأسماك المولودة بعد ذلك خارج بحيرة الجنة. هل هذه المأساة هي خطأ من الخالق؟ أم هي المعاناة التي تسببت فيها الأسماك الأولى التي اختارت أن تعيش خارج الجنة، على عكس ما صُمِّمت عليه، حيث كانت في عَلاقة مع صانعها؟

مع العلم أن هذا التوضيح لا يجيب عن كل التفاصيل الصعبة لسبب حدوث الألم، لكن لعله يساعدنا على تذكر أن الخالق غير المحدود والكامل والقدوس

---

xxii راجع السؤال رقم ١٦. مِن أين يأتي الشر؟

والصالح قد خلق البشر ليستمتعوا بالحياة في عَلاقة معه. وقد أعطى الله أولَ زوجين شيئًا جيدًا للغاية، هو القدرة على الاختيار! الاختيار بين حب الله بلا أنانية، والتصديق في أنه يعرف الأفضل لهم (وهو شيء جيد للغاية)، أو أن يحبوا أنفسهم محبة أنانية، ويصدقوا أنهم يعرفون الأفضل لهم (وهو شيء سيء للغاية). كان الله يريد من البشر (المحدودين) أن يثقوا في أن الله غير المحدود يعرف الأفضل لهم. كان يريد منهم أن يطيعوه أولًا بدون أنانية، ويتعلموا طرقه في الحياة التي كانت هي طرق الفرح والسلام والصلاح. ولو كان الزوجانِ الأوائل قد اتَّبعا هذا الطريق، كانا سيتجنبان الألم والمعاناة.

ما الذي يفعله الله بشأن الألم؟

هنا يمكن إلى حدٍّ ما صياغة إجابة لاهوتية أو فلسفية عن سبب وجود الألم. ولماذا سمح في الواقع الاختيارُ الحر بوجوده. ولكن في الكثير من النواحي، شدة الألم البشري تسحق عاطفيًّا العقلَ أو المنطق، وتُصعِّب من تقديم إجابة مُرضية تمامًا. وعلى الأغلب، لا يعالج الكتاب المقدس سبب وجود الألم بطريقة مباشرة. ومع ذلك، يعلمنا الكتاب بداية من التكوين وحتى الرؤيا ما الذي يفعله الله بشأن الألم. فالله لم يتجاهل الألم، بل فدى العالم منه.

عندما اختار البشر أن يرفضوا الله وطرقه، تسبب ذلك في الألم للبشرية، والمعاناة التي لا يمكن قياسها. لكن لم تكن البشرية هي الوحيدة التي تعرضت للألم. كان لله رد فعل شخصي تجاه الألم. فقد تألم هو أيضًا، يقول الكتاب عن الله: «تأسف في قلبه» (التكوين ٦: ٦). وعلى الرغم أن الله «طويل الروح وكثير الرحمة» (المزامير ١٠٣: ٨)، فقد غضب لأن الخطية قد جاءت بالألم والمعاناة إلى خليقته. كما غضب الله؛ لأن الموت قد فصله عن أبنائه الذين خلقهم. كما غضب من خصمه اللدود الذي له سلطان الموت.

لكن في غضبه المقدس، وكثرة رحمته، أخذ يسوع موقفًا! فقد وعد إبراهيم منذ زمن بعيد أن من نسله سيقدم الله حلًّا جذريًّا للمعاناة والألم والموت. ووعد الله أولادَ إبراهيم قائلًا: «ويفني في هذا الجبل وجه النقاب. النقاب الذي على

كل الشعوب، والغطاء المغطى به على كل الأمم. يبلع الموت إلى الأبد، ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه، وينزع عار شعبه عن كل الأرض؛ لأن الرب قد تكلم» (إشعياء ٢٥: ٧، ٨).

كان حلُّ الله لكل الألم هو أن يتخذ صورة إنسان، ويتألم هو أيضًا. وقد اختبر يسوع الثقلَ الكامل للمعاناة البشرية، من جوع وخيانة ورفض وشعور بالوحدة، وعذاب الموت على الصليب. لذلك يعرف الله الألمَ بمفهومه الحقيقي. وقد أعلن تعاطفه معنا (راجع العبرانيين ٢: ١٨؛ ٤: ١٥). لكن الأمر لم ينتهِ عند ذلك. لقد قام يسوع مرةً أخرى؛ حتى يسترد الساقطين من قوة الموت، ومن سلطان عدوه القديم، أي إبليس نفسه. «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضًا كذلك فيهما، لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس،» (العبرانيين ٢: ١٤).

الله لن يسمح للشيطان بأن يدمر خليقته. وقد أعد خطة للفداء وللاسترداد. يقول الكتاب المقدس:

«ولكن كل واحد في رتبته: المسيح باكورة، ثم الذين للمسيح في مجيئه. وبعد ذلك النهاية، متى سلم الملك لله الآب، متى أبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة. لأنه يجب أن يملك حتى «يضع جميع الأعداء تحت قدميه». آخر عدو يبطل هو الموت» (١ كورنثوس ١٥: ٢٣- ٢٦)

«لأجل هذا أظهر ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس» (١ يوحنا ٣: ٨).

«ومتى أخضع له الكل، فحينئذ الابن نفسه أيضًا سيخضع للذي أخضع له الكل، كي يكون الله الكل في الكل» (١ كورنثوس ١٥: ٨).

الله يعرف بالطبع أننا نحن البشر لن نثق في أنه يعرف الأفضل لنا، وأننا سنختار بطريقتنا. لكن، ولأن محبتُه لنا حقيقة، كان لا بد أن يكون كل شيء من اختيارنا. كان الله يرغب في السماح لنا بالاختيار، حتى لو تسبب ذلك له بالألم الشديد؛ كي يفدينا، ويستردنا له.

يمكنك أن تسمع الحزن في صوت يسوع وهو يُعرب عن آسفه لأن إسرائيل- باعتبارها ممثلًا عن الجنس البشري- رفضته شخصيًّا، ورفضت طرقه: «يا أورشليم، يا أورشليم! يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم تريدوا!» (متى ٢٣: ٣٧). أليس من المدهش مقدار الاحترام والإكرام الذي يُظهره الله لاختياراتنا، على الرغم من فهمه الكامل للآثار المدمرة لهذه الاختيارات عليه وعلينا؟ وهذا في حد ذاته يوضح أن إلهنا العَلاقاتي يحترم بشدة الحقيقة التي تؤكد أن «الحب اختيار».

لكن مع كل ما قيل، لا تزال هذه القضية تزعجنا: فإذا كان الألم نتيجة طبيعية للاختيار الحر، لماذا يتألم الأبرياء؟ لماذا لم يفعل الله شيئا عاجلًا لوضع حد لهذا الألم؟ فإن كان الله سوف يقهر الموت في النهاية، لماذا يأخذ ذلك وقتًا طويلًا ليفعل ذلك؟ وهذا هو موضوع السؤال القادم.

٣٣

لماذا لا يُوقف الله الألم الآن؟

هذا العالم ملىء بالمعاناة والألم، والله يسمح بهما. وعلى الرغم أننا قد نفهم لماذا يسمح الله بالألم،[xxiii] فإننا لا نزال نتساءل: لماذا لا يضع حدًّا له الآن؟ لماذا سمح له بالاستمرار وقتًا طويلًا؟ وهذا سؤال من الأسئلة المزعجة جدًّا.

خلق الإله الكامل والقدوس عالمًا مثاليًّا. يقول الكتاب: «ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جدًّا» (التكوين ١: ٣١). لكن لم يستمر الأمر هكذا طويلًا. وبسبب الإرادة الحرة، كان على البشر أن يختاروا بين طريق الله أو طريقهم. وقد اختاروا طريقهم، وبالتالي دخلت الخطية والشر العالم. وقد تعرضت الجنة المثالية التي صنعها الله إلى التدمير. ومنذ تلك اللحظة فصاعدًا، وعلى مدار آلاف من السنين، ابتلى الجوعُ والمرض والكراهية والحروب، والأسى الذي يفوق الوصف، الجنسَ البشري. لكن الله وعد بالفعل أن يفدى أولئك الذين يؤمنون بالخلاص الذي يقدمه الابن، وأن يسترد الخليقة مرةً أخرى إلى تصميمه الأصلي. لكن لماذا يأخذ الله وقتًا طويلًا ليُصحِّح الفوضى المأساوية التي تسبب فيها البشرُ بهذا العالم؟

سؤال صعب..!

نعترف أننا لا نستطيع تقديم تفسير مُرضى لسبب سماح الله للألم ما دام موجودًا. ونحن نتفق مع بارت إيرمان الملحد أن السؤال الذي ذكرناه في الفصل السابق «أين الله من كل هذا الألم؟» هو سؤال موضوعي، على الرغم أننا نختلف مع إجاباته واستنتاجاته.

لكن السؤال المذكور «لماذا يأخذ الله وقتًا طويلًا لإنهاء الألم والمعاناة؟» من الأسئلة المحيرة. ومنذ أكثر من ٢٥٠٠ سنة، طرح حبقوق نبى يهوذا السؤالَ

---

xxiii راجع السؤال رقم ٣٢. لماذا يسمح الله بالألم؟

نفسَه، حيث كان يعيش في وقتٍ كانت يهوذا فيه ملئية بالشر والظلم، وقد عانى العديد من الأبرياء وتألموا. وتساءل النبيُّ حبقوق قائلًا: «حتى متى يا رب أدعو وأنت لا تسمع؟ أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تخلص؟ لم تريني إثمًا، وتبصر جورًا؟» (حبقوق ١: ١- ٣). كان يبدو لحبقوق أن الله يتجاهل مشكلة الألم والمعاناة.

كما كانت لأيوب أيضًا الشكوى نفسُها. فقد تعرض قطيع كبير من ماشيته إلى السرقة، وقُتِل جميعُ عمال المزرعة، ما عدا ناجٍ واحد. وتعرض بيتُه للتدمير، ومات جميعُ أولادِه. وكذلك ضرب الشيطانُ أيوبَ بقرح رديء من باطن قدمه إلى هامته. وبينما كان يجلس في حالةٍ مزرية يحك قروحه بشقفة، كانت التعزية والنصيحة الوحيدة من زوجته التي قالت له: «بارك الله ومت!» (أيوب ٢: ٩).

بدلًا من ذلك، لعن أيوبُ اليومَ الذي وُلِد فيه، وتساءل: «لرجل قد خفي عليه طريقه، وقد سيج الله حوله... لم أطمئن ولم أسكن ولم أسترح، وقد جاء الرجز» (أيوب ٣: ٢٣، ٢٦). لم يستطع فهم السبب الذي يجعل الله يسمح بالألم لهؤلاء الذين بلا مستقبل.

كما أن الملك داود قد طرح أسئلته على الله أيضًا. كان داود يتعرض لسوء الفهم والمعاملة والخيانة على أيدي أعدائه. فصرخ قائلًا:

«إلى متى يا رب تنساني كل النسيان؟ إلى متى تحجب وجهك عني؟ إلى متى أجعل همومًا في نفسي وحزنا في قلبي كل يوم؟ إلى متى يرتفع عدوي عليَّ؟ انظر واستجب لي يا رب إلهي. أنر عيني لئلا أنام نوم الموت» (مز ١٣: ١-٣).

ما هي إجابة الله؟ لماذا لم يوقف هذا الجنون؟ اليوم في القرن الحادي والعشرين، ينتشر الظلم في كل مكان. ويحظى بالحياة من ليس لهم مستقبل حقيقي. وقد رأينا البؤس واليأس عند الجياع والمكسورين. أين هو الله؟ لماذا يسمح باستمرار ذلك؟

حتى يسوع تساءل: لماذا؟!

السؤال الأخير الذي نتناوله قبل أن نقدم إجابة، هو ما طرحه يسوع، الله الكامل، والإنسان الكامل في الوقت نفسه. لكن دعونا نؤكد أولًا أن يسوع كان يعلم أنه سيتألم، ويموت مِيتة قاسية عن خطايا العالم. لكن قبل صلبه، صلى يسوع قائلًا: «يا أبتاه، إن أمكن فلتعبر عني هذه الكاس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت» (متى ٢٦: ٣٩). لم يكن غريبًا أن يسوع، على المستوى البشري، لا يريد أن يتألم. ومن الواضح أنه كان يصارع مع علمه بأنه سيجتاز في ألمٍ شديد، ومعاناةٍ كبيرة. فعلى المستوى الإنساني، لم يكن يريد أن يتحمل الموتَ بالتعذيب على الصليب، لكنه فعل ذلك لأجل الله الآب.

وبعد ساعاتٍ، طرح يسوع ربما أكثر الأسئلة المحيرة عبرَ كل العصور، لَمَا تساءل حين كان معلقًا على الصليب، وهو يتعرض للموت البشع، مُستجمِعًا قوتَه: «إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟» (متى ٢٧: ٤٦). ويا له من سؤال يطرحه ابن الله على الآب! فقد كان يسوع في الواقع يقتبس مزمور ٢٢: ١ عندما طرح الملك داود سؤالًا قائلًا: «إلهي، إلهي، لماذا تركتني، بعيدًا عن خلاصي، عن كلام زفيري؟ إلهي، في النهار أدعو فلا تستجيب، في الليل أدعو فلا هدو لي» (المزامير ٢٢: ١، ٢).

يبدو المشهد هنا كما لو أن يسوع قد تكلم بالنيابة عن الجنس البشري، حين تساءل: «يا الله، لماذا تركتنا؟»، كما لو أن صرخته قد تضخمت لكي تردد صدى طرد أول زوجين من جنة عدن، وتتطلع إلى نهاية الوقت وكأنه يتساءل مثلنا: «لماذا لا تفعل شيئًا الآن بشأن هذا الألم؟»

يرغب الله في المزيد من العَلاقات..!

لا نعرف كيف أجاب الله على الابن وهو على الصليب. لكن تُرِكت أسئلة حبقوق وأيوب وداود بلا تفسير. ابحث في جميع أسفار الكتاب المقدس، وستجد القليل من الإجابات. ويشير الرسول بطرس إلى أن الله ينتظر المزيد من البشر

حتى يرجعوا إليه، قائلًا: «لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ، لكنه يتأنى علينا، وهو لا يشاء أن يهلك أناس، بل أن يقبل الجميع إلى التوبة... واحسبوا أناة ربنا خلاصًا،» (٢ بطرس ٣: ٩، ١٥).

من الحقيقي أنه كلما تأنى الله في مجيئه، زاد عدد الذين يرجعون إليه. ذكر كتاب «وجهات نظر» أن دراسات «عالم العمليات» قد أظهرت أن عدد المسيحيين بلغ من عام ١٨٨٧، وبعد مائة عام من العمل الكرازي المسيحي في جميع أنحاء العالم، حوالى ثلاثة ملايين مسيحي بروستانتي، من عالم يتخطى عدد سكانه وقتها مليار ونصف المليار نسمة. واليوم، وبعد مرور أكثر من مائة عامٍ أخرى، تغيرت هذه الأرقامُ تغييرًا كبيرًا.

قد تكون نسبة المسيحية تراجعت في الغرب، ولكن الأمر ليس كذلك في المناطق الرئيسة الأخرى. على سبيل المثال، في عام ١٩٠٠، بلغ عدد المسيحيين ثمانية ملايين شخص في إفريقيا، وبحلول عام ٢٠٠٠، وصل عددهم إلى ٣٥١ مليون مسيحي.

أصبحت المسيحية الآن هي الديانة الرئيسة في جميع أنحاء جنوب الصحراء الكبرى بأفريقيا. وفي عام ١٩٠٠، كان هناك حوالي ٢٢ مليون مسيحي في آسيا، وبعد عدة أعوامٍ، بلغ عددُهم حوالي ٣٧٠ مليون. وفي الفترة من ١٩٠٠ حتى ٢٠٠٠، تزايد عدد الإنجيليين في أمريكا اللاتينية من ٧٠٠ ألف إلى أكثر من ٥٥ مليون نسمة. كما يتزايد عدد المسلمين الذين يقبلون المسيح في الشرق الأوسط أكثر من أي وقت مضى في التاريخ. وقد لخص تقرير «عالم العمليات» لعام ٢٠٠٦، ذلك كما يلي:

تعد المسيحية الإنجيلية حاليًا هي الأسرع نموًّا في العالم اليوم. ويمثل النمو الإنجيلي أكثر من ضعف معدل نمو أقرب الأديان التالية في الترتيب وهو (الإسلام)، وأكثر من ثلاثة أضعاف من معدل نمو سكان العالم.[٢٣]

هل هذا يعني أن طالما كثيرون من سكان الأرض يرجعون إلى المسيح،

سيتأنى الله على وضع حد لذلك كله؟ لا نعرف. لكن الله يعرف الأمر، ويبدو من الواضح أنه اختار أن لا يفسر تفسيرًا كاملًا «لماذا يسمح بالشر والمعاناة والألم والموت بالاستمرار- كما هو الحال حاليًا».

استمع لِمَا قاله الله إلى حبقوق: «انظروا بين الأمم، وأبصروا وتحيروا حيرة. لأني عامل عملًا في أيامكم لا تصدقون به أن أخبر به» (حبقوق ١: ٥). نعم، الله كانت لديه خطة، ولا تزال قائمة، ولديه سبب لعمل ما يعمله، لكنه لم يشرحه بالكامل إلى حبقوق. بكل تأكيد يمكن أن يشرح الله لنا اليوم سبب وجود الشر، وسبب انتظاره لقرون من الزمن حتى يحقق هدفه الأسمى «بمصالحة العالم لنفسه» (٢ كورنثوس ٥: ١٩). يمكن أن يفسر لماذا لم يُعِد خلق هذا العالم كمكان «الموت لا يكون في ما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد،» (الرؤيا ٢١: ٤). لكنه اختار أن لا يفسر ذلك لنا. ومع ذلك هذا لا يعني أنه ليست لدينا إجابة.

التركيز على الله نفسه

يبدو أن الله أعطى فهمًا إلى حبقوق، بالاستجابة التي يريدها منه، ومن كلٍّ منا. وبدلًا من محاولة معرفة تفاصيل خطته، يريدنا الله أن نركز على شخصه. فقد قال إلى حبقوق:

«لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد، وفي النهاية تتكلم ولا تكذب. إن توانت فانتظرها لأنها ستأتي إتيانا ولا تتأخر. هوذا منتفخة غير مستقيمة نفسه فيه. والبار بإيمانه يحيا» (حبقوق ٢: ٣، ٤).

يريدنا الله أن نثق فيه شخصيًّا، حتى لو لم نكن نفهم خطته. قال أيوب له: «قد علمت أنك تستطيع كل شيء، ولا يعسر عليك أمر. فمن ذا الذي يخفي القضاء بلا معرفة؟ ولكني قد نطقت بما لم أفهم. بعجائب فوقي لم أعرفها» (أيوب ٤٢: ٢، ٣). لكن كيف استنتج أيوب أن طرق الله وخططه تتخطى فهمه؟ عرف ذلك من خلال معرفة الله شخصيًّا: «بسمع الأذن قد سمعت عنك، والآن

رأتك عيني» (أيوب ٤٢: ٥). لم يعد تركيزه على الخطة، بل في شخص وثق فيه لمعرفة ما فعله.

فهم الملك داود الرسالة بأن عليه أن يعيش بالإيمان في شخص الله أيضًا. وبعد أن سأل الله: «لماذا تركتني؟» أعلن: «وأنت القدوس الجالس بين تسبيحات إسرائيل. عليك اتكل آباؤنا. اتكلوا فنجيتهم. إليك صرخوا فنجوا. عليك اتكلوا فلم يخزوا» (المزامير ٢٢: ٣- ٥). اقرأ مزمور ٢٢ بالكامل، وستجد أن داود قد فهم الرسالة. قد لا يكون فهم سبب تأخر الله في وضع كل الأمور في نصابها الصحيح، لكنه كان يؤمن أن الله صالح، ويعرف ما يعمله.

لقد كان يسوع هو المثال الذي قدَّم لنا ما يجب أن نعمله، وذلك بوضع إيماننا وثقتنا في الله، الذي يصنع كل الأشياء في التوقيت المناسب، رغم أنه كان يعرف بصفته الله، أن الألم الذي سيتعرض له هو الحل الوحيد للخطية، والألم، والموت. قال بطرس:

«لأنكم لهذا دعيتم. فإن المسيح أيضًا تألم لأجلنا، تاركًا لنا مثالًا لكي تتبعوا خطواته. الذي لم يفعل خطية، ولا وجد في فمه مكر، الذي إذ شتم لم يكن يشتم عوضًا، وإذ تألم لم يكن يهدد بل كان يسلم لمن يقضي بعدل» (١ بط٢: ٢١-٢٣).

قد لا نفهم خطة الله، لكننا نثق فيه، فهو أمين وعادل ويقضي بالعدل، وهو دائمًا معنا. قال يسوع: «سلامًا أترك لكم. سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا. لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب» (يوحنا ١٤: ٢٧). وقد صلى إلى الآب لكي يرسل الروح القدس حتى يرشدنا ويعزينا ويكون معانا مهما حدث. وقال يسوع: «وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (متى ٢٨: ٢٠).

٣٤

هل لدى الله مشاعر وعواطف؟

تعد العواطف حالة من المشاعر، أو اختبار مشاعر معينة على أساس مؤثرات داخلية وخارجية. وتتناول العديد من النظريات التي ترجع إلى أفلاطون وأرسطو ماهية المشاعر، ومن أين تأتي. ويتمتع البشر، والحيوانات حتى، بالمشاعر والعواطف. وتشمل بعض المشاعر الإنسانية الأساسية: الفرح والسرور والسعادة والرضا والابتهاج والارتياح والانجاز والكمال، وما إلى ذلك. وتضم أيضًا الحزن، والغم، والإحباط، وانكسار القلب، والاكتئاب، وما إلى ذلك، وكذلك الحماس والنشوة والحيوية والسعادة الغامرة، والإثارة وهكذا. كما تتضمن المشاعر الخوف والهلع والرعب والقلق والتوتر، وكذا الغضب والغيظ والضيق والحدة والجنون والاستياء، وتشمل أيضًا الرقة والمحبة والحنية والحميمية والتعاطف، إلى آخره.

يقدم العديد من واضعي النظريات تعريفًا لبعض المشاعر باعتبار أنها أساسية، والبعض الآخر يعتبرها معقدة. ويبدو أنه لا يوجد اتفاق على كيفية تحديد المشاعر الأساسية والمعقدة. ومع ذلك، من المتفق عليه على مستوى العالم، أننا كائنات عاطفية معقدة، لديها مشاعر سليمة، وأخرى غير صحية، وأحيانًا توجد اضطرابات عاطفية. لكن، من أين تأتي مشاعرُنا؟ وهل خلقنا الله بها لأنه لديه مشاعر وعواطف أيضًا؟

يقول سفر التكوين: «وقال الله: «نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا،» (التكوين ١: ٢٦). بالتالي إذا الله لديه مشاعر، وربما نقل هذه المشاعر لنا. والله غير محدود في وجوده الأبدي، وهو كلي السلطان والوجود والمعرفة، إلى آخره.[xxiv] لكننا بشر محدودون، ولا نحمل مثل هذه السمات التي يتمتع بها الله. فنحن نعرف أنه أيضًا قدوس، وكامل، وبار. ولا يمكن أن يفعل خطية، أو شيئًا

---

xxiv راجع السؤال رقم ١١. مَن هو الله؟

خاطئًا. كما نعلم أننا كبشر خطاة لا يمكن أن نرث طبيعته المقدسة. لكننا ورثنا صورته العَلاقاتية.

إن الله موجود في صورة عَلاقة بين ثلاثة أقانيم يتشاركون في مادةٍ واحدةٍ وجوهر واحد لله.[xxv] ويشير الكتاب المقدس إلى الخالق قائلًا: «فإنك لا تسجد لإله آخر؛ لأن الرب اسمه غيور هو» (الخروج ٣٤: ١٤). ولأن الله عَلاقاتي؛ فهو يعبر عن مشاعر عَلاقاتية. على سبيل المثال، قبل أن يأخذ صورة إنسان في شخص الرب يسوع، يذكر الكتاب المقدس لنا بعض المشاعر التي عبَّر عنها الله:

- شعر بالرضا (التكوين ١: ٣١).
- شعر بالأسف (التكوين ٦: ٦).
- شعر بالاستياء (٢ صموئيل ١١: ٢٧).
- شعر بالفرح (نحميا ٨: ١٠).
- شعر بالحزن (التكوين ٦: ٦).
- شعر بتقديم الرعاية (التثنية ١: ٣١).
- يشعر بالسرور (المزامير ١٨: ١٩).
- يشعر بالغضب (الخروج ٣٢: ٩).
- يشعر بالسعادة والمسرة (المزامير ١٦: ٣).
- يشعر بالغيرة (الخروج ٢٠: ٥).

على الرغم من كل مشاعره، لا يفعل الله خطية البتة (التثنية ٣٢: ٤). كما أن مشاعره لا تغيره؛ لأنه لا يتغير (المزامير ١٠٢: ٢٦، ٢٧؛ العدد ٢٣: ١٩). وتعد

---

xxv راجع السؤال رقم ١٣. ما المقصود بأن الله ثالوث؟

مشاعره تعبيرًا عن طبيعته المقدسة، وقلبه الملآن محبة في العَلاقات. والله لا تحدث معه أيضًا اضطرابات عاطفية. ولكننا كبشر، وعلى عكسه، لدينا مشاعر تعكس رغبات الطبيعة الخاطئة. يقول الكتاب:

«وأعمال الجسد ظاهرة، التي هي: زنى، عهارة، نجاسة، دعارة، عبادة الأوثان، سحر، عداوة، خصام، غيرة، سخط، تحزب، شقاق، بدعة، حسد، قتل، سكر، بطر، وأمثال هذه التي أسبق فأقول لكم عنها كما سبقت فقلت أيضًا: إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله. وأما ثمر الروح فهو محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف» (غلاطية ٥: ١٩- ٢٣).

مشاعر الله

عندما يدخل الإنسان في عَلاقة مع الله من خلال الإيمان بالمسيح وموته الكفاري وقيامته، يقول الكتاب المقدس: «تتجددوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق» (أفسس ٤: ٢٣، ٢٤). يبدأ الله في تغيير استجاباتنا العاطفية الشريرة إلى استجابات تتميز بالتقوى «كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى» (٢ بطرس ١: ٣).

يعد يسوع - رجل الله - هو النموذج الذي نحتذى به في المشاعر الإلهية. فقد أخذ يسوع صورة إنسان، وبيَّن لنا كيف نُعبِّر عن مشاعرنا بطريقة الله نفسها. فقد اختبر يسوع الفرح، وقال لتلاميذه: «كلمتكم بهذا لكي يثبت فرحي فيكم ويكمل فرحكم،» (يوحنا ١٥: ١١). وقد أعرب عن شعوره القوي بالغضب وطرد الصيارفة من الهيكل (متى ٢١: ١٢، ١٣). كما شعر بالحزن وبكى مع مريم (يوحنا ١١: ٣٥). تخيل أيضًا مقدار الوحدة التي شعر بها يسوع عندما تعرض للرفض من شعبه، والتخلى من تلاميذه، وسوء الفهم من أتباعه، والخيانة من واحد من أقرب الأصدقاء. كما قد تنبأ إشعياء بأن يسوع «محتقر ومخذول من الناس، رجل أوجاع ومختبر الحزن،» (إشعياء ٥٣: ٣). كان يسوع

الابن والاقنوم الثاني في الثالوث يتمتع بالمشاعر الإنسانية نفسها التي أعطاها الله لنا، وعبَّر عنها تمامًا. يقول الكتاب: «لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا، بل مجرب في كل شيء مثلنا، بلا خطية» (العبرانيين ٤: ١٥).

قد يكون الفرح هو أكبر المشاعر المرجوة للجميع. ويعد أعظم فرح لله هو أن يكون في عَلاقة مع كلٍّ مِنَّا بعد أن كنا تائهين، ورجعنا إلى الله من خلال المسيح. قال يسوع: «يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب» (لوقا ١٥: ١٠). وعندما ندخل في عَلاقة أبدية مع الله، وتتحول مشاعرُنا تمامًا، قال يسوع بأننا سنسمع الآب يقول: «ادخل إلى فرح سيدك» (متى ٢٥: ٢٣). سنختبر طوال الأبدية مشاعر الخالق بالطريقة التي صُمِّمنا لكي نختبرها بها.

٣٥

هل الله يحب جميع البشر بغض النظر عن توجههم الجنسي؟

منذ فترة ليست طويلة، نشرت وسائل الإعلام صورة لرجل وشاب يحتجان في تلسا بأوكلاهوما. كان الشاب يمسك بلافتة كتب عليها «الله يكره المثليين جنسيا». كانت مجموعة معينة من الكنيسة تعتقد أن الله يكره المثليين جنسيا أكثر من أي خطاة آخرين، وبأن المثلية الجنسية يجب أن تكون جريمة عقوبتها الإعدام. وعلى موقعهم على الإنترنت، بدأ كثيرون في التأكيد على أن كل مأساة في العالم مرتبطة بالمثلية الجنسية، وتحديدًا تساهل المجتمع المتزايد مع المثلية الجنسية، وقبوله لها كأسلوب حياة مشروع.

لم يكن الاستياء الذي حدث بين مجموعة الكنيسة مجرد مشكلة لهؤلاء المحتجين. وقد أشار ديفيد كينيمان (David Kinnaman) في كتابه «غير مسيحي» أنه للأسف من بين كل عشرة أشخاص من خارج الكنيسة يرى تسعة منهم أن المسيحيين ضد المثلية الجنسية أيضًا.

لذلك كيف يفكر الله في المثليين جنسيًّا؟ هل يحبهم مثلما يحب الأشخاص الطبيعيين أم إنه حقًّا يكره «المثليين»؟

أولًا: دعونا نلقي نظرة على الطريقة التي يرى بها يسوع الخطية. جاء أحد قادة اليهود من الفريسيين الذي كان يحظى باحترام كبير إلى يسوع، في محاولة لاكتشاف مَن هو يسوع بالفعل. وأول شيء قاله يسوع لهذا الرجل إنه يحتاج إلى «أن يولد من فوق» وأن الله لم يرسل ابنه «إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم» (يوحنا ٣: ١٧). استمر الله في التعبير عن رأيه في الخطية والخطاة. وقال إنه لا دينونة على الخطاة الذين آمنوا به. لكن سيتحمل الدينونة

كلُّ هؤلاء الخطاة الذين رفضوا أن يؤمنوا بأنه وسيلة الله للمغفرة. وشرح لهم بأنه نور، أو خلاص الله، وأن «كل من يعمل السيئات يبغض النور، ولا يأتي إلى النور لئلا توبخ أعماله،» (يوحنا ٣: ٢٠).

يبدو أن نوع الخطايا المرتكَبة ليست مشكلة مع يسوع، طالما أن الخاطي أدار ظهره إلى خطاياه، وتاب، ووضع ثقته ورجاءه فيه. في الواقع، الخطايا الوحيدة التي لا تُغفَر هي الخطايا غير المعترَف بها! وهذا لا يعني أننا نقول بأن بعض الخطايا أسوأ من غيرها. قال يسوع لبيلاطس: «لذلك الذي أسلمني إليك له خطية أعظم» (يوحنا ١٩: ١١). وقد علَّم يسوع أيضًا «فكل من أعطي كثيرًا يطلب منه كثير، ومن يودعونه كثيرًا يطالبونه بأكثر» (لوقا ١٢: ٤٨). كما أن العقاب والمكافآة قد لا يكونان متساويين- حيث إن بعض الخطايا قد تكون أسوأ من غيرها- لكن غفران الله مفتوح على قدم المساواة لجميع أولئك الذين يبحثون عنه.

ذكر الرسول بولس قائمة بالعديد من الخطايا، تتضمن الفجور الجنسي بكل أنواعه، الذي يحتاج إلى غفران الله (راجع رومية ١: ٢٤- ٢٧؛ ١ كو ٦: ٩، ١٠؛ غلاطية ٥: ١٩- ٢١؛ كولوسي ٣: ٥، ٦). ولا يبدو أبدًا أنه، مع كُتَّاب آخرين من العهد الجديد، قد اختار الجنسية المثلية لتكون أفظع الخطايا. لكن قضاء الله ودينونته محفوظة لجميع أولئك الذين يفشلون في وضع ثقتهم في المسيح كذبيحة خطية.[xxvi] لذلك كيف ينبغي علينا أن نتعامل مع الخطاة، وتحديدًا المثليون جنسيًّا؟

منذ عدة سنوات، حضرت (أنا شون) دورة الألعاب الأولمبية مع مجموعة مسيحية. وفي إحدى المرات، وقفت عند كشك يبيع التيشيرتات المسيحية. واقترب رجل يرتدي تيشيرت مطبوعاً عليه أعلام قوس قزح. استفسرت

---

xxvi راجع السؤال رقم ٤٥. لماذا احتاجَ يسوع أن يموت؟

عن الأعلام، وسألت عن الدولة التي تمثلها. فأجاب قائلًا: «إنها مجرد شيء غريب، أنا شاذ جنسيًّا». وفي الحقيقة، سألته إذا كان الناس يسخرون منه لأنه شاذ. فأجاب على الفور: «نعم، أسمع الكثير من العبارات المهينة التي تقال عليَّ طوال الوقت». نظرت مباشرة إليه. ورأيت رجلًا يشعر بالاذى والانكسار من تهكم الآخرين عليه، وسخريتهم منه. وتعاطفت معه. وقلت له: «أشعر بالآسف الشديد أن الناس تعاملك بهذه المعاملة. إنهم ليسوا على حق». فقدَّم لي الشكرَ مرارًا وتكرارًا. وطلب أن يتصور معي. وقال إني أجمل شخص تقابل معه في الأولمبياد بأكملِها.

الله يحب البشر بغض النظر عن ميولهم الجنسية، وكممثلين له، ينبغي علينا أن نحبهم أيضًا. فالرب يسوع يقدم الرسالة نفسها لجميع الخطاة بما في ذلك لنا: «أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا، وكل من كان حيا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد» (يوحنا ١١: ٢٥، ٢٦).

٣٦

هل الله ينخرط في السياسة؟

أظهر استطلاع رأى أجرته منظمة جالوب (Gallup organization) في عام ٢٠١٠ أن واحدًا من كل خمسة أشخاص من الأمريكيين يعتقد أن «الله يشارك بنشاط في العمل اليومي بهذا العالم، وله وجهة نظر اقتصادية محافظة تتعارض مع اللوائح الحكومية، وتدافع عن السوق الحر.»[٢٤] هل الله مع تقليل الحكومة، وتخفيض الضرائب، واقتصاد السوق الحر؟ هل الله ديمقراطي أم جمهوري أم مستقل أم اشتراكي أم ماذا؟ هل الله ينضم إلى الأحزاب السياسية أو يشترك في أجندات سياسية؟

سؤال الملكوت

لو سبق وظهرت مسألة اشتراك الله في السياسة، لحدث ذلك في القرن الأول. فقد تحمل اليهود لسنوات عديدة حكم أو عبودية حكومات أخرى. وظلوا يبحثون عن المسيا المنتظر، المسيح الذي سيقود الأمة ويحررها من العبودية والاستبداد، إلى مملكة جديدة تتمتع بالبر والمجد.

عندما وصل يسوع إلى المشهد، ظنَّ تلاميذُه أن الوقت قد حان ليجمع المسيح جيشًا، ويهزم الرومان الظالمين، ويؤسس مملكة جديدة تتمتع بالرخاء والحرية. وبالطبع تبددت آمالُهم في مملكة أرضية بموت قائدهم. ويبدو من الواضح أن أتباع يسوع قد أساؤا فهم تدخل الله في السياسة.

عندما أحضروا يسوع أمام الحاكم الروماني بيلاطس البنطي، حاول أيضًا أن يعرف وجهات نظر يسوع السياسية وطموحاته. وسأله إذا ما كان هو ملك اليهود. «أجاب يسوع: «مملكتي ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم، لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود. ولكن الآن ليست مملكتي من هنا» (يوحنا ١٨: ٣٦). يبدو أن رب الكون لم يعتبر أن هذا العالم مملكته. وبالتالي ماذا كان يقصد عندما قال: «مملكتي ليست من هذا العالم؟»

أين التعارض؟

لم تكن مملكة يسوع وسياسته تسعى إلى إسقاط الإمبراطورية الرومانية. ولم تكن معارضته لروما، ولا حتى القادة اليهود، بل كانت معارضته مع إبليس عدوه اللدود. فمن خلال اختيار البشر الأوائل للخطية، والتمرد على الله، اكتسب الشيطان القدرة على التحكم في الأمور والسيطرة عليها، قبل أن تُصبح مملكة هذا العالم هي مملكة الله. وأكد يوحنا التلميذ ذلك قائلًا: «العالم كله قد وضع في الشرير» (١ يوحنا ٥: ١٩). توجد الآن مملكتان، بوجهتي نظر مختلفتين، مملكة هذا العالم التي يملك عليها إبليس، ومملكة السماء التي يملك عليها الله. وهذا يعني أننا نشهد حاليًا صراعًا بين المملكتين.

في الواقع، لا يعد الصراع سياسيًّا في طبيعته كما كان بيلاطس يظن. كما لم يكن الصراع ثقافيًّا حتى في طبيعته. لم يكن العدو الرئيس بعضَ الأشرار، أو أنظمة شريرة، أو أيدولوجية سياسية. وهذه الحرب بين الله وطرقه من ناحية، والشيطان وطرقه من ناحية أخرى. ونحن لا نصارع دم ولحم «بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر،» (أفسس ٦: ١٢).

ما الذي يهتم به الله؟

هل يعني هذا أن الله لا يشارك أو يهتم بشؤون هذا العالم؟ بالطبع لا، على الإطلاق. قال يسوع: «أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر» (متى ٢٢: ٢١). علينا أن نصلي لقادة الحكومات (١ تيموثاوس ٢: ١- ٢)، ونكرمهم (١ بط ٢: ١٣- ١٧). لكن الله لا يسعى إلى إصلاح ممالك هذا العالم من خلال أجندة سياسية؛ إذ تهدف خطة الله إلى هزيمة إبليس وقهره، ووضع نهاية للألم والموت، وإعادة صنع سماوات جديدة وأرض جديدة، وتأسيس ملكوت أبدي مع جميع الذين وضعوا ثقتهم وإيمانهم في الله.

دعونا نضيف بسرعة أن هذا لا يعني أننا كمسيحيين ليس علينا أن نشارك في رؤية تغيير اجتماعي واقتصادي صحي يحدث في مجتمعاتنا ومدننا وبلدنا

وبلدان العالم. بل يمكن تطبيق المبادىء الكتابية على الكيانات الحكومية والاقتصادية. قال يسوع إن أتباعه عليهم أن يكونوا «ملح الأرض ... ونور العالم ... فليضئ نوركم هكذا قدام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويمجدوا أباكم الذي في السماوات» (متى ٥: ١٣، ١٤، ١٦).

كان التعبير المستخدم في معظم الأحيان عن قلب يسوع هو «تحنن عليهم». عندما رأى الأعمى والبرص والمرضى وجياع، «تحنن عليهم». وتتمثل وجهة نظر يسوع الأساسية في التركيز على العناية بمصالح الآخرين، وتسديد احتياجاتهم الروحية والجسدية والاقتصادية والاجتماعية بكل الطرق. وكان هذا النوع من التحنن على الآخرين رسالة جذرية، كما كان بكل تأكيد هو الحالة خلال زمن يسوع.

الله لا ينحاز إلى حزب سياسي، لكن تتلخص إرساليته في فداء الضالين الذين في قبضة الخطية، واستعادة كل الخليقة إلى تصميمها الأصلي. وعلى أتباعه «الملح والنور» أن لا يحبوا الله فحسب بكل قلبهم، بل يحبوا أقاربهم أيضًا كأنفسهم. ومن الواضح منذ بداية الكنيسة الأولى مقدار التغيير الاجتماعي والسياسي الناتج من نشر أتباع المسيح لرؤية يسوع.

ينبغي على أتباع المسيح المخلصين أن يكونوا أفضل المواطنين في هذا العالم، بدون أن يكونوا جزءًا منه! وأوضح يسوع هذا التمييزَ عندما كان يصلي أن يكون أتباعه في العالم، دون أن يكونوا جزءًا منه «لأنهم ليسوا من العالم، كما أني أنا لست من العالم،» (يوحنا ١٧: ١٤). وأولئك الذين يعيشون حسب الكتاب المقدس ورؤية يسوع، يضعون مملكة الله أولًا في حياتهم، وبالتالي يُصبحون قوةً فعَّالة للخير في العالم الحاضر.

٣٧

كيف يمكن أن نعرف مشيئة الله في حياتنا؟

يتعلق واحد من الأسئلة الأكثر شيوعًا اليومَ بين الصغار والكبار على حدٍّ سواء، بمعرفة مشيئة الله. على مدار سنوات، كنت (أنا شون) أعتقد بأن مشيئة الله مخفية عني، ومهمتي هي معرفة مشيئته، معتقدًا أن الأمر تمامًا مثل البحث عن كنز. لكني لم أكن مُحقًّا. فقد أوضح الله مشيئته إلى حدٍّ كبير لكل واحد منا حتى يراها. وعندما نتعرف على مشيئته في الجوانب الكبيرة من حياتنا، نستطيع أن نفهم بمزيد من السهولة كيف نتخذ القرارات الحكيمة في كل تفاصيل حياتنا، مثل شراء سيارة، وشراء منزل، واختيار الكلية، والبحث عن الوظيفة المثالية، والزواج من الشخص المناسب، وما إلى ذلك.

يكشف الكتاب المقدس الكثيرَ من مشيئة الله لنا. على سبيل المثال:

إنها مشيئة الله أن يقبل إليه الجميع ويتعرفوا عليه ويثقوا فيه. صلى يسوع إلى الله الآب قائلًا: «وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يوحنا ١٧: ٣). ويقول الرسول بولس إن الله «يريد أن جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون» (١ تي ٢: ٤). كما يخبرنا الرسول بطرس أن الله «لا يشاء أن يهلك أناس، بل أن يقبل الجميع إلى التوبة» (٢ بطرس ٣: ٩). لذا مشيئة الله هي أن يثق الناس في المسيح؛ ليتمتعوا بعَلاقة مع الله، ويفوزوا بهبة الحياة الأبدية.

إنها مشيئة الله أن يكرز أتباع يسوع للآخرين عن الخلاص الذي لهم في المسيح يسوع. قال يسوع إلى أتباعه: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم» (مت ٢٨: ١٩). وأكمل كلامه لهم قائلًا: «وتكونون لي شهودًا... إلى أقصى الأرض» (أع ١: ٨). وقال بولس إن الله: «كان في المسيح مصالحًا العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم، وواضعًا فينا كلمة المصالحة. إذا نسعى كسفراء عن المسيح،» (٢ كو ٥: ١٩، ٢٠). إنها مشيئة الله أن نُصبح «ملح الأرض»، «ونور العالم»؛ حتى يعرف الآخرون أن المسيح هو الطريق لله (متى ٥: ١٣- ١٦).

إنها مشيئة الله أن يتشبه الناسُ بالمسيح، ويعيشوا حياة القداسة والنقاوة. يقول الكتاب المقدس: «لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه، ليكون هو بكرًا بين إخوة كثيرين» (رومية ٨: ٢٩). كما يؤكد بولس: «وتتجددوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق» (أفسس ٤: ٢٣، ٢٤).

أكرر: إنها مشيئة الله أن نكون مشابهين صورة المسيح، ونعيش حياة القداسة والنقاوة. يقول الكتاب المقدس: «لأن هذه هي إرادة الله: قداستكم. أن تمتنعوا عن الزنا، أن يعرف كل واحد منكم أن يقتني إناءه بقداسة وكرامة،» (١ تسالونيكي ٤: ٣، ٤). ويُعد الفجور الجنسي من الأمور الشائعة اليوم، ولكنها إرادة الله أن يعيش الشباب غير المتزوجين حياة القداسة والنقاوة حتى يتزوجوا، وكذلك أن يظل المتزوجون أمناء لبعضهم البعض.

إنها مشيئة الله أن نحبه، ونحب بعضَنا البعض. قال يسوع إن كل ما جاء في الكتب المقدسة يتوقف على: «أن تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك. هذه هي الوصية الأولى والعظمى. والثانية مثلها: تحب قريبك كنفسك» (متى ٢٢: ٣٧- ٣٩). وقبل الصليب، قال يسوع لتلاميذه: «وصية جديدة أنا أعطيكم: أن تحبوا بعضكم بعضا. كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضًا بعضكم بعضًا. بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي: إن كان لكم حب بعضًا لبعض» (يوحنا١٣: ٣٤، ٣٥).

إنها مشيئة الله أن نحبه بكل ما فينا، فيكون على رأس أولوياتنا، وأن نعيش هذا الحب بتقديم المحبة للآخرين. وتشمل محبة الآخرين قبول بعضنا البعض (رو١٥: ٧)، والمغفرة لبعضنا البعض (أفسس ٤: ٣٢)، والتأنى على بعضنا البعض (أف ٤: ٢)، والاهتمام ببعضنا البعض، والحياة في وئام (رومية ١٢: ١٦)، وخدمة بعضنا البعض (غلا٥: ١٣)، والخضوع لبعضنا البعض (أف ٥: ٢١)، وتعزية بعضنا البعض (٢ كو ١: ٤)، وما إلى ذلك.

ذكرنا عددًا قليلًا من الجوانب الرئيسة التي يكشف فيها الكتاب المقدس عن ماهية مشيئة الله. لكن كيف نعرف على وجه التحديد قيادة الله لنا حتى نفعل

هـذا أو ذاك فـي الحيـاة؟ أولًا: علينـا التأكـد أننـا نفعـل كل مـا بوسـعنا لكـي نتبـع «مشـيئة الله» فـي الجوانـب الرئيسـة فـي حياتنـا. وبعـد ذلـك، سـتكون لنـا حريـة الاختيـار، ونتحمـل نتائـج هـذه الاختيـارات. إذا اخترنـا بحكمـة، كثيـرًا مـا سـنختبر النتائـج الجيـدة. وإذا اخترنـا بعـدم حكمـة، غالبًـا مـا سـنعاني مـن الآثـار السـلبية. لكـن مـرة أخـرى، تحديـد أشياء مثـل الكليـة، والـزواج، وشـراء السيارة أو المنـزل، والوظيفـة ومـا إلـى ذلـك، ليسـت اختيـارات أخلاقيـة خاطئـة أو صحيحـة. الله يعطينـا الحريـة أن نختـار مثـل هـذه الاختيـارات، ويريـد منـا أن نختـار بحكمـة هـذه الأمـور. ولكـي تختـار بحكمـة فـي تفاصيـل الحيـاة، مـن الجيـد أن تعتمـد علـى الأقـل علـى خمسـة مصـادر:

١- استشِـر الله مـن خـلال الصـلاة (يعقـوب ١: ٥). يطلـب الشـخص العاقـل حكمـة مـن الله لمعرفـة إذا مـا كان القـرار ينتهـك، بـأي شـكل من الأشـكال، مشـيئته الأخلاقية.

٢- اطلـب الإرشـاد مـن الكتـاب المقـدس (٢ تيموثـاوس ٣: ١٦). يطلـب الشـخص الحكيـم الإرشـاد والتوجيـه مـن كلمـة الله؛ لينـال قـوة وبصيـرة؛ حتـى يسـتمر فـي طلـب الله وملكوتـه أولًا.

٣- ابحـث (الأمثـال ١٨: ١٣). اجمـع الحقائـق. ضـع قائمـة بالمميـزات والعيـوب؛ حتـى تحـدد اتجاهـك بشـأن القـرارات الحكيمـة.

٤- اطلـب المشـورة مـن الأتقيـاء (الأمثـال ١٥: ٢٢). إن الإنسـان يكتسـب حكمـة كبيـرة مـن مشـورة الآخريـن.

٥- استعِن بخبـرات الحيـاة (المزاميـر ٩٠: ١٢). يمكـن أن يتعلـم الإنسـان كثيـرًا مـن التجـارب السـابقة. ولا يرتكـب الشـخص العاقـل الخطـأ نفسَـه مرتين.

لا تتعلـق مشـيئة الله كثيـراً بمـا ينبغـي أن تفعلـه. فـإن كنـت تسـعى أن تعرفـه، ضعـه أولًا فـي حياتـك، وقـدِّم المحبـة للآخريـن، وتشبَّه بحيـاة المسـيح فـي القداسـة، وتشـاركه مـع الآخريـن؛ حتـى تكـون الشـخص الـذي يسـعى دائمًـا إلـى اختيـاراتٍ حكيمـة فـي الحيـاة.

٣٨

هل ادعى يسوع حقًّا أنه الله؟

يقول بعض النقاد أمثال الملحد ريتشارد دوكنز (Richard Dawkins)، إن أتباع يسوع المتهافتين هم مَن جعلوه إلهًا! وكتب دوكنز: «لا يوجد دليل تاريخي قوى يقول بأنه إله».[٢٥] كما أشار هؤلاء النقاد أيضًا إلى حقيقة أن يسوع أشار لنفسه باعتباره «ابن الإنسان»، وليس «ابن الله». ويقولون إن ذلك يثبت فعلًا أن يسوع ادعى بأنه إنسان، وليس إلهًا. هل هذا صحيح؟ هل لم يدَّعِ يسوع حقًّا أنه ابن الله؟

معنى «ابن الإنسان»

صحيح أن يسوع أشار إلى نفسه عشرات المرات بأنه «ابن الإنسان،» ولكن هذا بعيد كلَّ البعد عن أنه مجرد إنسان. يمكن تتبُّع استخدامه لكلمات «ابن الإنسان» من سفر دانيال. عندما وصف دانيال «ابن الإنسان» في رؤية، كانت الإشارة أبعد ما يكون إلى مجرد إنسان. تنبأ دانيال بأن: «إذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام... فأعطي سلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض» (دانيال ٧: ١٣، ١٤). لم يكن هذا الوصف لمجرد إنسان فانٍ.

يشير «ابن الإنسان» الوارد في دانيال إلى شخصية إلهية، الرب صاحب السلطان الذي ملكوته أبديٌّ. إن ادعاء يسوع بأنه «ابن الإنسان» يشير إلى ألوهيته. وهذا ما كان يسوع يفعله.

تأكيدات يسوع

أوضح يسوع أنه الله، وهذا التأكيد لاحظه القادة الدينيون في ذلك الوقت. في الواقع، هذا الادعاء هو السبب الذي دفعهم لتشويه سمعته. وفي النهاية، كان السبب الذي استخدموه ليحكموا عليه بالموت: «من أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه، لأنه لم ينقض السبت فقط، بل قال أيضًا إن الله أبوه، معادلًا نفسه بالله» (يوحنا ٥: ١٨). كما قال يسوع: «الحق الحق أقول لكم: إنه

تأتي ساعة وهي الآن، حين يسمع الأموات صوت ابن الله، والسامعون يحيون» (يوحنا ٥: ٢٥). لقد أوضح يسوع بشدة مَن هو.

أكد يسوع على ألوهيته بوضوح في أكثر من مناسبة؛ ما جعل أتباعه من اليهود يحاولون رجمه. وفي إحدى المرات، قال لقادة اليهود: «أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح». فقال له اليهود: «ليس لك خمسون سنة بعد، أفرأيت إبراهيم؟». قال لهم يسوع: «الحق الحق أقول لكم: قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن». فرفعوا حجارة ليرجموه. أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازا في وسطهم ومضى هكذا» (يوحنا ٨: ٥٦- ٥٩). وفي مناسبة أخرى، عندما قال يسوع إنه كان مع الآب، التقط القادة اليهود حجارة لكي يقتلوه. (راجع يوحنا ١٠: ٣٠، ٣١). وعندما سألهم يسوع لماذا يريدون أن يقتلوه، قالوا له: «لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا» (يوحنا ١٠: ٣٣).

إن توصيف يسوع لنفسه بأنه الله، ظهر من خلال سلطانه على غفران الخطايا. فقد قال للمفلوج: «يا بني، مغفورة لك خطاياك». وكان قوم من الكتبة هناك جالسين يفكرون في قلوبهم: «لماذا يتكلم هذا هكذا بتجاديف؟ من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده؟» (مرقس ٢: ٥- ٧). وفي الساعات الأخيرة قبل موت يسوع، وضح تماما إلى السنهدرين (المجلس الأعلى لليهود)، ماهيته عندما سأله رئيس الكهنة: «أأنت المسيح ابن المبارك؟». فقال يسوع: «أنا هو»... فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت.» (مرقس ١٤: ٦١- ٦٤).

كل ما قاله يسوع وأكده بأنه هو الله الظاهر في الجسد.[xxvii] وهذا ما أعلنه يوحنا:

«في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله... والكلمة صار جسدًا وحل بيننا، ورأينا مجده، مجدًا كما لوحيد من الآب، مملوءًا نعمة وحقًّا» (يوحنا ١: ١، ١٤).

---

xxvii لمزيد من المعالجة الأكثر شمولًا عن أدعاء يسوع الإلوهية والأدلة التاريخية التي تثبت صحة أدعاءه، راجع كتاب «هل الله من اختراع البشر؟» الفصل الثامن عشر المشار إليه في الملاحظات

٣٩

أليس من العجرفة الادعاء بأن المسيحية هي الدين الحقيقي الوحيد؟

من الانتقادات الأساسية التي توجَّه إلى المسيحيين هو أنهم متعجرفون، ويعتقدون أن المسيحية هي الديانة الوحيدة الحقيقية، والطريق الوحيد للحصول على حياة أبدية. يبدو هذا الرأى وحده مزعجًا، وغيرَ متسامحٍ بالنسبة للكثيرين. ونتيجة لذلك، لم يعد معظم المسيحيين في أمريكا يدعون الجميعَ للاعتراف بأن المسيحية هي الديانة الوحيدة والحصرية. وفي عام ٢٠٠٨، وجد استطلاع رأى بين الأمريكيين لمنتدى بيو أن ٦٥٪ من المسيحيين باعتراف الجميع يعتقدون في وجود طرق عديدة للتمتع بالحياة الأبدية، وقد اقتبس حوالى ٨٠٪ من المشاركين على الأقل اقتباسًا واحدًا من ديانة غير المسيحية يمكن أن يقود إلى الخلاص![٢٦]

من الذي ادَّعى ذلك؟

هل هي عجرفة من المسيحيين اليوم الادعاء بأن المسيحية هي الديانة الوحيدة الحقيقية والتعاليم الوحيدة التي تقود إلى الحياة الأبدية؟ قد يصيبك ذلك بالدهشة، ولكننا نعتقد بالفعل أن من العجرفة الادعاء بأننا ننتمي إلى الدين الوحيد الحقيقي. سيكون من الغطرسة والكبرياء أن يدَّعى المرءُ هذا الادعاءَ الحصري، ما لم يكن هذا المرء هو الله. لكن في حقيقة الأمر، ادَّعى يسوع بصفته ابن الله أنه الطريق الوحيد للحياة الأبدية. ونحن كمسيحيين يمكننا أن نتجنب تلك «العجرفة»، بتوضيح أن ذلك ينطبق على صاحب الادعاء بأنه صاحب «الطريق الوحيد والحق الوحيد».

كان معظم القادة الدينيين في وقت يسوع يعتقدون أيضًا بأنه متعجرف بسبب ما قاله عن نفسه. فقد ادَّعى أنه ابن الله الموجود منذ الأزل، الذي يستطيع أن يغفر الخطايا ويعطي حياةً أبدية.[xxviii] لو لم يكن يسوع هو الله، لن يكون متعجرفًا

---

xxviii راجع السؤال رقم ٣٨. هل ادَّعى يسوع حقًّا أنه الله؟

فحسب، بل أيضًا مُضلًا ومُخادِعًا، لأنه ادَّعى مثل هذا الادعاء الغريب بتفرده، لكنه كان الله. وقد قدَّم الكثير من الأدلة التي تُثبت صحة ادعائه.

حقق يسوع النبوءات بشأن مختار الله (المسيا)، والمولود من عذراء، وصنع العديد من المعجزات قبل أن يقول بالفعل: «أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا، وكل من كان حيا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد» (يو ١١: ٢٥، ٢٦). كان يمكن أن يجعله هذا الإعلان يبدو متعجرفًا؛ لأنه كان ابن الله الوحيد. اقرأ هذه الكلمات التي قالها: «لأنكم إن لم تؤمنوا أني أنا هو تموتون في خطاياكم» (يو٨: ٢٤). «أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي» (يوحنا ١٤: ٦).

يسوع هو من ادَّعى بأنه الطريق الوحيد لله لسبب وجيه. لم يتمتع واحدٌ آخر بالمؤهلات التي يقبلها الإله القدوس والعادل. كان أتباع المسيح يحتاجون أن يكونوا حريصين على عدم التأكيد بأن لديهم جزءًا من الحقيقة، أو أن لديهم الدين الوحيد الحقيقي، بل قال يسوع إنه الطريق والحق والحياة، وكان أتباعه ببساطة يشاركون رسالته. لذا كمسيحيين نحتاج أن نُرجع مسألة الحصول على الحياة الأبدية إليه. فمهمتنا هي نشر الأخبار السارة عنه، وأن نشارك الأخبار بحكمة وحماس وتواضع أيضًا.

بالطبع يمكن أن يكون الناس متعجرفين بخصوص الحق، ويكونوا على صواب، أو قد يكونون متعجرفين بخصوص الحق ويكونون على خطأ. كما يمكن أن يكون الناس متواضعين ويكونون على صواب، أو قد يكونون متواضعين ويكونون على خطأ. ليس المهم لنا كمسيحيين الفوز بالجدال حول مَن على صواب ومَن على خطأ. ليس هذا هو المهم، بل الشيء المهم هو أن نضع تحدٍ أمام الناس لمعرفة مَن هو يسوع، وما يقدمه لهم. ولا نحتاج أن نخجل من إيماننا بأنه الطريق الوحيد، ويمكننا أن نقول مع بولس:

«لأني لست أستحي بإنجيل المسيح، لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن: لليهودي أولًا ثم اليوناني. لأن فيه معلن بر الله بإيمان، لإيمان، كما هو مكتوب: «أما البار فبالإيمان يحيا» (رومية ١: ١٦، ١٧).

٤٠

كيف نعرف أن يسوع عاش حقًّا على الأرض؟

في السنوات الأخيرة، شكك البعض في وجود يسوع الفعلي. وادَّعى البعضُ أن فكرة المخلص صنعها أشخاصٌ معينون، وأصبحت ديانة.

تتمثل مشكلة هذا التفكير في وجود عدد كبير للغاية من كتابات الكتاب المقدس، وكتابات أخرى من خارج الكتاب المقدس تشهد عن وجود شخص حقيقي يُدعى يسوع المسيح، عاش ومات في القرن الأول.

فكرة لا يمكن الدفاع عنها

أولًا من غير المعقول الإيمان بأن الآلاف من الناس في القرن الأول قد كرَّسوا أنفسهم لشخص لم يكن موجودًا قط. في سنة ١٠٠ ميلاديًّا، أي بعد حوالي خمسٍ وستين سنة من وجود يسوع على الأرض، كان هناك حوالي خمسة وعشرون ألف شخص أطلقوا على أنفسهم «مسيحيين»؛ نسبةً إلى المسيح الذي آمنوا به. وقد تعرض الكثير من أتباع المسيح إلى الاضطهاد، ليس من الحكومات فحسب، بل من عائلاتهم وأصدقائهم أيضًا. وقد استُشهِد البعض منهم بسبب هذا الشخص. هل يمكن أن يفعل الكثيرون ذلك لأجل شخص لم يعش قط؟ خلال مائتين سنة، أي في حوالي سنة ٣٠٠ ميلاديًّا، وصلت جماعة المؤمنين من أتباع يسوع لأكثر من عشرين مليون شخص.[٢٧] من المحال أن يستمر هذا العدد الكبير من أتباع يسوع في التزايد، لو كان يستند على وهمٍ اسمُه المسيح!

أدلة من العهد الجديد

بالطبع لدينا أيضًا أدلة وبراهين موثقة من العهد الجديد الذي سجَّل حياة يسوع وتعاليمه. كتب بطرس أحد تلاميذ يسوع رسالة في بداية سنة ٦٠ قبل

استشهاده على يد الإمبراطور نيرون في عام ٦٤ أو ٦٥ ميلاديًّا: «لأننا لم نتبع خرافات مصنعة، إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، بل قد كنا معاينين عظمته. لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجدًا، إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسني» (١بطرس ١: ١٦، ١٧). كان بطرس يشير إلى الوقت الذي كان موجودًا فيه على جبل التجلي عندما ظهر موسى وإيليا مع يسوع. وقد شهد عن حقيقة وجود يسوع باعتباره شاهد عيان. كما تشهد ثلاث عشرة رسالة كتبها بولس، وأربعة أناجيل، وسفر أعمال الرسل، ورسائل أخرى من العهد الجديد، عن تاريخية يسوع. وقد كتب العديد من كُتَّاب العهد الجديد خلال جيل واحد عن حياة يسوع، سواء كانوا من شهود العيان، أو الذين على دراية بروايات شهود العيان ليسوع.

أدلة من مصادر أخرى

لكن بعيدًا عن روايات العهد الجديد، يؤكد الكُتَّاب العلمانيون في كتاباتهم التي من خارج الكتاب المقدس أن يسوع المسيح كان يعيش بالفعل. على سبيل المثال، كتب المؤرخ يوسيفوس في كتاب تاريخ اليهود «The Antiquities of the Jews» في عام ٩٣ ميلاديًّا في السفر الثامن عشر، والأصحاح الثالث، والفقرة الثالثة:

«كان في ذلك الوقت رجل حكيم اسمُه يسوع، لو كان لنا أن ندعوه رجلًا، وكان هو المسيح. وعندما أصدر بيلاطس الحكم عليه بالصلب، بإيعاز من رؤسائنا، لم يتركه أتباعُه الذين أحبوه من البداية.»[٢٨]

كما أشار أيضًا يوسيفوس إلى «يعقوب»، أخا يسوع الذي يُدعى المسيح.»[٢٩]

كان «بليني الأصغر» واحدًا من أعظم كُتَّاب الرسائل في العالم. وقد ظلت عشرة مجلدات من مراسلاته حتى وقتنا الحاضر، حيث كتب إلى الإمبراطور تراجان بشأن المسيحيين الموجودين في ولايته في عام ١١٢ ميلاديًّا، كاشفًا عن

كيف كان غير المسيحيين يرون المسيحية. وكتب عن أتباع المسيح «فقد كانوا يجتمعون على نحو منتظم قبيل الفجر في يوم محدد، ويغنون ترنيمة للمسيح كما لو كان إلهًا.»[٣٠]

كان كورنيليوس تاسيتوس- الذي وُلِد في عام ٥٦ ميلاديًّا- شيخًا رومانيًّا، ويعتبر واحدًا من أكثر المؤرخين القدماء الموثوق بهم. وقد كتب تاسيتوس في كتابه «الحوليات» في عام ١١٦، عن موت المسيح بصفته حقيقة تاريخية.[٣١]

وأكد كثيرون غيرهم[xxix] مثل سويتونيوس المؤرخ الروماني (١٢٠ م)، ولوسيان الساموساطي، وهو كاتب يوناني ساخر (١٧٠ م)، ومارا بن سرافيون، وهو فيلسوف رواقي (٧٠ م) في التاريخ، على حياة يسوع الناصري وموته.[٣٢]

xxix لمزيد من المعلومات الأكثر شمولًا واقناعًا عن حياة يسوع وأدعاءاته، راجع كتاب «الأدلة على يسوع التاريخي» المشار إليها في الملاحظات

٤١

كيف ادَّعى يسوع وأثبتَ أنه الله؟

كان يسوع يردد أنه «ابن الله»، «والطريق الوحيد له». ولم يكن متعجرفًا في ذلك.[xxx] لكن هل قدَّم فعلًا دليلًا على أنه الله؟ كيف ادَّعى يسوع وأثبتَ أنه الله؟

وجد تلاميذ يسوع بعضَ الصعوبة في فهم مَن هو سيدهم، وما هي مكانته حقًّا. لذلك قال لهم يسوع: «صدقوني أني في الآب والآب فيَّ، وإلا فصدقوني لسبب الأعمال نفسها» (يوحنا ١٤: ١١). وهنا استعان يسوع بكلٍّ من تعاليمه الموثوق بها عن ملكوت الله، وبمعجزاته الكثيرة؛ من أجل إثبات أنه «الله الظاهر في صورة إنسان». وفيما يتعلق بمعجزات يسوع، فقد قال ما معناه: «هل تجدون صعوبة في الإيمان بأني الإله الظاهر في الجسد؟! حسنًا. تطلع كيف أكملتُ بصفتي الخالق كلَّ قوى الكون- الطقس والجسم البشري والجاذبية والحياة والموت». «وأما أنا فلي شهادة أعظم من يوحنا؛ لأن الأعمال التي أعطاني الآب لأكملها، هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الآب قد أرسلني» (يوحنا ٥: ٣٦). قال يسوع أيضًا: «إني قلت لكم ولستم تؤمنون. الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي» (يوحنا ١٠: ٢٥). لقد كانت معجزات يسوع برهانًا موثوقًا به عَمَّا قاله عن نفسه. لذا دعونا نلقى الضوء على بعض المعجزات التي صنعها.

لكن أولًا: ما هي المعجزة تحديدًا؟ يمكن تعريف المعجزة بأنها «تدخل إلهي مهم في النظام الخاص بأحداث الطبيعة». والبعض يجادل بأن «المعجزات لا يمكن أن تحدث؛ لأنه من المستحيل انتهاك قوانين الطبيعة». ولكن أولئك المعترضون يفترضون أن لا شيءَ موجودٌ خارج الطبيعة، حيث يؤمنون أننا نعيش في نظام مغلق.

---

xxx راجع سؤال رقم ٣٨. هل ادَّعى يسوع حقًّا أنه الله؟

مـع ذلـك، إن كان الله موجـودًا بصفتـه خالـق الكـون، فإنـه موجـود خـارج قوانيـن الطبيعـة التـي خلقهـا. وبالتالـي فإنـه يسـتطيع أن يتدخـل فـي خليقتـه كمـا يشـاء، وهـو يفعـل ذلـك. فقـد دخـل مجـال البشـر، وأخـذ صـورة إنسـان فـي شـخص يسـوع. ولكـي يعطينـا برهانًـا علـى أنـه الله، صنـع يسـوع الكثيـر مـن المعجـزات.

فيمـا يلـي أمثلـة مـن العهـد الجديـد تبرهـن علـى سـلطانه، وقدرتـه علـى صنـع المعجـزات؛ حيـث قـام:

- بتهدئة عاصفة (راجع متى ٨).
- بشفاء أخرس (راجع متى ٩).
- بإشباع الخمسة الآلاف رجل بخمسة أرغفة وسمكتين (راجع متى ٩).
- بإخراج الشياطين (راجع مرقس ٥).
- بالمشي على الماء (راجع مرقس ٦).
- بشفاء الأعمى (راجع مرقس ١٠).
- بلَعْن شجرة التين فيَبُست (راجع مرقس ١١).
- بالتنبؤ بالمستقبل (راجع مرقس ١٤).
- بشفاء مشلول (راجع لوقا ٥).
- بإقامة طفل من الموت (راجع لوقا ٧).
- بشفاء نازفة دم غير قابلة للشفاء (راجع لوقا ٨).
- بتطهير البرص (راجع لوقا ١٧).
- بتحويل الماء إلى خمر (راجع يوحنا ٢).
- بشفاء مقعد وجعله يمشي (راجع يوحنا ٥).
- بغفران الخطايا (راجع يوحنا ٨).
- بإقامة رجل من بين الأموات (راجع يوحنا ١١).

لـم يكـن يسـوع ببسـاطة مجـرد معلـم عظيـم، بـل كان ابـنَ الله الحـي، ومعجزاتُـه تُبـرز هـذه الحقيقـة.

٤٢

ما هو الدليل على أن يسوع هو المسيح؟

وعد الله شعب إسرائيل بأنه سيقيم نسلًا من الملك داود، سيؤسس في يوم من الأيام مملكة البر للأبد (٢ صموئيل٧: ١١- ١٦).

ويُقصد بالكلمة العِبرية «المسيا»، التي تقابلها كلمة «المسيح» في اليونانية، «الممسوح». وسيُعلن هذا الشخص بمجيء ملكوت الله الأبدي على الأرض.

منذ حوالي أربعمائة سنة قبل ميلاد يسوع، كانت توجد حوالي ستين نبوة من أعظم نبوءات العهد القديم عن مجيء المسيح، والتي تحققت خلال مئات السنوات. ولذلك أهمية تاريخية وروحية عظيمة؛ لأن المقصود بكل هذه النبوءات: المسيح، الذي تنبأ عنه إشعياء بأن يومًا ما: «يفني في هذا الجبل وجه النقاب. النقاب الذي على كل الشعوب، والغطاء المغطى به على كل الأمم. يبلع الموت إلى الأبد، ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه، وينزع عار شعبه عن كل الأرض؛ لأن الرب قد تكلم» (إشعياء ٢٥: ٧، ٨).

أدلة على النبوة

بالطبع قال يسوع عن نفسه إنه «الممسوح».[xxxi] لكن هل تؤكد نبواءت العهد القديم أن مَن أتى بالفعل من أكثر من ألفي عام هو المسيح؟ الإجابة نعم. والأمر يبدو كما لو أن الله يقدم لنا طريقًا محددًا لإدراك مَن هو «الممسوح» من خلال ما يُسمَّى «بالنبواءت المسيانية».

للوهلة الأولى يبدو ذلك مستحيلًا! لكن بسبب هذه النبواءت، ومن خلال مليارات المولدين عبر آلاف السنين، نحن قادرون على تحديد شخص واحد فقط في التاريخ بصفته «المسيح». يبدو الأمر كما لو أن لدى الله إجابة تنتظرنا عندما نسأل «كيف سنعرف المسيح؟» تخيل أننا دخلنا في حوار مع الله عندما استخدم هذه النبوءات ليحدد بدقة مَن هو المسيح. وبدأ الله الحوار

---

xxxi راجع سؤال رقم ٣٨. هل ادَّعى يسوع حقًّا أنه الله؟

قائلًا: «ستعرفون المسيح؛ لأنه سيولد من نسل إسرائيل، من ذرية إبراهيم» (تك ٢٢: ١٨؛ غلا ٣: ١٦). لكننا نحتج قائلين: «لكن يا الله، نسل إبراهيم سيكون كثيرًا». فيقول: «لذا سأحد من الاختيار لحوالي نصف سلالة إبراهيم، وأجعله يأتي من نسل إسحق وليس إسماعيل» (تك ٢١: ١٢؛ لو ٣: ٢٣- ٣٤). نحن: «سيساعدنا ذلك، لكن لا يزال ذلك عددًا كبيرًا من الناس؟ دعه يأتي من نسل يعقوب، وبالتالي استبعاد نصف ذرية إسحق» (عد ٢٤: ١٧؛ لو ٣: ٢٣- ٣٤). الله: «لكني سأكون أكثر تحديدًا. يعقوب له اثنى عشر ابنًا، سيأتي المسيح من قبيلة يهوذا» (تك ٤٩: ١٠؛ لو ٣: ٢٣- ٣٣). نحن: «ألا يزال هذا عددًا كبيرًا من الأشخاص؟ قد لا نستطيع تحديده والتعرف عليه عندما يأتي.» الله: «لا تقلقوا! ابحثوا عنه في ذرية يسى» (إش ١١: ١؛ لو ٣: ٢٣- ٣٢). «ومن بيت ونسل داود الابن الأصغر ليسى» (إر ٢٣: ٥؛ لو ٣: ٢٣- ٣٢). «وأقول لكم إنه سيولد في بيت لحم، وهي مدينة صغيرة في منطقة تدعى يهوذا» (ميخا ٥: ٢؛ مت ٢: ١). نحن: «لكن كيف سنعرف المسيح من بين كل هؤلاء المولودين؟» الله: «سيسبقه رسول يعد الطريق ويعلن مجيئه» (إش٤٠: ٣؛ مت ٣: ١، ٢). «سيبدأ خدمته في الجليل» (إش ٩: ١؛ متى ٤: ١٢- ١٧)، «وسيعلم بالأمثال» (مز ٧٨: ٢، مت١٣: ٣٤، ٣٥)، «سيُجري الكثير من المعجزات» (إش ٥٣: ٥، ٦؛ متى ٩: ٣٥).

نحن: «سيساعدنا ذلك كثيرًا». أجاب الله: «ما زلت أُسخِّن. سيدخل مدينة أورشاليم على جحش» (زك ٩: ٩؛ مت ٢١: ٢؛ لو ١٩: ٣٥- ٣٧)، «وسيظهر فجأة وبقوة في أروقة الهيكل ويطهرها بغيرة» (مز ٦٩: ٩؛ ملاخي ٣: ١؛ يو٢: ١٥، ١٦). «وفي يوم واحد سأحقق ما لا يقل عن تسع وعشرين نبوة تنبأ بها الأنبياء منذ حوالي خمسمائة سنة على الأقل قبل مجئ المسيح. اسمعوا هذه النبوءات:

١- سيتعرض للخيانة من أحد الأصدقاء (المزامير ٤١: ٩؛ متى ٢٦: ٤٩).

٢- كان ثمن خيانته ثلاثين من الفضة (زك ١١: ١٢؛ مت٢٦: ١٥).

٣- سيلقي المال على الأرض في الهيكل (زكريا ١١: ١٣؛ متى ٢٧: ٥).

٤- سيستخدم ثمن الخيانة في شراء حقل الفخاري (زكريا ١١: ١٣؛ متى ٢٧: ٧).

٥- سيتركه تلاميذه ويتخلون عنه (زكريا ١٣: ٧؛ مرقس ١٤: ٥٠).

٦- سيقوم عليه شهود زور (المزامير ٣٥: ١١؛ متى ٢٦: ٥٩، ٦٠).

٧- لم يفتح فاه أمام الاتهامات الموجهة له (إشعياء ٥٣: ٧؛ متى ١٢: ٢٧).

٨- سيُجرَح ويُسحَق (إشعياء ٥٣: ٥؛ متى ٢٧: ٢٦).

٩- سيكون مكروهًا بلا سبب (المزامير ٦٩: ٤؛ يوحنا ١٥: ٢٥).

١٠- سيتعرض للضرب والبصق عليه (إشعياء ٥٠: ٦؛ متى ٢٦: ٦٧).

١١- سيُستهزأ به، ويُسخَر منه، ويُرفض (إشعياء ٥٣: ٣؛ متى ٢٧: ٢٧- ٣١؛ يوحنا ٧: ٥، ٤٨).

١٢- سينهار من الضعف (المزامير ١٠٩: ٢٤، ٢٥؛ لوقا ٢٣: ٢٦).

١٣- سيستهزئون به بكلماتٍ معينة (المزامير ٢٢: ٦- ٨؛ متى ٢٧: ٣٩- ٤٣).

١٤- سينغضون رؤوسهم عليه (يحركونها إنكارًا واستهزاءً) (المزامير ١٠٩: ٢٥؛ متى ٢٧: ٣٩).

١٥- سيتفرس البشر فيه (المزامير ٢٢: ١٧؛ لوقا ٢٣: ٣٥).

١٦- سيُحصى مع أثمة (إشعياء ٥٣: ١٢؛ متى ٢٧: ٣٨).

١٧- ستُثقب يداه ورجلاه (المزامير ٢٢: ١٦؛ لوقا ٢٣: ٣٣).

١٨- يشفع في المذنبين (إشعياء ٥٣: ١٢؛ لوقا ٢٣: ٣٤).

١٩- أقاربه سيقفون بعيدًا (المزامير ٣٨: ١١؛ لوقا ٢٣: ٤٩).

٢٠- يقسمون ثيابه بينهم، وعلى لباسه يقترعون (المزامير ٢٢: ١٨؛ يوحنا ١٩: ٢٣، ٢٤).

٢١- سيعطش (المزامير ٦٩: ٢١؛ متى ٢٧: ٣٤).

٢٢- يجعلون في طعامه علقمًا، و«في عطشي يسقونني خلًّا» (المزامير ٦٩: ٢١؛ متى ٢٧: ٣٤).

٢٣- استودع نفسه في يد الله (المزامير ٣١: ٥؛ لوقا ٢٣: ٤٦).

٢٤- لا يُكسر عظمٌ من عظامِه (المزامير ٣٤: ٢٠؛ يوحنا ١٩: ٣٣).

٢٥- سيتمزق قلبُه (المزامير ٢٢: ١٤؛ يوحنا ١٩: ٣٤).

٢٦- سيُطعن في جنبِه بالحربة (زكريا ١٢: ١٠؛ يوحنا ١٩: ٣٤).

٢٧- سيغطي الظلامُ الأرضَ في منتصف النهار (عاموس ٨: ٩؛ متى ٢٧: ٤٥).

٢٨.-سيُدفَن في قبر رجل غنى (إشعياء ٥٣: ٩؛ متى ٢٧: ٥٧- ٦٠).

٢٩- سيدخل أورشليم كملك بعد أربعمائة وثلاثة وثمانين سنة من إعلان أرتحشستا لإعادة بناء الهيكل في سنة (٤٤٤ قبل الميلاد) دانيال ٩: ٢٤).[٣٣]

«كشهادة نهائية، في اليوم الثالث بعد موته سيقوم من بين الأموات» (المزامير ١٦: ١٠؛ أعمال الرسل ٢: ٣١)، «ويصعد إلى السماوات» (المزامير ٦٨: ١٨؛ أعمال الرسل ١: ٩)، «وجلس في يمين العظمة في الأعالي» (المزامير ١١٠: ١؛ العبرانيين ١: ٣).

كما ترون بذل الله جهودًا استثنائية ليُثبت أن ابنه يسوع هو المسيح، المسيا المنتظر الذي سيقدم حياته فدية لأجلنا في يوم من الأيام. «ومتى أخضع له الكل، فحينئذ الابن نفسه أيضًا سيخضع للذي أخضع له الكل، كي يكون الله الكل في الكل» (١ كورنثوس ١٥: ٢٨).

يمكننا الثقة في أن يسوع هو المسيا الذي تنبأ عنه الكتاب المقدس. وما يجعلنا نتمتع بمزيدٍ من الثقة هو تحقق أكثر من ستين نبوة أساسية من نبوءات العهد القديم (بالإضافة إلى حوالي مائتين وسبعين من التشعبات الإضافية) في شخص واحد هو يسوع. واحتمالية تحقق هذه النبوءات في شخص واحد بالصدفة ضعيفة للغاية.[xxxii]

---

xxxii لاكتشاف عامل الاحتمالية وغيره من التفاصيل عن النبوءات المسيانية، راجع الفصل الحادى عشر من كتاب «نجار وأعظم» المشار إليه في الملاحظات.

٤٣

هل يوجد دليل على ميلاد يسوع من عذراء؟

لا تحتاج أن تعرف الكثير عن «الطيور والنحل» حتى تعلم أن العذارى ليس لديهن أبناء! يتطلب التكاثر البشري أن يُلقِّح الحيوان المنوي للذكر بويضة الأنثى ليحدث الحمل. وببساطة لا خيار آخر سوى حدوث معجزة. فما الدليل على الميلاد المعجزي ليسوع من عذراء؟

يرفض بالطبع أولئك الذين لا يؤمنون بالمعجزات ميلاد العذراء. في الواقع، مريم أم يسوع نفسها شكَّكت في المفهوم عندما أعلن لها الملاك جبرائيل ذلك. «فقالت مريم للملاك: «كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلًا» (لوقا ١: ٣٤). لكن الملاك شرح لها أن الحمل سيحدث عن طريق الروح القدس الذي سيحل عليها، «فلذلك أيضًا القدوس المولود منك يدعى ابن الله» (لوقا ١: ٣٥). وقد اعترف الملاك أن كل ذلك سيحدث بطريقة معجزية، وأضاف: «لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله» (لوقا ١: ٣٧). الله يصنع المعجزات، كما الحال في حمل مريم العذراء.[xxxiii]

هل هي ترجمة خاطئة؟

تنبأ إشعياء النبي أن المسيح سيُولد من عذراء منذ حوالي سبعة قرون قبل حدوث ذلك. وقد اعترض النقاد قائلين إن كاتب العهد الجديد قد «اقتبس بالخطأ» كلمة العذراء من إشعياء ٧. فالكلمة العِبرية المستخدَمة في إشعياء ٧: ١٤ هي «almah» التي تعني «امرأة شابة». لكن كاتب إنجيل متى، اقتبس الترجمة اليونانية للعهد القديم مستخدمًا كلمة «parthenos» التي تعني «عذراء». هنا قال النقاد إن «متى يُحرِّف ما قاله إشعياء!».

---

xxxiii راجع الفقرات التي تتناول المعجزات التي صنعها يسوع في سؤال رقم ٤١. كيف ادَّعى يسوع وأثبتَ أنه الله؟

تتمثل الحقيقة في أن الكلمة «almah» يمكن أن تعني «امرأة شابة» أو «عذراء»، على الرغم من وجود كلمة محددة في العِبرية تعني «عذراء». ومع ذلك، بسبب الاستخدام التقليدي للكلمة، كان قراء إشعياء في ذلك الوقت يفهمون أنه يقصد أن العذراء تحبل. وهذا ما جعل المعلمين اليهود منذ أكثر من مائتين عام قبل ميلاد يسوع يفسرون الكلمة العِبرية «almah» بأنها الكلمة اليونانية التي تعني عذراء عندما ترجموا إشعياء ٧: ١٤ في الترجمة السبعينية. لم يُحرِّف متى شيئًا على الإطلاق، بل كان يقتبس الترجمة اليونانية معتبرًا أن كلًّا منهما يتميز بالدقة في ترجمة إشعياء.

كيف كان رد فعل الناس؟

تقدم النبوءة دليلًا واضحًا على أن يسوع وُلِد من عذراء. لكن الأكثر من ذلك يمكن ملاحظتُه مما يقوله الكتاب المقدس عن رد فعل أهل الناصرة، مسقط رأس يسوع، بعد أن بدأ خدمته العامة. ففي إحدى المرات، بعدما علَّم في المجمع، قال الناس الذين نشأ يسوع وكبر في وسطهم: «أليس هذا هو النجار ابن مريم... فكانوا يعثرون به». (مرقس ٦: ٣). إن تسميته «بابن مريم» كانت إهانة واضحة في مجتمع يُسمِّي الأطفال بأسماء آبائهم، ما عدًا طبعًا في الحالات التي يُشكِك في أبوتها.

في وقتٍ آخر، علَّق المعارضون ليسوع تعليقًا لاذعًا عندما أجابوا بحدة «إننا لم نولد من زنا» (يوحنا ٨: ٤١). إهانة يسوع، والإشارة إليه بصفته «ابن مريم»، «وابن زنا»، تشير إلى أنه كان معروفًا في مسقط رأسه بأن مريم أمَّه حبلت به قبل زواجها من يوسف، دون حتى عَلاقةٍ معه! بعبارةٍ أخرى، يبدو على الأرجح أن ظروف الميلاد المعجزي ليسوع من عذراء قد تسببت في وصفه «بإبن غير شرعي».

فضلًا عن ذلك، لماذا أصرت مريم على أنها عذراء عندما كانت حُبلى؟ ببساطة لأنها كانت تعرف أن مثل هذه القصة سيصعب بكل تأكيد تصديقها.

لماذا لم تفكر في شيءٍ أكثر مصداقية؟ كان يمكنها أن تختلقَ عُذرًا وتبريء نفسها، أو على الأقل تُلقي بجزءٍ من اللوم على شخصٍ آخر. كان يمكنها الادعاء بأنها قد تعرضت للاغتصاب، أو أن يوسف ضغط عليها للاستسلام لرغبته! ولكن بدلًا من التفسير المنطقي الذي قد يتناسب مع قوانين الطبيعة المعروفة، قالت للناس إنها حُبلى من الروح القدس. لكن لماذا قالت ذلك، رغم أنه أقل التفسيرات التي يمكن تصديقها؟ سبب واحد منطقي لذلك هو الحقيقة.

دليل أخير: ماذا فعل يوسف خطيبها عندما أصبحت مريم حُبلى؟ افترض بطبيعة الحال أنها مارست الجنس مع رجل آخر، وخطط أن يفسخ الخطبة. ومع ذلك، تقول رواية متى عن هذه القصة إن الملاك قال ليوسف حقيقة هذا الحمل. وبناءً على ذلك، صدَّق أن الروح القدس حبل بمريم، واستمر يوسف معها لإتمام الزواج.

اتخذ يوسف قراره وهو يعلم تمامًا آثار هذا القرار. في البداية لم يصدق مريم، وعقد العزم على فسخ الخطبة، مثله في ذلك مثل أي رجل صالح. ما يُبيِّن لنا أنه يعرف جيدًا الآثار المترتبة على انتهاك التوقعات الاجتماعية عن طهارة الزواج وقداسته. ورجل حكيم وصالح مثل يوسف، كما يدعوه متى، سيدرك كيف أن الزواج من مريم سيلطخ سمعته طوال حياته. والسبب الوحيد لاستمرار يوسف مع مريم هو إيمانه بأن رسالة الملاك هي الحقيقة المطلقة. كانت مريم بالفعل العذراءَ التي حملت في أحشائها ابنَ الله، بعد أن حبلت به من الروح القدس.

٤٤

هل يوجد دليل على قيامة يسوع من الأموات؟

بمجرد أن يموت الإنسان ويُدفن، لا يعود للحياة مرة أخرى. ليس من الطبيعي أن يقوم البشر من الأموات. ومن المستحيل أن يحدث ذلك دون تدخل معجزي. لذا هل يوجد برهان على حدوث معجزة قيام يسوع من الموت الجسدي؟

تدعم أدلة كثيرة قيامة يسوع، حيث تتوافر مصادر عديدة جيدة حول هذا الموضوع.[xxxiv] ومع ذلك، ظهر عدد من النظريات البديلة التي تحاول تفسير عدم وجود جسد يسوع في القبر. ومن ضمن هذه النظريات «نظرية الجسد المسروق»، «ونظرية الجسد المنقول»، «ونظرية الهلوسة»، «ونظرية القيامة الروحية»، وغيرها من النظريات. وتحاول جميع هذه النظريات شرح الحقائق التي يدور بشأنها بعض النقاش. والسؤال الذي يطرح نفسه ليس إذا ما كنت هذه الحقائق صحيحة، بل أيٌّ من النظريات يقدم أفضل شرح لهذه الحقائق؟ سنلقي الضوء على ثلاث حقائق منهم:

الحقيقة الأولى: موت يسوع على الصليب

توجد أدلة كثيرة على موت يسوع على الصليب على يد الرومان:

١- كُتِبت الأناجيل الأربعة عن موت يسوع.

٢- طبيعة الصليب تكفل تمامًا الموت. وقد طوَّر الرومان عملية الصلب بطريقة منظمة؛ لتتسبب في أقصى ألم، لأطول وقت ممكن. وقد جلدوا يسوع بوحشية، وألبسوه تاجًا من الشوك، وجعلوه يحمل الصليب، وسمَّروه على الصليب بالمسامير الكبيرة؛ ما يؤكد فعليًّا أنه قد مات.

٣- تسببت الحربة التي طعنت جنب يسوع، كما يخبرنا إنجيل يوحنا، في نزول ماء ودم؛ وهو دليل طبي على موت يسوع. واتفق العديد من الأطباء أن خروج دم وماء من هذا الجُرح الذي تسببت فيه الحربة، هو علامة أكيدة على موت يسوع.

---

xxxiv كتبنا كتابًا في هذا الموضوع بعنوان «أدلة على القيامة» (كتب ريجل، ٢٠٠٩). اسأل عن الكتاب لمزيد من التفاصيل

٤- سجَّل عدد من الكتاب الذين من خارج الكتاب المقدس موت يسوع. ومن ضمن هؤلاء الكُتَّاب كورنيليوس تاسيتوس (حوالي ٥٥ ـ ١٢٠ ميلاديًّا) الذي يعتبره الكثيرون أعظم المؤرخين الرومانيين القدماء، والعالِم اليهودي يوسيفوس (حوالي ٣٧- ٩٧ ميلاديًّا)، والتلمود اليهودي (المجمع ما بين ٧٠ ـ ٢٠٠ ميلاديًّا).

الحقيقة الثانية: قبر يسوع الفارغ

في يوم الأحد بعد الصلب، ذهبت مريم ونساء أخريات ليدهنَّ جسد يسوع بالطيب. وقد اندهشن؛ لأن القبر كان مفتوحًا، والجسد غيرَ موجود. ولا يوجد سبب وجيه للاعتقاد بأن القبر كان بالفعل فارغًا كما ذكرت النساء:

١- لم ينطلق تلاميذ يسوع إلى مصر أو الصين ليبشروا بقيامة المسيح، بل عادوا إلى مدينة أورشليم حيث صُلِب يسوع. لو كان قبر يسوع غيرَ فارغ، ما استطاعوا الزعم بالقيامة لحظة واحدة.

٢- تأكد أن يسوع لو لم يقم من بين الموت، لأخمد القادة الدينيون والسياسيون في ذلك الوقت، فعليًّا وسريعًا، ظهور طائفة المسيحية من خلال تحديد مكان جسد يسوع، وحمله، والتجوُّل به في شوارع أورشليم. وكان ذلك سيدمر المسيحية عمليًّا قبل ظهورها. لكن لم يحدث ذلك قط؛ لأن يسوع قام من بين الأموات.

٣- وواحدٌ من أكثر الأدلة إلحاحًا ودعمًا لقصة القبر الفارغ هو أن النساء كنَّ أول مَن اكتشف عدم وجود جسد يسوع. في القرن الأول في فلسطين، كان وضع النساء متدنيًا كمواطنين أو شهود قانونيين، باستثناء حالات نادرة. وكان القانون اليهودي يمنع النساء من تقديم الشهادة في المحكمة. لذلك، فلماذا قال التلاميذ، لو كانوا ابتدعوا قصة القيامة، إن النساء هن أول شهود على القبر الفارغ؟ فعادةً عندما يختلق الناس قصة لخداع الآخرين، لا يذكرون معلوماتٍ تطعن في نزاهتها. لذا فأن يذكر التلاميذ أن النساء هن أول مَن شهد على القبر الفارغ، لا يعني سوى أنهم كانوا يقولون الحقيقة.

الحقيقة الثالثة: إيمان تلاميذ يسوع أنه ظهر لهم

يتفق العلماء على أن التلاميذ الأوائل كانوا يؤمنون بأن يسوع قام من بين الأموات، وقد ظهر لهم شخصيًّا. ويمكننا أن نجد عددًا من الأدلة المقنعة في كورنثوس الأولى ١٥: ٣- ٨. التي تعد عقيدة إيمان قصيرة وتسجل موت يسوع ودفنه وقيامته وظهوره لبطرس ويعقوب والاثنى عشر تلميذًا وخمسمائة من المؤمنين وأخيرًا لبولس.

ورغم أن رسالة كورنثوس الأولى كُتِبت في حوالي ٥٥ ميلاديًّا، يعتقد العلماء أن العقيدة القصيرة الواردة في الأصحاح الخامس عشر تسبق كتابة الرسالة نفسها. وأحد الأسباب التي ترجح ذلك أن بولس في بداية العقيدة يقول: «فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضًا.» (١ كورنثوس ١٥: ٣). بمعنى آخر، يُسلم بولس لكنيسة كورنثوس ما قد سبق وتسلمه. متى استلم بولس هذه العقيدة؟ حيث إن بولس قد زار أولًا بطرس ويعقوب في أورشليم بعد ثلاث سنوات من قبوله المسيح (غلاطية ١: ١٨- ٢٠)، يعتقد العديد من النقاد أن بولس قد استلم الإيمان منهما في مقابلته الأولى معهما. وهذا من شأنه أن يَرجع تاريخُه إلى سنواتٍ خمس بعد موت يسوع. ومن الناحية التاريخية، يعد ذلك واحدًا من الأدلة الأولى المدهشة على الإيمان بموت يسوع ودفنه وقيامته وظهوره للتلاميذ.

افحص جميع النظريات البديلة، وستجد أن استنتاجًا واحدًا يأخذ في الاعتبار جميع الحقائق، ولا يعدلها وفقًا لمفاهيم مكونة سلفًا. إن قيامة المسيح من بين الأموات هي حدث تاريخي ناتج من عمل إلهي خارق للطبيعة.

٤٥

لماذا احتاج يسوع أن يموت؟

يقول الكتاب المقدس إن الجميع أخطأوا (رو ٣: ٢٣)، وفي حاجة إلى الغفران. لكن لماذا كان يسوع يحتاج إلى الموت؛ حتى يُمكِّننا من أن ننال مغفرة الله؟ أليس ذلك إجراءً متطرفًا من الله حتى يستخدمه لكي يغفر للبشر الذين اتخذوا بعض الاختيارات السيئة؟

دور الخطية

لفهم سبب موت يسوع، يجب أن نستوعب بعض الأمور القليلة عن الخطية وطبيعة الله. سنلخص تلك القضيتين حتى نضع هذا السؤال في سياقه الصحيح.[xxxv]

الله هو إله عَلاقاتي، له طبيعة مقدسة تمامًا (إشعياء ٥٤: ٥؛ رؤيا ٤: ٨)، وعادل عدالة مطلقة (رؤيا ١٦: ٥). يقول الكتاب المقدس: «هو الصخر الكامل صنيعه. إن جميع سبله عدل. إله أمانة لا جور فيه. صديق وعادل هو.» (تثنية ٣٢: ٤). لم يكن عمل أشياء مقدسة وعادلة شيئًا قد قرر الله القيام به، بل الله قدوس وعادل بطبيعته.

ولأنه قدوس تمامًا بطبيعته، لا يمكن أن يُخطىء، أو يكون في عَلاقة مع الخطية.[xxvi] يقول الكتاب المقدس عنه: «عيناك أطهر من أن تنظرا الشر، ولا تستطيع النظر إلى الجور،» (حبقوق ١: ١٣). لذلك فالله طاهر وقدوس ولم يخطىء قط، وهذا أمر جيد للغاية.

لكن كما ذكرنا، فالله أيضًا عادل. يقول الكتاب المقدس: «ليخبروا بأن الرب مستقيم. صخرتي هو ولا ظلم فيه» (المزامير ٩٢: ١٥). ويقول سفر دا ٤: ٣٧ «الذي كل أعماله حق وطرقه عدل.» إنه ذلك الإله القدوس والعادل الذي يُعرِّف الشر على ما هو عليه، ويطالبك إما بأن تنفصل الخطية عنه للأبد، أو يدفع هو ثمنها بطريقة ذنبها!

---

xxxv راجع السؤالين ١٨. ما الذي يجعل الناس يخطئون اليوم؟ و١١. مَن هو الله؟

xxxvi راجع السؤال رقم ١٩. إن كان الله مُحِبًّا للغاية، فلماذا لا يكون أكثر تساهلًا مع الخطية؟!

ماذا عن البشر؟

الآن جاء دور البشر. كان أول زوجين يتمتعان بحرية الاختيار في عدم الثقة بالله وعصيانه. وقد نتج عن ذلك الخطية التي أسفرت عن انفصال الزوجين عن الله القدوس والكامل، وهذا ما يُطلق عليه الموت. لذا كانت خطية آدم وحواء اختيارًا. لكن أصبحت الخطية والموت لذريتهم حالة. يقول الكتاب المقدس: «من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذا أخطأ الجميع» (رومية ٥: ١٢).

ما الذي فعله الله؟ لم يستطع الله أن يكون في عَلاقة مع البشر كما هم بسبب الخطية، التي من شأنها أن تنتهك قداسته وطهارته. لم يستطع التغاضي عن الخطية، ويقول: «هذا على ما يرام، وعفا الله عمَّا سلف»؛ لأن ذلك من شأنه أن ينتهك عدالته. في الوقت ذاته إن لم يفعل شيئًا، سيظل البشر منفصلين عنه إلى الأبد.

قداسة الله لا تطيق الخطية، كما أن عدله لا يتغاضى عنها. لكن محبته لا يمكن أن تقف موقف المتفرج ولا تفعل شيئًا. لذلك فقد صمَّم الله خطة رحيمة وممتازة. لكنها كانت باهظة التكاليف؛ حيث ستودي إلى موت ابنه الوحيد.

لكن لماذا كان موت يسوع مطلوبًا؟ أليس من الممكن لنا جميعًا تأدية بعض أعمال الكفارة؛ حتى ننال الغفران، ونُرضي قداسة الله وعدالته؟ لماذا لا نفعل ذلك أبدًا؟ لأننا جميعًا أموات روحيًّا بالنسبة لله. وحالتنا الخاطئة جعلتنا أمواتًا، والأموات لا يمكن أن يفعلوا شيئًا ليعالجوا حالتهم.

كانت هذه هي المعضلة التي يعاني منها البشر. لذلك يقول الكتاب المقدس: «لأن المسيح، إذ كنا بعد ضعفاء، مات في الوقت المعين لأجل الفجار،» (رومية ٥: ٦). لا يمكن أن يقبل الله أيَّ قدرٍ نقدمه من الحسنات؛ لأننا ببساطة أموات بالنسبة له. لذا كان موت يسوع هو الأمر الوحيد المقبول لله؛ لأنه «كما من حمل بلا عيب، دم المسيح» (١ بطرس ١: ١٩). وعندما نضع إيماننا

فيه ليمحوا خطايانا، فإننا نكون «متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح،» (رومية ٣: ٢٢، ٢٤). ويقول الكتاب المقدس أيضًا: «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا، لنصير نحن بر الله فيه،» (٢ كورنثوس ٥: ٢١).

لم تتوفر وسيلة لإرضاء قداسة الله وعدالته سوى من خلال موت يسوع- ابن الله الذي بلا خطية- لأجلنا. ولأن عدل الله الكامل قد تحقق، استطاع يسوع أن يفعل ما كان يبدو مستحيلًا، وكسر سلطان الموت علينا. كما يقول الكتاب المقدس: «إذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضًا كذلك فيهما، لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس،» (العبرانيين ٢: ١٤).

لا غنى عن موت يسوع وقيامته بالنسبة لنا؛ حتى نتبرر أمام الله القدوس والعادل. ولأن الله يريد عَلاقة أبدية معنا؛ كان على استعداد لدفع ثمن هذه العَلاقة الباهظ؛ حتى يعطينا الحياة الأبدية ميراثًا لنا، «الروح نفسه أيضًا يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولادًا فإننا ورثة أيضًا، ورثة الله ووارثون مع المسيح. إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضًا معه.» (رومية ٨: ١٦، ١٧).

٤٦

لماذا تعد قيامة يسوع محورية للغاية في المسيحية؟

يرى بعض القادة المسيحيين والقساوسة أن قيامة يسوع من بين الأموات محورية في المسيحية. في حين يعتبر البعض الأخر أن هؤلاء القادة لا يؤمنون بأن موت يسوع لأجل خطايانا كان كافيًا، متسائلين: «أليس موت المسيح على الصليب هو القضية المحورية للكنيسة، وليس قيامته؟ لأن موت يسوع هو الذي فدانا؟».

تعد قيامة يسوع محورية للإيمان المسيحي، حيث إنها ليست مادة اختيارية للإيمان، بل هي الإيمان نفسُه! إن قيامة يسوع المسيح من بين الأموات والمسيحية يتحدان معًا أو يسقطان سويًّا. لا يمكن لأحدهما أن يكون صحيحًا دون الآخر. إن الإيمان في حقيقة المسيحية ليس مجرد إيمان في عقيدة- سواء عقيدتنا أو عقيدة شخص آخر- بل هو إيمان بالمسيح المقام من بين الأموات تاريخيًّا. وبدون قيامة يسوع التاريخية، فإن الإيمان المسيحي مجرد علاج إرضائي. قال بولس الرسول: «وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطل إيمانكم» (١كورنثوس ١٥: ١٧). كما أن العبادة والشركة ودراسة الكتاب والحياة المسيحية والكنيسة نفسها هي تدريبات بلا قيمة ولا جدوى لو لم يكن يسوع قد قام ماديًّا وحرفيًّا من بين الأموات. وبدون القيامة، قد ننسى أيضًا الله، والكنيسة، واتباع القواعد الأخلاقية، «فلنأكل ونشرب لأننا غدًا نموت!» (١كورنثوس ١٥: ٣٢).

من ناحية أخرى، إذا كان المسيح قد قام من بين الأموات، فهذا يعني أنه حي في هذه اللحظة، ويمكننا معرفته معرفة شخصية. وتؤكد لنا رسالة كورنثوس الأولى ١٥: ١- ٥٨ أن خطايانا قد غُفِرت (اقرأ عدد ٣)، وأن المسيح كسر سلطان الموت (اقرأ عدد ٥٤). فضلًا عن ذلك، فقد وعد أننا سوف نحيا يومًا ما (اقرأ عدد ٢٢). ويمكننا أن نثق فيه؛ لأنه أخضع العالم له (اقرأ عدد ٢٧). وسيعطينا الغلبة النهائية (اقرأ عدد ٥٧)، كما أنه لديه خطة لحياتنا (اقرأ عدد ٥٨).

لذلك، فقيامة المسيح محورية بالنسبة للمسيحية. وقد صاغها اللاهوتي المعاصر جا. أي. باكر (J.I. Packer) على هذا النحو:

«أثبتت حادثة القيامة ألوهية يسوع، وصحة تعاليمه، وبرهنت على إتمام عمله الكفاري عن الخطايا، كما تؤكد على سيطرته الحالية على الكون، ومجيئه الثاني كديان، وكذلك تؤكد لنا أن غفرانه الشخصي، وحضوره، وسلطانه على حياة البشر اليوم أمر حقيقي، وتضمن لكل مؤمن الحصول على جسد جديد عند القيامة في العالم العتيد».[٣٤]

الله قادر أن يقيمنا للحياة فيه بسبب يسوع المقام. فلم تهزم قوة قيامته موته فحسب، بل ستهزم إبليس يومًا ما، وقبضة الموت علينا جميعًا:

«لأنه يجب أن يملك حتى «يضع جميع الأعداء تحت قدميه». آخر عدو يبطل هو الموت... ومتى أخضع له الكل، فحينئذ الابن نفسه أيضًا سيخضع للذي أخضع له الكل، كي يكون الله الكل في الكل.» (١كورنثوس ١٥: ٢٥، ٢٦، ٢٨)

٤٧

كيف كان البشر يكفرون عن خطاياهم ويصلون إلى الله قبل موت يسوع؟

إن كان الإيمان بموت المسيح الكفاري على الصليب وقيامته هو ما يقودنا إلى عَلاقة صحيحة مع الله، فماذا عن أولئك الذين عاشوا قبل المسيح؟ يقول البعض إن البشر قبل مجيء يسوع، كان ينالون الخلاص من خلال طاعة ناموس العهد القديم، لكن بعد مجيئه نلنا جميعًا الخلاص بالنعمة من خلال الإيمان به. في حين يقول البعض الآخر، إن البشر نالوا الخلاص من خلال النظام الكفاري لناموس موسى في ذلك الوقت. فما هو الصواب؟

الخلاص دائمًا بالنعمة من خلال الإيمان بالمسيح

في الواقع، كانت مغفرة الخطية، والعَلاقة الصحيحة مع الله، بالطريقة نفسها قبل المسيح وبعد مجيئه. فقد تبررنا أمام الله بنعمته من خلال الإيمان بالخلاص الذي قدَّمه، وتحديدًا عن طريق ابنه يسوع.

منذ البداية، جعل الله الإيمان به شرطًا للعَلاقة معه. وعندما قال لآدم وحواء أن لا يأكلا من ثمر الشجرة، كان يطلب منهما أن يثقا فيه. فقد كان يود منهما الإيمان والثقة بأن وصيته لخيرهما، وجاءت منه الإله الذي يهتم بهما. وعلى مر العصور، لم يتغير ذلك قط. فالله يود من خليقته البشرية دائمًا الإيمان بأنه يحبهم، وأن تقدم له الخليقة الحبَّ والعبادة.

عندما أخطأ البشر، لم يكن الله يريد مجرد تصحيح الأمور، من خلال اتباع وصاياه، أو النظام الكفاري الذي وضعه، بل كان يريد استعادة عَلاقة الثقة، التي فيها يقدم البشر له العبادة بصفته الإله المُحِب. وبالتالي تُصبح الطاعة نتيجة تلقائية وطبيعية لتلك العَلاقة التي تتميز بالمحبة والثقة. عندما أخطأ الملك داود، صلى قائلًا: «طهرني بالزوفا فأطهر. أغسلني فأبيض أكثر من الثلج» (المزامير ٥١: ٧).

لم يرَ داود أن الغفران يأتي من الأعمال أو الطاعة، كما كان يعرف أن الذبائح لا تُسِر الله، حيث قال: «لأنك لا تسر بذبيحة وإلا فكنت أقدمها. بمحرقة لا ترضى. ذبائح الله هي روح منكسرة. القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره» (المزامير ٥١: ١٦، ١٧).

بالأحرى كان داود يفهم أن العَلاقة مع الله من خلال النعمة، وعرفنا ذلك عندما وضع ثقته فيه قائلًا: «احفظ نفسي لأني تقي. يا إلهي، خلص أنت عبدك المتكل عليك» (المزامير ٨٦: ٢). لاحظ أن ذلك لا يعني أن موت المسيح غير ضروري. لا غنى عن الدخول في عَلاقة تتميز بالثقة والمحبة مع الله.[xxxvii]

يتناول بولس الرسول موضوع الإيمان بتوسع، ويشرح كيف تبرر إبراهيم أمام الله: «لأنه إن كان إبراهيم قد تبرر بالأعمال فله فخر، ولكن ليس لدى الله. لأنه ماذا يقول الكتاب؟ «فآمن إبراهيم بالله فحسب له برًا»... وأما الذي لا يعمل، ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر، فإيمانه يحسب له برًا. كما يقول داود أيضًا في تطويب الإنسان الذي يحسب له الله برًا بدون أعمال: «طوبى للذين غفرت آثامهم وسترت خطاياهم. طوبى للرجل الذي لا يحسب له الرب خطية» (رومية ٤: ٢، ٣، ٥- ٨).

كان أولئك الذين يعيشون في زمن العهد القديم يقدمون ذبيحة من الحيوانات، لكن ذلك كان بديلًا مؤقتًا يشير إلى المسيح، الذي سيُقدم نفسه ذبيحة لأجلهم. يقول الكتاب المقدس: «لأنه (يسوع) فعل هذا مرة واحدة، إذ قدم نفسه» (العبرانيين ٧: ٢٧).

وكما جاء موت المسيح وقيامته؛ ليقيمنا من الموت الروحي إلى عَلاقة صحيحة مع الله، فإن ذلك حدث في الوقت المناسب؛ ليحرر أولئك المولودين قبل مجيء يسوع. يقول الرسول بولس إن يسوع «الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه، لإظهار بره، من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله، لإظهار بره في الزمان الحاضر،» (رومية ٣: ٢٥، ٢٦).

---

xxxvii راجع السؤالين ٤٥. لماذا احتاجَ يسوع أن يموت؟ و٤٦. لماذا تعد قيامة يسوع محورية للغاية في المسيحية؟

بعبارة أخرى، كان أولئك الذين عاشوا قبل مجئ يسوع يتمتعون بالغفران على حساب ذبيحته، حتى قبل موته لأجلهم. إنها مثل أن نشترى شيئًا على الحساب، ونستخدمه رغم أننا لم ندفع ثمنَه بعد. وهذا ما يقصده الكتاب المقدس عندما يقول «فآمن (إبراهيم) بالرب فحسبه له برًا» (تكوين ١٥: ٦). نال إبراهيم الخلاص برغم أن الصفقة النهائية لم تكتمل بعدُ عن طريق يسوع. باختصار، عالجت ذبيحة يسوع الكاملة مشكلة الخطية والموت لكل الذين يؤمنون بتدبير الله في الماضي والحاضر والمستقبل. فجميع الأحياء الذين لا يزالون على قيد الحياة، وأولئك الذين سيأتون بعدنا، يجب أن يؤمنوا بموت المسيح وقيامته، حتى ينالوا الخلاص، ويتمتعوا بوعده أنه «سيقيمنا من الأموات لنتمتع بالحياة الأبدية»، وكذا الحالُ أيضًا للذين ماتوا مؤمنين بتدبير الله.

٤٨

ما هي كنيسة الله؟

يختلف البعضُ اليومَ مع كيفية عمل الكنائس، ومع الكثير من تعاليم الكنيسة. لكن من أين جاءت فكرة الدين المسيحي المنظم؟ وما الذي نقصده حقًّا «بالكنيسة»؟

سأل يسوع أتباعه: «مَن تقولون إني أنا؟» فأجاب سمعان بطرس وقال: «أنت هو المسيح ابن الله الحي!». فأجاب يسوع... «أنت بطرس (الذي يعني صخرة)، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي،» (متى ١٦: ١٦- ١٨). تُرى ما نوع الكنيسة الذي كان يسوع يضعه في الاعتبار عندما قال ذلك؟

من الواضح أن يسوع عندما قال كنيسة، لم يكن يقصد مبنى. وقد اختار كلمة «ekklesia» في اليونانية التي تعني جمعًا من الناس. وفي ثقافة ذلك العصر، كان المفهوم من الكلمة بوضوح هو أنها تعني تجمُّعًا عامًّا من المواطنين. كما أن الكلمة التي تقابلها في العِبرية تعني اجتماعًا أمام الرب. وسواء في اليونانية أو العِبرية، فالكنيسة يُقصد بها «شعب الله» وليس مبنى.

في ثقافتنا اليوم، كثيرًا ما يُعتقد أن الكنيسة عبارة عن مبنى أو منظمة. لكن هذا بعيدٌ كلَّ البعد عَمَّا قد فهمه التلاميذ والرسل بعد حلول الروح القدس عليهم في يوم الخمسين. بمجرد أن امتلئوا من الروح القدس، استوعبوا المفهوم، حيث كان المقصود بالكنيسة «شعب الله». وكانت الكنيسة هي وكيل المسيح لنشر رسالة الملكوت. وكانت التمثيلَ المَرئي للمسيح نفسه.

عندما قال يسوع لتلاميذه «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم» (متى ٢٨: ١٩)، كان يقول هذه الوصية لشعبه، أي الكنيسة التي كانت ستؤسَّس بعد وقتٍ قصير. وكان لتلك الكنيسة إرسالية، كانت جزءًا من إرسالية أكبر خاصة بالفداء، واسترداد كل الأشياء. وكانت خطوة المسيح الأولية في هذه الإرسالية هي أن يبذل نفسه فدية. وقد فعل ذلك بموته على الصليب وقيامته، لكنه سيحقق بقية إرساليته من خلال وسيلة أخرى. وقد انتشرت الكنيسة معه بصفته رأسها، انتشارًا سريعًا،

وأصبحت معروفة عن طريق قوة الروح القدس الساكن في مجتمع أتباعه، وفي النهاية ستصل الكنيسة إلى كل ركن من أركان الأرض.

إن كنيسة يسوع الجديدة ليست هيئة ساكنة، لكنها كائنٌ حي. ولا يتعلق الأمر ببناء مؤسسة أو نصب تذكاري، بل بنشر رسالة، وتغيير قلوب البشر. والعهد الجديد يستخدم على الأقل ست صور لوصف الكنيسة، ولا صورة منهم عن الهيئات أو المؤسسات أو المباني المادية:

١- الكنيسة هي شعب الله الجديد (راجع غلاطية ٦: ١٥؛ أفسس ٣: ١٠، ١١).

٢- الكنيسة هي عائلة الله (راجع أفسس ٢: ١٩، ٢٠؛ رومية ٨: ١٤- ١٧).

٣- الكنيسة هي جسد المسيح (راجع أفسس ١: ٢٣؛ رومية ١٢: ٤، ٥).

٤- الكنيسة هي هيكل مقدس يسكن فيه الله (راجع أفسس ٢: ٢١، ٢٢؛ ١ كورنثوس ٣: ١٦).

٥- الكنيسة هي عروس المسيح الطاهرة (راجع أفسس ٥: ٢٥- ٢٧).

٦- الكنيسة هي أداة المسيح لتحقيق إرساليته وافتقاد الهالكين (راجع ١ بطرس ٢: ٩؛ ٢ كورنثوس ٥: ١٨- ٢٠).[٣٥]

عندما يتبرر البشر بالنعمة أمام الله من خلال الإيمان بالمسيح، يصيرون جزءًا من هذه الجماعة الحية التي تُسمَّى الكنيسة.

٤٩

ما الذي سيفعله يسوع في مجيئه الثاني؟

كتب الكثيرون عن نبوءات الكتاب المقدس عن الأيام الأخيرة، وما سيحدث قبل مجئ يسوع إلى الأرض ثانية وبعده. ويقدم البعض تعاليمَ تُسمَّى ما قبل الألف سنة (premillennial)، وما بعد الألف سنة (postmillennial)، واللاألفية (amillennial). وأحيانًا قد يحدث خلط بين هذا وذاك. لكن للوصول إلى خلاصة القول، ما الذي سيفعله يسوع حقًّا عندما يأتي مرة ثانية؟

خطة الله لاسترداد كل شيء

قال يسوع لتلاميذه إنه ماضٍ ليُعِد مكانًا لهم، ولجميع الذين يؤمنون به. وقال لهم هذا الوعد: «آتي أيضًا وآخذكم إليَّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضًا» (يوحنا ١٤: ٣). وبعد يوم الخمسين، قدَّم بطرس عِظة إلى أهل أورشليم تحمل الرسالة نفسها، وقال لهم: إن يسوع «الذي ينبغي أن السماء تقبله، إلى أزمنة رد كل شيء، التي تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر» (أعمال الرسل ٣: ٢١). لكن ماذا قال الأنبياء عن خطط الله لاسترداد كل شيء؟

«لأني هانذا خالق سماوات جديدة وأرضًا جديدة، فلا تُذكَرُ الأولى ولا تخطر على بالٍ» (إشعياء ٦٥: ١٧).

«لأن الأرض تمتلئ من معرفة مجد الرب كما تغطي المياه البحر» (حبقوق ٢: ١٤).

«لأنه كما أن السماوات الجديدة والأرض الجديدة التي أنا صانع تثبت أمامي، يقول الرب، هكذا يثبت نسلكم واسمكم» (إشعياء ٦٦: ٢٢).

قدَّم الكتابُ المقدس هذه الوعودَ التي أعلنها الله إلى بني إسرائيل، لكننا من ضمن المستفيدين منها. فعندما سأل بطرس عَمَّا سيكون للتلاميذ الذين تبعوا يسوع، قال له يسوع: «الحق أقول لكم: إنكم أنتم الذين تبعتموني، في التجديد،

متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده، تجلسون أنتم أيضًا على اثني عشر كرسيًّا تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر» (متى ١٩: ٢٨). وكتب بطرس في وقتٍ لاحق قائلًا: «ولكننا بحسب وعده ننتظر سماوات جديدة، وأرضًا جديدة، يسكن فيها البر» (٢بطرس ٣: ١٣). كما قال أيضًا يسوع لنا: «ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسي مجده. ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المُعد لكم منذ تأسيس العالم» (متى ٢٥: ٣١، ٣٤).

لم يتنازل الله عن خطته الأصلية. ولم يتنازل عن فكرة الأرض الكاملة، ولا خطته لأولاده أن يعيشوا في هذا المكان الكامل للأبد. ولا ينوى أن يأخذنا إلى السماء بعيدًا، ثم يُدمر هذه الأرض التي صمَّمها لتكون وطنًا لنا. صعد يسوع إلى السماء بعد قيامتِهِ، لكنه وعد بعودتِه مرةً ثانية. وأنه سيرد هذه الأرض إلى تصميمها الأصلي. فخطة الله الكاملة «لتدبير ملء الأزمنة، ليجمع كل شيء في المسيح، ما في السماوات وما على الأرض، في ذاك» (أفسس ١: ١٠).

لن يرد الله هذه الأرضَ وحدَها إلى تصميمه الأصلي، بل سيغير أجسادنا أيضًا. يقول الكتاب المقدس: «لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت. ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد، ولبس هذا المائت عدم موت، فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة: «ابتُلِع الموت إلى غلبة» (١كورنثوس ١٥: ٥٣، ٥٤). ويعتمد كل ذلك، أي تغيُّر أجسادنا، والعالم الجديد، على عودة يسوع المسيح ليبيد الموت، وبالطبع خصمه اللدود إبليس. كان لا بد أن يموت يسوع أولًا كفارةً عن خطايانا. وقد فعل ذلك. كما كان لا بد أن يَقهر الموتَ من خلال قيامته؛ ليصير رئيس كهنتنا الأعظم. وقد فعل ذلك. وعند مجيئه الثاني، سيُبيد الموتَ والشرير؛ ليجدد جميعَ الأشياء، ويردها.

«ومتى أخضع له الكل، فحينئذ الابن نفسه أيضًا سيخضع للذي أخضع له الكل، كي يكون الله الكل في الكل» (١كورنثوس ١٥: ٢٨).[٣٦]

٥٠

كيف أختبر شخصيًّا العَلاقة مع الله؟

يمكن أن نطرح كثيرًا من الأسئلة عن الله. وفي هذا الكتاب، حاولنا، حتى الآن، الإجابة عن تسعةٍ وأربعين سؤالًا منهم. لكن هذا السؤال هو الأكثر أهميةً بالفعل: كيف نختبر عَلاقة شخصية مع الإله الحي؟

بذل الله جهودًا غيرَ عادية؛ ليكون في عَلاقةٍ معنا. فقد ترك السماءَ في شخص ابنِه يسوع، ومات مِيتةً رهيبة، وقام من بين الأموات مرةً أخرى؛ ليعطينا حياةً جديدة فيه. وقد فعل كلَّ ذلك؛ لأنه «إله غيور هو» (خروج ٣٤: ١٤).

وفيما يلي عرض مبسط لقصة الإنجيل التي يمكن أن تستخدمها دليلًا لتكوين عَلاقة مع الله.

١- هل يمكن حقًّا أن تعرف الله معرفة شخصية؟ نعم:

• فالله يحبك. يقول الكتاب المقدس: «في هذا هي المحبة: ليس أننا نحن أحببنا الله، بل أنه هو أحبنا، وأرسل ابنه كفارة لخطايانا» (١ يوحنا ٤: ١٠).

• لدى الله خطة لك حتى تعرفه معرفة شخصية: «وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يوحنا ١٧: ٣).

٢- ما الذي يمنعك من معرفة الله معرفة شخصية؟

• الخطية. «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله» (رومية ٣: ٢٣). على الرغم أننا خُلِقنا لنكون في عَلاقة مع الله، فقد اخترنا أن نسلك في طريقنا المستقل، وتمردنا على الله بسبب أنانيتنا. وهذه الإرادة الذاتية التي تتميز بالتمرد النشط أو اللامبالاة السلبية هي دليل على ما يُطلِق الكتابُ المقدس عليه «خطية».

• الانفصال عن الله. «أجرة الخطية هي الموت» (رومية ٦: ٢٣). والموت الذي يتكلم عنه بولس هنا ليس الموت المادي فحسب، بل الانفصال الروحي

عـن الله أيضًـا. وهـذا يعنـي أنـه «معطيًـا نقمـة للذيـن لا يعرفـون الله، والذيـن لا يطيعـون إنجيـل ربنـا يسـوع المسـيح، الذيـن سـيعاقبون بهـلاك أبـدي مـن وجـه الـرب» (٢ تسـالونيكي ١: ٨، ٩).

٣ـ قدَّم الله طريقًا لحل مشكلة هذا الانفصال، عـن يسـوع المسـيح ابـن الله، الـذي هـو تدبيـر الله الوحيـد لخطايانـا. حيـث يمكننـا، مـن خلالِـه وحـدِه، أن نعـرف الله معرفـة شـخصية، ونختبـر محبتـه.

• مـات المسـيح بـدلًا عنـا. «الـذي قدمـه الله كفـارة بالإيمـان بدمـه، لإظهـار بـره، مـن أجـل الصفـح عـن الخطايا السـالفة بإمهـال الله.» (رومية ٣: ٢٥).

• قـام المسـيح مـن بيـن الأمـوات. «المسيح مـات مـن أجـل خطايانـا حسـب الكتـب، وأنـه دفـن، وأنـه قـام فـي اليـوم الثالـث حسـب الكتـب،» (١ كورنثـوس ١٥: ٣، ٤).

• المسـيح هـو الطريـق الوحيـد لله. قـال يسـوع: «أنـا هـو الطريـق والحـق والحيـاة. ليـس أحـد يأتـي إلـى الآب إلا بـي» (يوحنـا ١٤: ٦).

لكن...

٤ـ معرفة هذه الحقائق ليست كافية

• يجـب أن نقبـل شـخصيًّا يسـوع المسـيح بصفتـه مخلصًـا وربًّـا، وبالتالـي نعـرف الله معرفـة شـخصية، ونختبـر محبتـه. «وأمـا كل الذيـن قبلـوه فأعطاهـم سـلطانًا أن يصيـروا أولاد الله، أي المؤمنـون باسـمه» (يوحنـا ١: ١٢).

• نقبـل المسـيح بالإيمانـه بـه، ووضـع ثقتنـا فيـه، وفـي قدرتـه وسـلطانه. «لأنكـم بالنعمـة مخلصـون، بالإيمـان، وذلـك ليـس منكـم. هـو عطيـة الله. ليـس مـن أعمـال كيـلا يفتخـر أحـد» (أفسـس ٢: ٨، ٩).

• نحن نقبل المسيح من خلال دعوته الشخصية لنا.

٥- عندما تقبل المسيح، تتغير.

• عندما تقبل المسيح بالإيمان كفعل إرادي، تختبر حياةً جديدة. «وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم، بل للذي مات لأجلهم وقام» (٢ كورنثوس ٥: ١٥).

إن الاتفاق فكريًّا بأن يسوع المسيح هو ابن الله، وأنه مات على الصليب لأجل خطاياك، لا يؤهلك وحده للإيمان الذي يتطلب أن ينبذ الشخص بجدية طرقه السابقة، ويثق في قيادة الله لمستقبله. لا يكفي الإيمان العقلي وحده لدخول المسيح في حياتك. كما أنه ليس من الكافي أن تتمتع بتجربة دينية عاطفية. إن قبول المسيح يتضمن أن تتحول للحياة التي مركزها الله بدلًا من النفس (التوبة)، والثقة في مجيء المسيح لحياتك؛ حتى يغفر لك خطاياك، ويجعلك تعيش خطته لحياتك.

٦- وعد الكتاب المقدس كل الذين يقبلون المسيح بالحياة الأبدية

• عندما نقبل المسيح، نُصبح واثقين أن لنا حياةً أبدية في السماء، وفرحًا هنا على الأرض. «وهذه هي الشهادة: أن الله أعطانا حياة أبدية، وهذه الحياة هي في ابنه. من له الابن فله الحياة، ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة. كتبت هذا إليكم، أنتم المؤمنين باسم ابن الله، لكي تعلموا أن لكم حياة أبدية، ولكي تؤمنوا باسم ابن الله» (١ يوحنا ٥: ١١- ١٣).

إن لم تثق في المسيح بعد، يمكنك عمل ذلك الآن. كلمات الصلاة التالية ليست سحرية، بل ببساطة هي اقتراح يُمكِّنك من التعبير عن رغبتك الصادقة؛ لتتخلى عن ذاتك، وتجعل الله يقود حياتك:

«يارب يسوع، أؤمن أنك المسيح ابن الله، وأريد أن أعرفك معرفة شخصية. شكرًا لك على الموت على الصليب لأجل خطاياي. أقبل غفرانك. وأثق فيك بصفتك مخلصي وربي. ادخل قلبي، واجعلني الشخص الذي خلقتني لأكونه. في اسم المسيح آمين.»[٣٧]

٥١

مِن أين أتى الكتاب المقدس؟

اليوم، يعد الكتاب المقدس الذي يحتوي على العهدين: القديم والجديد، هو الكتاب الأكثر انتشارًا على مَرِّ التاريخ. فقد تُرجِم إلى أكثر من ٢٤٠٠ لغة، ووصل عدد نسخه الموزعة إلى المليارات. ولكن من أين جاء هذا الكتاب الاستثنائي؟ مَن كتبه؟ ومتى؟

العهد القديم

كُتِب العهد القديم، وهو جزء من الكتاب المقدس، على مدار ألف سنة، باللغة العِبرية، ما عدا القليل من النصوص التي كُتِبت بالآرامية. وأول كاتب في الكتاب المقدس هو موسى، الذي يعود الفضل له في كتابة أول خمسة أسفار من الكتاب المقدس. ويرجع تاريخ كتابة أسفار موسى إلى ما يُعرَف بالعصر البرونزي (١٢٠٠- ١٥٠٠). وقد انتقلت رواية الخليقة، ونوح والفيضان، ورحلات إبراهيم، وما إلى ذلك، شفويًّا من جيل لآخر. من الممكن أيضًا أن يكون إبراهيم قد سجل قبل موسى بمئات السنين ما يعرفه أجدادُه الكبار عن القصص الأولى للخليقة، وأن يكون موسى قد جمع هذه الرواياتِ الأولى.

يتكون العهد القديم بالكامل من تسعةٍ وثلاثين سفرًا كالآتي: أسفار موسى الخمسة (المعروفة باسم التوراة)، واثنى عشر سفرًا من الأسفار التاريخية، وخمسة أسفار شعرية، وسبعة عشر سفرًا للأنبياء الصغار والكبار. وعلى الرغم أن عددًا كبيرًا من أسفار العهد القديم تحدِّد بوضوح كُتَّابها، فإن بعض الأسفار ببساطة لم تخبرنا عن ذلك!

العهد الجديد

لم يُكتَب العهد الجديد سوى بعد موت يسوع، وقيامته مرة أخرى، وصعوده إلى السماء. كانت الأراضي اليهودية خلال زمن يسوع تحت سيطرة الرومان، ونسل هيرودس الكبير. وكانت اليونانية والآرامية هما اللغات الأساسية. ويُقدِّر

معظم العلماء أن أول كتابات العهد الجديد قد صاغها الرسول بولس باللغة اليونانية، بعد حوالي عشرين سنة من قيامة يسوع وصعوده. ويُنسب إلى بولس كتابة معظم رسائل العهد الجديد، في حين تُعَد الأناجيل الأربعة المعروفة بمتى ومرقس ولوقا ويوحنا مجهولة المصدر، ولا تذكر أسماء مؤلفيها. ولكن ذَكر آباءُ الكنيسة الأوائلُ، بالإجماع تقريبًا، أن الرسل الذين تحمل أسماءهم هذه الأناجيل، هم كُتَّابها. ويُعتقد أن روايات الأناجيل الأربعة كُتِبت خلال الفترة من ٦٠ إلى ٩٠ ميلاديًّا، ولكن ظهرت بعض الأدلة التي توضح أنها ربما كُتِبت في وقتٍ سابق. ويضم العهد الجديد حوالي سبعة وعشرين سفرًا.

تشمل المواد المستخدمة في الكتابة في العصور الأولى ما يلي:

- الطين (اللبنة) (حزقيال ٤: ١).
- الحجر (الخروج ٢٤: ١٢).
- المعدن (الصفيح) (الخروج ٢٨: ٣٦).
- ورق البردي. وهو من طبقتين من أحد فروع البردي المنفصلة التي تُضغَط معًا لصناعة ورقة من البردي (رؤيا ٥: ١).
- الرقوق. وهي مصنوعة من جلود العجول، أو الجلود الرقيقة، أو جلود الخراف أو البقر (٢ تيموثاوس ٤: ١٣).

في مرحلةٍ ما، كانت كتابات الكتاب المقدس تُنسَخ من النسخ الأصلية للكاتب؛ حتى تُحفَظ للأجيال القادمة. وكان الحبر يتعرض للبهتان، والجلود إلى التحلل والاضمحلال، والبردي إلى التفتت. وقد دعى ذلك الأفرادَ إلى نَسْخ الكتاباتِ الأصلية المكتوبة أو الموقعة بخط المؤلف، بعناية، في نسخة دقيقة، تُعرَف الآن باسم مخطوطة. وقد حفظت عملية نسخ النسخ السابقة، الكتابات المعروفة حاليًا بالأسفار المقدسة.[xxxviii]

---

xxxviii راجع السؤالين ٦٥. هل العهد القديم موثق تاريخيًّا؟ و٦٦. هل العهد الجديد موثَّق تاريخيًّا؟

لقد وضَّحنا شيئًا عن كيفية وصول الكتاب المقدس إلينا، لكن يبقى السؤال: «مِن أين جاءت كلمات الكتاب المقدس». يقول الكتاب المقدس لنا بوضوح:

«الله، بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديمًا، بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثًا لكل شيء،» (العبرانيين ١: ١، ٢).

«كل الكتاب هو موحى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر، لكي يكون إنسان الله كاملًا، متاهبًا لكل عمل صالح» (٢ تيمو ٣: ١٦، ١٧). «عالمين هذا أولًا: أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص. لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس» (٢ بط ١: ٢٠، ٢١). لذلك جاء الكتاب المقدس في الواقع من الله، وهو كلماتُه المكتوبة. وقد كتب الكتابَ المقدس مجموعة مختارة من الرجال، (معروفون بالأنبياء والرسل)، مساقين وموجَّهين من الله.

لقد تكلم الله الخالق القدير شفهيًّا مع بني إسرائيل على جبل سيناء منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة (راجع الخروج ٣١: ١٨). وعلى مدار قرون، أوحى الله لأكثر من أربعين نبيًّا ورسولًا ليسجلوا كلماتِه لنا. وهؤلاء الكُتَّاب مِن كل مناحي الحياة، منهم الرعاة والجنود والأنبياء والشعراء والملوك والعلماء ورجال الدولة والسادة والعبيد وجامعي الضرائب والصيادون وصانعو الخيام. وقد كُتِبت كلمة الله في مجموعة أماكن متنوعة مثل: البرية، أحد القصور، في زنزانة تحت الأرض، على أحد التلال، في أحد السجون، وفي المنفى. وقد صاغ الكُتَّاب كلمة الله في قارة آسيا وأفريقيا وأوروبا. وقد كُتِبت بمجموعة متنوعة من الأنواع الأدبية، بما في ذلك السِّيَر الذاتية والروايات والشعر والشريعة والقانون والرسائل. وأكثر من ذلك. ويحقق الكتاب المقدس من خلال تنوع كُتَّابه، وأصوله، ومحتواه، غرضًا أكثر من رائع، يتمثل في توصيل ما في عقل الله، وقلبه غير المحدود، إلى البشر المحدودين.

٥٢

ماذا يعني أن الكتاب المقدس موحي به؟

هل سبق وشعرت أن الإلهام نزل عليك لكتابة قصيدة أو أغنية؟ هل سبق وألهمك أحد والديكِ، أو المدربون، أو المتكلمون؟! يمكن أن تقدم القصائد والروايات والموسيقى والأفلام والمتكلمون: الإلهام لنا. عندما يقول الناس إن الكتاب المقدس موحي به، هل هذا ما يقصدونه بأن كلمات الكتاب المقدس ملهمة؟

تواصل الله

عندما قال الرسول بولس إن «كل الكتاب موحى به من الله» (٢ تي ٣: ١٦)، لم يقصد أن الكتاب المقدس مجرد كتاب ملهم. وقد استخدم كلمة محددة في اليونانية هي «theopneustos» التي تعني حرفيًّا «تنفس الله». وتنقسم الكلمة إلى «theos» التي تعني الله، وكلمة «pneo» التي تعني يتنفس. ويقصد بذلك أن كل الكتاب هو من «تنفس الله»؛ أي الكلمات المكتوبة في الكتاب المقدس هي من الله. لذلك نشير إلى الكتاب المقدس بصفته كلمة الله.

أشار يسوع إلى الأسفار المقدسة بهذه الطريقة، عندما قال للفريسيين إنهم «أساءوا استخدام التعاليم الكتابية»، «فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم» (متى ١٥: ٦). وأوضح الرسول بولس كيف أن اليهود «استؤمنوا على أقوال الله» (رومية ٣: ٢). لذلك عندما تقرأ الكتاب المقدس، أنت لا تقرأ كتابًا ملهمًا فحسب، بل تقرأ كلماتٍ من الله.

على الرغم أن الكتاب المقدس هو كلمة الله، فهذا لا يعني أن الله صاغ كلماته بنفسه، أو القى الكُتَّاب في سُباتٍ أو غيبوبة، واستخدم أيديهم وأقلامهم؛ حتى يدون معتقداته وأفكاره، بل اختار أشخاصًا لهم عَلاقة روحية معه؛ لينطقوا ويسجلوا كلماتِه. وتحدث الله من خلالهم بعد أن سجلوا كلماتِه ورسالتَه من خلال شخصياتهم الفريدة.

تكلم الله مباشرة إلى موسى، الذي نقل كلمة الله بدوره إلى بني إسرائيل شفاهية وكتابة (راجع الخروج ١٩، ٢٠، ٢٤). وقال لشعب إسرائيل: «يقيم لك الرب إلهك نبيًّا من وسطك من إخوتك مثلي. له تسمعون... قال لي الرب... أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به» (التثنية ١٨: ١٥، ١٧، ١٨).

على الرغم أن بعض الأنبياء قد سمعوا الله، تلقى آخرون كلماته من خلال الأحلام (التكوين ٣٧: ١ -١١)، أو في العليقة (الخروج)، أو في رؤى (دانيال ٧؛ ورؤيا ١: ١، ٢)، أو من ملائكة (التكوين ١٩: ١- ٢٩) أو من خلال صوت داخلي: «قول الرب الذي صار إلى هوشع...» (هوشع ١: ١)، وكذلك «قول الرب الذي صار إلى يوئيل...» (يوئيل ١: ١) وما إلى ذلك.

لذلك عندما يقال إن الكتاب المقدس موحى به من الله، فهذا يعني أن الله قد أشرف على ما يريد قوله من خلال البشر كأدواته. قال الرسول بولس: «التي نتكلم بها أيضًا، لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية، بل بما يعلمه الروح القدس، قارنين الروحيات بالروحيات» (١ كورنثوس ٢: ١٣). وأوضح الرسول بطرس النقطة نفسَها عندما كتب قائلًا: «عالمين هذا أولًا: أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص. لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس» (٢ بطرس ١: ٢٠، ٢١).

ادَّعى كُتَّاب الكتاب المقدس أكثر من ٣٠٠٠ مرة أنهم تلقوا كلماتِهم من الله، باستخدام كلمات مثل: «وكان إلى كلام الرب» (حزقيال)، «كلم الرب موسى» (اللاويين)، «يقول الرب...» (إشعياء)، «يقول الرب» (إرميا). وقال بولس الرسول: «وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به، أنه ليس بحسب إنسان. لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته، بل بإعلان يسوع المسيح» (غلاطية ١: ١١، ١٢).

إن كلمة الله المنطوقة والمكتوبة بواسطة أنبيائه ورسله هي وحي خاص. أوحي الله بالكتاب المقدس حتى يستطيع أن يكشف عن أفكاره وكلماته ووعوده؛ حتى نقدر أن نحتفظ بها من جيل إلى آخر. لذا يعد الكتاب المقدس وحيًا خاصًا من الله كتبه كُتَّاب من البشر بوحي مباشر منه. لذلك يتمتع الكتاب المقدس بالقوة والقدرة على التأثير، أو ما قد ندعوه السلطان. وراء هذا الكتاب يقف إله الكون الذي له السلطان. وعندما يتكلم الله، تحدد كلمته جوهر سلطانه.

اهتم الله اهتمامًا كبيرًا على مدى آلاف السنين بأن يكشف عن كلمته، باختيار أفراد يدوِّنون بعناية أفكاره ورسالته. وقد أشرف على هذه العملية بنفسِه؛ حتى يُكتَب ما كان يَود كتابته بالفعل. وهكذا أصبح لدينا هذا السجل الدائم في الكتاب المقدس. قال يسوع: «فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل» (متى ٥: ١٨). وقال أيضًا يسوع: «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول» (متى ٢٤: ٣٥)

٥٣

هل الكتاب المقدس هو منتج إلهي أم بشري أم كلاهما؟

يُقال إن الكتاب المقدس هو كلمة الله الحية التي أوحِي بها منه شخصيًّا، أو «مُوحَى به من الله». هل كان الله يُملِّي الكتابَ المقدس حرفيًّا على مجموعة مختارة من البشر، كما لو أنه يقود بمعجزة أقلامهم؛ لتدوين كلماته؟[xxxix] أم أعطى رجالًا محددين بعضَ الأفكار الملهمة، وأعطاهم حرية كتابة رسالته وتفسيرِها؟

وسائل الله

كما قلنا في السابق، فالكتاب المقدس هو كلمة الله الموحي بها، والتي نطقها الله من خلال مجموعة مختارة تتكلم باسمه. لكن لم يكن الأربعون مؤلفًا لأسفار الكتاب المقدس الستة والستين، مجرد آلات تتلقى الإملاء دون فطنة، إن جاز التعبير. اختار الله مؤلفين محددين من البشر، يتمتعون بخلفيات متنوعة، ومواهب مختلفة، وخاضوا تدريبًا تربويًّا محددًا في تجارب الحياة المتنوعة لسببٍ وجيه. لقد أراد الله غير المحدود أن تصل كلمته بوضوح إلى البشر المحدودين؛ لذا نقل أفكاره وكلماتِه من خلال بشر مختلفي الشخصيات والأساليب والأصوات. فاختار رعاةً وجنودًا وأنبياء وشعراء وملوكًا وعلماء، سادة وعبيدًا، جامعي ضرائب وصيادين وصانعي خيام؛ لأن لكلٍّ منهم تجربة بشرية فريدة، مكَّنته من نقل مجموعة متنوعة من المعاني التي نستطيع جميعًا فهمَها.

يبدو الأمر كما لو أن الله يؤلف تحفة موسيقية باستخدام مجموعة من العازفين، تتكون من أربعين شخصًا. فكِّرْ في المايسترو الرئيس الذي قام بتأليف مقطوعة موسيقية محددة. فقد استخدم آلاتٍ متنوعة لأغراضٍ مختلفة، حيث تحدِّد الطبول

[xxxix] راجع السؤال رقم ٥٢. ماذا يعني أن الكتاب المقدس مُوحَى به؟

الإيقاع، وتدعونا الأبواق للعمل، والكمان والتشلو يُهدِّئاننا، كما ترفع الفلوت من معنوياتنا، وهكذا. وعلى يد المايسترو، تُنتِج الآلاتُ المختلفة والمتنوعة، سيمفونية من الأصوات التي تحرك عقل المستمع وقلبه ومشاعره، مع رسالة الموسيقى. وبطريقة مماثلة، استخدم الله مؤلفين مختلفين؛ لينقل رسالته لنا بوضوح، بغض النظر عَمَّن نحن، أو مدى تنوع تجاربنا.

عبيد الله

خذ التجارب الحياتية للملك داود. فقد بدأ حياته كراعي غنم، وقتل أحد العملاقة، كما كان موسيقارًا، ومهددًا طوال حياته من شاول، وأصبح ملكًا، وارتكب خطية الزنا، كما دخل في قتال مع الآخرين، وفاز بحروب، وهكذا. عرف داود معنى حُلو الحياة ومُرَّها. واستخدم الله تجاربَ داود البشرية متعددة الأوجه كي يوصِّل كلمَته بقوة، تارةً من خلال هذا القلب الذي يسعى إلى التكريس، تارةً من خلال رغبته في الخدمة، ومراتٍ من خلال إخفاقاتِه وخطيته، وشغفه العميق لمعرفة الله معرفة حميمة. كما اختار الله أن يتكلم من خلال الملك سليمان الموهوب بالبصيرة والحكمة. وتزوج هوشع النبي زواجًا غيرَ سعيدٍ من زوجةٍ خائنة. وقد تكلم الله من خلال تجارب حياة هوشع لتوضيح خيانة إسرائيل، ومحبة الله المستمرة والمخلصة لشعبه.

أنكر بطرس التلميذُ الذي كان يتكلم بمجاهرة، وصاحب الثقة المفرطة، يسوع. لكن في رسالته الأولى، نرى واحدةً من أعظم الرسائل المكتوبة عن كيفية الحفاظ على حياة التكريس والقداسة وسط التجارب والألم. وكما هو الحال مع الآلات الموسيقية المتعددة في الأوركسترا، يستخدم الله العديد من تجارب البشر المتنوعة لصياغة ما يريد منا معرفته، في كلمات تُمكِّنا من فهم قلبه وفكره بوضوح.

لم يتكلم الله من خلال أشخاص مختارين لهم تجارب بشرية متنوعة فحسب، بل عبَّر أيضًا عن كلمته بعدد من الأساليب والصيغ الأدبية. في بعض الأوقات،

نقرأ الكتاب المقدس كرواية، وبعض المرات نقرأه مثل كتاب وصايا وأحكام. وينتقل الكتاب المقدس من المراثي الحزينة لإرميا إلى الشعر الجليل لكلٍّ من إشعياء والمزامير. ويستخدم الكتاب المقدس هذه المجموعة الواسعة من الأشكال الأدبية؛ حتى يُوصِّل رسالته بوضوح إلى البشر. وتمتلئ كلمة الله بالروايات والأمثال والرموز والاستعارات والتشبيهات والهجاء والمبالغة.

يتكون الكتاب المقدس من أشكال وأساليب أدبية متنوعة، ووجهات نظر بشرية مختلفة، كما ينقل مشاعر الناطقين بكلمات الكتاب، وثقافاتهم المختلفة؛ لأن الله قال كلماتِه من خلال بشر. ومن خلال هذا التواصل، يصور الله الشخصية الكاملة لهؤلاء الذين يتكلم من خلالهم، بدايةً من المنطق المتماسك لعالِم (بولس في رسائله)، إلى وجهة النظر الكهنوتية للاهوتي (كاتب رسالة العبرانيين)، إلى مواهب شعرية لموسيقار (داود في المزامير)، وإلى اليأس والعذاب لشعب (إرميا في مراثي إرميا). ويقدَّم كلَّ سفر من أسفار الكتاب المقدس من خلال عدسة بشرية، لكنه يحمل رسالة الله الفعلية التي يريد منا استقبالها.

لذا يمكننا القولَ إن الكتاب المقدس هو نتاج مشترك بين الله والبشر. ومع ذلك، أرشد الروحُ القدس الكُتَّابَ بقوة خارقة، إلى كل كتابات الكتاب المقدس، وأشرف عليها إشرافًا إلهيًّا؛ حتى يُوصِّل رسالة الله بدقة. لذلك يُطلق عليها بحق كلمة الله.

٥٤

أليس الكتاب المقدس مليئًا بالأخطاء والتناقضات؟

يحتوي الكتاب المقدس على ستةٍ وستين سفرًا، من تأليف أكثر من أربعين مؤلفًا، كتبوا عن المئات من الموضوعات، بما في ذلك مَن هو الله، وكيف يتفاعل مع خليقته. هل يمكن لجميع هؤلاء المؤلفين المختلفين الذين كتبوا على مدار مئات السنين، كلٌّ على حدى، أن يكونوا متسقين ومتفقين في رسالتهم؟ يَدَّعي النقادُ أن ذلك مستحيل، ويؤكدون أنه يوجد آلاف من الأخطاء والتناقضات في الكتاب المقدس. فهل ادعاؤهم صحيح؟

عندما يقول اللاهوتيون المسيحيون المحافظون إن الكتاب المقدس بلا أخطاء (معصوم)، فإنهم يقصدون ذلك. عندما تكون جميع الحقائق معروفة، ستظهر الأسفار المقدسة كما صاغها المؤلفون في الكتابات الأصلية، وكما فسروها تفسيرًا صحيحًا، حقيقية، وليست خاطئة في كل ما تؤكده. وهذا بالطبع هو الحال، إن كان الله بالفعل هو مؤلف الكتاب المقدس.[xl] ومن المنطقي أنه إذا قام بإلهام بعض الرجال المحددين للكشف عن كلماتِه، سيتأكد أنه لا يناقض نفسه، وبالتالي تُصبح كلمته بلا أخطاء.

مشكلات ظاهرية

هل يمكن لأي شخص أن يجد أخطاء وتناقضات في الكتاب المقدس؟ قد يبدو أن الكتاب يحتوى على تناقضات ظاهرية، لكننا نؤكد أنه لا توجد أي أخطاء فعلية، أو تناقضات في الكتابات الأصلية المكتوبة بخط المؤلفين. لكن هذه المخطوطات المكتوبة بخط المؤلفين لم تعد موجودة حاليًا. وما لدينا هو نَسخ من الكتابات الأصلية. ولدينا في الواقع، الآلاف من هذه النسخ.

---

xl راجع السؤال رقم ٥٢. ماذا يعني أن الكتاب المقدس مُوحَى به؟

بسبب عدم وجود مطابع في وقت كتابة الأسفار المقدسة (إذ لم تكن موجودة لأكثر من ألف سنة أخرى بعد تاريخ كتابة الكتاب المقدس)، كان بعض الرجال يكتبون نسخًا بخط اليد؛ حتى يحفظوا الوثائق من جيل لآخر. وعلى الرغم أن الكتبة الذين نسخوا هذه النسخ قد بذلوا أقصى ما في وسعهم لنقلها بكل دقة، وُجِدت بعض الأخطاء.[xli] لكن وجود أخطاء من نَسخ المخطوطات، لا يعني أن الكتاب المقدس مليء بالتناقضات والأخطاء. وعندما تفحص «الأخطاء» يبدو من الواضح كيف حدثت، لكنها لا تغير المعنى المقصود من النص.

على سبيل المثال، بعض مخطوطات العهد الجديد تكتب حرف «n» واحداً في اسم يوحنا «John»، وتارة أخرى يكتب بحرفين «n» هكذا «Johnn». ومن الناحية التقنية، يعد ذلك خطأ أو تناقضًا. وكلما حدث «خطأ» معين مثل ذلك، وليكن في ٣٠٠٠ مخطوطة، كانوا يقولون إنه يوجد ٣٠٠٠ خطأ. لكن بالطبع هذا النوع من «الأخطاء» لم يغير معنى كلمة الله بأي حال من الأحوال.

يمكن العثور على أخطاء أخرى في كلٍّ من العهدين القديم والجديد مثل:

• في ٢ أخبار الأيام ٩: ٢٥، تقول بعض المخطوطات إنه كان لسليمان أربعة آلاف مذود خيل لألف وأربعمائة مركبة. لكن في ١ ملوك ٤: ٢٦، تقول بعض المخطوطات الأخرى إنه كان لسليمان «أربعون ألف مذود خيل.» ومن الواضح أن سليمان لن يحتاج أربعين ألف مزود لاستيعاب ألف وأربعمائة مركبة. كان من الواضح أن هذا الخطأ حدث نتيجة النسخ الذي كان فوق طاقة الكاتب. أو ربما في غفوة منه قد كتب أربعين بدلًا من أربعة. وهذا خطأ بشري مفهوم.

• في ٢ أخبار الأيام ٢٢: ٢، تقول معظم المخطوطات إن الملك أخزيا كان ابن اثنين وأربعين سنة. لكن في ٢ ملوك ٨: ٢٦، تقول بعض المخطوطات إنه كان ابن اثنين وعشرين سنة. وبطبيعة الحال لا يمكن أن يكون عمرُه اثنين وأربعين سنة، وألا سيكون أكبرَ من والده. مرة أخرى، هذا الخطأ قد حدث أثناء النسخ.

• في متى ٢٨: ٢، ٣، يقول البشير كان على قبر يسوع ملاكٌ واحد. لكن لوقا ٢٤: ٤، يشير إلى وجود ملاكين على القبر. هل هذا تناقض؟ لم يكن ذلك

xli راجع السؤالين ٦٥. هل العهد القديم موثق تاريخيًّا؟ و٦٦. هل العهد الجديد موثَّق تاريخيًّا؟

تناقضًا. إذا قلت لك إني (أنا شون) قد ذهبت إلى ديزني لاند العام الماضي. ثم قال لك شخص آخر إن زوجتي ستيفاني وأطفالنا الاثنين قد ذهبوا معي أيضًا. أعطى لك كلامي في البداية انطباعًا بأني ذهبت إلى حديقة الملاهي بمفردي، في حين أوضح الشخص الآخر أن آخرين ذهبوا معي إلى ديزني. لكن لم يكن ذلك تناقضًا.

• يجادل البعض بشأن قول يسوع بأنه سيُقتَل، ويقوم بعد ثلاثة أيام (مرقس ٨: ٣١). من الناحية التقنية، لم يظل يسوع في القبر لمدة ثلاثة أيام كاملة. هل أخطأ فيما قاله؟ لا، لم يخطىء؛ لأنه حسب الثقافة اليهودية أي جزء من اليوم كان يعتبر يومًا كاملًا. لذا لم يكن في ذلك أيُّ تناقض.

دقة نقل الكتاب المقدس

لأننا لا نتعامل سوى مع نسخ من المخطوطات الأصلية، وليس النسخ الأصلية نفسها، فلا بد أننا محاطون ببعض أخطاء النسخ. من المعقول أن تلك النسخ القريبة من النسخ الأصلية أكثر عرضة لوجود عدد أقل من أخطاء النسخ. لأنه إذا حدث خطأ في نقل المخطوطة، ستحتوى جميع نسخ المخطوطات المنقولة في المستقبل على الخطأ نفسه. لذلك تميل المخطوطات الأولى لأن تكون أكثر دقة لأنها أقرب إلى النسخ الأصلية. لم نكن نعرف مدى دقة نسخ العهد القديم المثيرة للدهشة، حتى حدث اكتشاف مخطوطات البحر الميت في عام ١٩٤٧.

قبل عام ١٩٤٧، كانت أقدم المخطوطات العِبرية الكاملة ترجع إلى سنة ٩٠٠ ميلاديًّا، ولكن بعد اكتشاف ٢٢٣ مخطوطة في كهوف الجانب الغربي من البحر الميت، أصبح بحوزتنا مخطوطاتٌ للعهد القديم، قال علماء الكتابات القديمة إن تاريخها يرجع إلى حوالي ١٢٥ قبل الميلاد. وكانت هذه اللفائف أقدمَ من أي مخطوطات معروفة سابقًا، على الأقل بألف سنة.

لكن فيما يلي الجزء المثير: بمجرد مقارنة مخطوطات البحر الميت مع نسخ المخطوطات الموجودة منذ وقت لاحق، ثُبت أن الكتاب المقدس العِبري الحالي يتطابق مع هذه المخطوطات حرفيًّا بنسبة أكثر من ٩٥٪ من النص. وكانت

نسبة الـ٥٪ الأخرى عبارة عن اختلافات إملائية في الأساس. على سبيل المثال، كان ١٧ حرفًا من ١٦٦ كلمة في إشعياء ٥٣، موضع مناقشة. ومن بين هذه الأحرف، عشرة حروف ترجع إلى تغييرات هجائية، وأربعة حروف تعود إلى تغييرات في الأسلوب، والحروف الثلاثة الباقية هي كلمة «نور» التي أضيفت في الآية ١١.

بعبارة أخرى، أظهر أعظم اكتشاف للمخطوطات في كل العصور أنه على مدار ألف سنة من نقل نسخ العهد القديم لم ينتج سوى اختلافات طفيفة، لم يغير أيٌّ منها المعنى الواضح للنص، أو جعل سلامة المخطوطات الأساسية موضع مناقشة.[٣٨]

إن وُجِدت أخطاء ظاهرية أو تناقضات في المخطوطات المنسوخة للكتاب المقدس، ينبغي استخدام ثلاثة مبادئ أو قواعد أساسية للتحقق من ذلك:[xlii]

١- تعامَلْ مع الكتاب المقدس بالطريقة نفسها التي تتعامل مع الأدب القديم، وضع الشك في مصلحة الوثيقة نفسها، بدلًا من الناقد.

٢- مارِسْ ذلك بعقل متفتح.

٣- اخضع للضوابط الخارجية والموضوعية.

---

xlii تفاصيل هذه المبادئ موجودة في الفصل الثامن عشر من كتاب «برهان جديد يتطلب قرارًا» المشار إليه في الملاحظات

٥٥

هل أخطأ العهد الجديد باقتباسِه من العهد القديم؟

كُتِبت التسعة وثلاثون سفرًا في العهد القديم إلى بني إسرائيل، أو الأمة اليهودية، وعنهم. ويَدَّعي بعضُ النقاد أن كُتَّاب العهد الجديد قد حرَّفوا نصوص العهد القديم، وأخذوها خارج السياق؛ لتتناسب مع وجهات نظرهم عن يسوع وتعاليمه. ما هي تلك التحريفات المزعومة التي يشير إليها النقاد؟

على سبيل المثال:

• اقتبس متى من إشعياء ٧، وأعلن أن الكتاب تنبأ بميلاد يسوع من العذراء، وأنه سيُدعى عمانوئيل (متى ١: ١٤). يوضح النقاد أن قراءة إشعياء ٧ بالكامل تبين أنه على الأرجح يشير إلى ميلاد «حَزقيا» الذي أصبح أحد ملوك إسرائيل الأتقياء.

• في هوشع، يقول النبي: «لما كان إسرائيل غلامًا أحببته، ومن مصر دعوت ابني» (هوشع ١١: ١). ونعلم جميعًا أن الله في الواقع دعى شعبه للخروج من أرض مصر. لكن «متى» يقول إنها نبوة عن يوسف ومريم، لمَّا أخذا يسوع إلى مصر وعادا به فيما بعد. وقد فعلوا ذلك للهروب من مرسوم هيرودس بقتل جميع اليهود الذكور المولودين حديثًا في بيت لحم.

• يقول النقاد أيضًا إن «متى» اقتبس من إرميا عن بكاء راحيل على أولادها القتلى. ويَدَّعي كاتب العهد الجديد أن في ذلك إشارة إلى الأمهات اللاتي كن يبكين في القرن الأول بعد أن أصدر هيرودس أمرًا بقتل الأولاد الرُّضع في بيت لحم. ويُتهم كُتَّاب العهد الجديد بتحريف نصوص العهد القديم، واقتباسها خارج سياقها؛ لنشر المسيحية. ويُتهم كُتَّاب الأناجيل والرسائل أيضًا بأنهم تجرأوا على نص العهد القديم؛ حتى يؤسسوا دينًا جديدًا كاملًا لهم. هل هذا صحيح؟

السياق الإلهي النهائي

ما يغفل عنه النقاد هو أن يسوع قد جاء لكي يحقق وعد الله لإسرائيل، ويقدم وسيلة لفداء جميع الضالين. وهذه الوسيلة هي التي تنبأت عنها العديد من

النبوءات، والوعود المعطاة لإسرائيل، عن خطة يسوع لكي يأتي بإسرائيل وكنيسته إلى ملكوته الأبدي. جاء يسوع لكي يؤسس ملكوته حيث قال: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل» (متى ٥: ١٧). كان يسوع يُدرك كلَّ ما علَّمه الأنبياءُ والشريعة. وكان تحقيقًا لرسالة الله لإسرائيل، وبالتالي يجب أن نفهم العهد الجديد في ضوء المسيح.

لم يُحرِّف متى، أو أيُّ كاتبٍ آخر من كُتَّاب العهد الجديد، نصوصَ العهد القديم، أو يُخرجها من سياقها، بل بالأحرى كانوا يفهمون هذه النصوص، كما كان كُتَّابها الأصليون يفهمونها بوحي من الله. كانت إسرائيل هي وسيلة الله لتقديم الخلاص للعالم، وكان يسوع التحقيقَ الحرفي لخطته الحرفية والمتميزة. كان يسوع هو الابن الحقيقي المدعو من مصر، في حين فشلت إسرائيل في ذلك! لم يكن ذلك سوء تفسير لهوشع ١١: ١. فقد تنبأ إشعياء بميلاد طفل يخلص إسرائيل. لم يكن حزقيا سوى خلاص مؤقت لشعب الله. وقد أظهر الله من خلال متى أن يسوع هو الخلاص الدائم والمستمر، لا لإسرائيل فحسب، بل للعالم أجمع أيضًا.

بمجرد صعود يسوع إلى السماء، وإرساله للروح القدس، فتح عقول أتباعه من اليهود وقلوبهم. وأدركوا أنه كان تجسيدًا، أو تتميمًا لأحداث العهد القديم، والصور التي أعطاها لهم الله منذ سنواتٍ عديدة.

لقد مكَّنَ الروحُ القدس هؤلاء الرسلَ من الكلمات التي أوحي بها الله إليهم؛ لكي يكشف عن خطته الموضوعة قبل تأسيس العالم. يقول الرسول بولس:

«أنه بإعلان عرفني بالسر. كما سبقت فكتبت بالإيجاز... الذي في أجيال أخر لم يعرف به بنو البشر، كما قد أعلن الآن لرسله القديسيين وأنبيائه بالروح: أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل» (أفسس ٣: ٣، ٥، ٦).

لم يخطىء كُتَّاب العهد الجديد في اقتباس نصوص العهد القديم، لكنهم ببساطة أعطوها السياق الذي يركز على المسيح الذي كان الله يقصده.

٥٦

كيف نعرف أن الكتاب الذي بين يدينا اليومَ هو كلمة الله؟

يتكون الكتاب المقدس من تسعةٍ وثلاثين سفرًا في العهد القديم، وسبعةٍ وعشرين في العهد الجديد. لكن كيف يُمكننا التأكُّد من أن هذه الأسفار مُوحَى بها لنا فعلًا من الله؟ ومَن الذي حدَّد أن تكون هذه الأسفارُ جزءًا من الكتاب المقدس؟ ولربما قد تعرضت بعضُ الأسفار المُوحَى بها من الله للإغفال والتجاهل. كيف نعرف أن لدينا كل الكتابات المُوحَى بها من الله؟[xliii]

عملية تحديد الأسفار القانونية

لم يكن تحديد الكتابات الموحي بها من الله (التي تنفسها الله) حدثًا معينًا، بل عملية حدثت بمرور الوقت. وقد استغرق الأمرُ بعضَ الوقت لتحديد الكتابات المُوحَى بها من الله، ولوضع عملية تُمكِّننا من معرفة أسفار كلمة الله عن يقين. ويُشار إلى الأسفار التي عددها ستة وستون سفرًا، المقبولة باعتبارها كلمة الله، «بالأسفار القانونية». وتأتي كلمة قانونية من الكلمة اليونانية «kanōn»، التي تعني «قاعدة» أو «مبدأ». وبعبارة أخرى، كان يوجد معيار، أو أداة قياس عالية جدًّا، لازمة لاعتبار أن إحدى الكتابات «وحي من الله».

على عكس ما يقوله بعض النقاد المعاصرين، لم يضع قادةُ الكنيسة الأوائل اليهود، قانونية الأسفار. أي لم يحدد مجموعة من القادة الدينيين أيًّا من الأسفار يُطلق عليها أسفار الكتاب المقدس، أي كلمة الله المُوحَى بها. بل بالأحرى، أدرك أو اكتشف أولئك القادة الأسفارَ التي «أوحى بها الله» منذ بدايتها، ولم تكن تُقبَل كتابة أي سفر باعتباره أحد أسفار الكتاب المقدس لسبب أن القادة المسيحيين واليهود الأوائل قد قبلوها على هذا النحو، بل كان القادة والناس يقبلونها لأنه كان من الواضح لهم أن الله نفسه قد أعطى السفر أو الكتابة سلطانًا إلهيًّا.

[xliii] راجع السؤال رقم ٥٢. ماذا يعني أن الكتاب المقدس مُوحَى به؟

المبادئ التوجيهية للاعتراف بالأسفار

من خلال ما نجده في تاريخ الكنيسة والكتاب المقدس، يمكننا على الأقل رؤية أربعة مبادئ، أو قواعد توجيهية، للاعتراف برسالة أو سفر ما؛ بصفته كتابة مُوحَى بها من الله، أن:

١- قام أحد أنبياء أو رسل الله، أو أحد الأشخاص الذين على اتصال بهم، بتأليف السفر.

٢- تتفق رسالة السفر مع ما سبق وكشف عن الله.

٣- يدل السفر بوضوح عن تأكيد حضور الله.

٤- قبلت الكنيسة السفر على نطاق واسع منذ وقت مبكر.[٣٩]

في بداية سنة ٣٠٠ قبل الميلاد، بما لا يتجاوز ١٥٠ قبل الميلاد، كُتِبت جميع أسفار العهد القديم التسعة والثلاثين، وجُمعت، واعتُرِف بها رسميًّا كأسفار قانونية.[٤٠] وقد قُسِّم النَّص العِبري لهذه الأسفار التسعة والثلاثين في الأصل والبداية، إلى أربعة وعشرين سفرًا، هي خمسة أسفار للشريعة (موسى)، وثمانية أسفار للأنبياء، وأحد عشر سفرًا.

لم يحظَ العهدُ القديم بسلطان أعلى من سلطان يسوع نفسه الذي اقتبس من العهد القديم مرارًا وتكرارًا، وعلَّم منه. في إحدى المرات قال: «أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى (الأسفار الخمسة) والأنبياء (الثمانية أسفار) والمزامير (أحد الأسفار الموجودة في الأحد عشر سفرًا)» (لوقا ٢٤: ٤٤). وللتأكيد على قبوله لكل أسفار العهد القديم القانونية، أشار يسوع إلى أول الشهداء وآخرهم عندما قال: «من دم هابيل إلى دم زكريا» (لوقا ١١: ٥١). وبالتالي أشار إلى فترة كاملة هي من التكوين إلى أخبار الأيام الذي كان السفر الأخير في التسلسل العِبري للعهد القديم. (وبما أننا اليوم قمنا بإعادة ترتيب الأسفار الأربعة وعشرين للنص العِبري، وقسَّمناها إلى تسعة وثلاثين سفرًا، فالأمر كما لو أن يسوع يقول «من التكوين إلى ملاخي»). أكد يسوع بوضوح على سلطان الشريعة العِبرية ووحيها.

بعد فترة وجيزة من كتابة بولس لرسائله، اعترفت الكنيسة الأولى بأنها رسائل بوحي من الله. واعترف الرسول بطرس بذلك، وأشار في ٢ بطرس ٣: ١٥، ١٦ إلى أنه يعتبر رسائل بولس تنتمي إلى فئة الكتاب المقدس. كما اعترف أيضًا آباء الكنيسة في القرنين الأول والثاني مثل إكليمندس الإسكندري وأغناطيوس وبوليكاربوس بسلطان الكتابات، والأسفار التي شكَّلت العهد الجديد.

بدأ شيوخ الكنيسة في الفترة ما بين سنة ٢٠٠ و٣٠٠ ميلاديًّا، في وضع معايير للاعتراف بكتابات الرسل كوحي من الله. وفي سنة ٣٦٧ ميلاديًّا، قدَّم أثناسيوس الإسكندري أول قائمة رسمية بأسفار العهد الجديد السبعة والعشرين التي بين أيدينا اليوم. وفي أواخر سنة ٣٠٠ م، حدث توافق عليها بإجماع الآراء. وقد اعترفت مجامع هيبو (hippo) في سنة (٣٩٣ ميلاديًّا) وقرطاجنة (Carthage) في سنة (٣٩٧ ميلاديًّا) بقانونية الأسفار السبعة وعشرين.

تذكر أنه لم تكن مجموعة من قادة الكنيسة هي التي تجيز الكتابات الدينية، بل كانوا يعترفون بأن هذه المجموعة من الأسفار التي أوحى بها الله، وأجازها.

بالطبع كان يوجد عدد كبير من الرسائل والكتابات والأسفار الموزعة داخل المجتمع اليهودي والكنيسة الأولى. لكن لم يُعترَف بها كجزء من الكتاب المقدس. فلماذا لم يشتمل الكتاب المقدس على هذه الكتابات؟ ولماذا لا نستمر في إضافة كتابات روحية أخرى إلى الكتاب المقدس؟ سنقدم إجابة عن هذه الأسئلة في السؤال القادم.

٥٧

هل حدث استبعاد لبعض الأسفار «المُوحَى بها» من الكتاب المقدس الذي بين يدينا اليوم؟

قبل ميلاد المسيح بمائة عام، كتب القادة اليهود جميع أسفار العهد القديم التسعة والثلاثين، وجمعوها، واعترفوا بها رسميًّا؛ بصفتها أسفارًا مُوحَى بها من الله، وقانونية. وفي أواخر ٣٠٠ سنة، اعترفت الكنيسة بأسفار العهد الجديد السبعة والعشرين؛ بصفتها وحيًا من الله.[xliv] لكن هل استُبعدت أو أُغفِلت من الكتاب المقدس الرسمي بعضُ الكتابات الروحية الجيدة التي قد تكون وحيًا من الله؟ وإذا حدث ذلك، فلماذا؟ ولماذا لا يستمر الله في تقديم الوحي للبشر حاليًا حتى يكتبوا كلمته؟

ما هو الوحي؟

كتب الكثيرون عبر التاريخ العديد من الكتب والرسائل الروحية المُلهمة. ولكن لسبب وجيه لم تكن هذه الكتابات مساوية للكتاب المقدس. صحيح أن الروح القدس حي فينا اليوم، ويرشدنا لكتابة مطبوعات ملهمة، لكن قادة اليهود والكنيسة منذ فترة طويلة توصلوا إلى أن فترة ما يُسمَّى «بالوحي الإلهي الخاص» قد مضت. تكلم الله مباشرة من خلال أنبياء العهد القديم في أوقات سابقة ليكشف عن نفسه. وقال كاتب سفر العبرانيين في العهد الجديد: «الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديمًا، بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه،» (العبرانيين ١: ١، ٢). وبمجرد أن أوصل الله رسالته الكاملة من خلال أنبيائه، «أغلق الكتاب» على العهد القديم. وفي أوائل ٣٠٠ قبل الميلاد، اعتُبِرت أسفار العهد القديم التسعة والثلاثين وحيَ الله الكامل إلى اليهود.

وأكد يسوع على اكتمال الأسفار العِبرية بالكامل وسلطانها (أي أسفار العهد القديم التسعة والثلاثين) عندما قال: «أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير،» (لوقا ٢٤: ٤٤). كان يسوع يشير إلى

---

xliv راجع السؤال رقم ٥٦. كيف نعرف أن الكتاب الذي بين يدينا اليوم هو كلمة الله؟

العهد القديم العِبري بالكامل. ولم يستشهد يسوع في أي وقت مضى بأي كتب أخرى غير الأسفار التسعة والثلاثين الحالية للعهد القديم؛ ما ينفي وجود أسفار أخرى مُوحَى بها من الله. وباستخدامه لعبارة «في جميع الكتب» (لوقا ٢٤: ٢٧) التي تشير للعهد القديم؛ فقد أوضح بذلك أنه قَبِل أسفار العهد القديم القانونية، نفسها التي قبلها اليهود في ذلك الوقت.

العهد الجديد يدور حول وحي الله من خلال ابنه يسوع المسيح كما كتبه رسله. ومن البديهي أن أفضل الكتابات، وأكثرها دقة عن يسوع، وما كشفه عن نفسه، لا بد أن يكتبها مَن كانوا على اتصال مباشر معه. وهكذا فالرجال الذين أوحي لهم الله كي يُظهروا الحق عن ابنه ورسالته، لا بد أن يكونوا شهود عيان، أو يعرفوا أولئك الذين سمعوا شخصيًّا رسالة الإنجيل. وفي نهاية القرن الأول، أصبح من الواضح للكنيسة الأولى أن وحي الله الخاص بالكتاب المقدس قد اكتمل.

بالتالي لا يعد «الإلهام» الذي يقدمه الله للكُتَّاب حاليًا، وحيًا خاصًّا، بل هو انعكاس لما قد قدَّمه الله في الكتب المقدسة المُوحَى بها. وبمقارنة ما يكتبه البشر ويعلمونه اليوم مع الكتاب المقدس، يمكننا معرفة إذا ما كان هو الحق الإلهي.

الأبوكريفا

لكن اعتقد البعض أن بعض الكتابات التي ظهرت في وقت مبكر يمكن أن تكون من الأسفار التي «أوحى بها الله». وبعد اعتراف القادة اليهود بقانونية أسفار العهد القديم، وإغلاق هذا الأمر رسميًّا، ظهرت بعض المطبوعات ذات الطبيعة الروحية.

يُشار إلى هذه الكتابات باسم الأبوكريفا التي تعني «المخفية».

لقد أضاف البعض حوالي أربعة عشر سفرًا إلى الأسفار التسعة وثلاثين القانونية في الترجمة السبعينية للعهد القديم. لكن لم تقبل الكنيسة الأولى هذه الأسفار الأربعة عشر المعروفة «بأبوكريفا»، لكن في نهاية المطاف، قامت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بإضافتها في ١٥٤٦ ميلاديًّا.[xlv]

xlv راجع السؤال رقم ٧٠. كيف يختلف الكتاب المقدس للروم الكاثوليك عن نظيره لدى البروتستانت؟

ظهرت هذه الأسفار المضافة فيما بين ٢٠٠ قبل الميلاد وحتى القرن الثاني ميلاديًّا[xlvi] وهي:

- عزرا الأول - عزرا الثاني - طوبيا - يهوديت - تتمة أستير
حكمة سليمان - سيراخ - باروخ - سوسنة (تتمة دانيال)
بيل والتنين (تتمة دانيال) - تسبحة الأطفال الثلاثة العبرانيين
(تتمة دانيال) - صلاة منسى - المكابيين الأول - المكابيين الثاني

لا تعد أسفار الأبوكريفا جزءًا من الكتاب المقدس الخاص بالكنيسة البروتستانتية اليوم لأسباب وجيهة. على سبيل المثال، لم يَدَّعِ أيٌّ من أسفار آبوكريفا الأربعة عشر للعهد القديم أنه وحي إلهي، بل أنكر البعض فعليًّا أنه وحي إلهي.

وقد رفض هذه الأسفارَ مؤرخون وفلاسفة ومترجمون لهم مصداقيتهم مثل يوسيفوس وفيلو وجيروم. ولم يقتبس العهد الجديد من هذه الأسفار قط. كما أن آباء الكنيسة الأوائل قد استبعدوها تمامًا.

حالة العهد الجديد

ماذا عن العهد الجديد، هل استُبعِدت بعض الرسائل أو الأسفار التي اعتبرها البعض أسفارًا مقدسة؟ بنهاية القرن الأول، قبلت الكنيسة المسيحية الجديدة رسائل بولس والأناجيل الأربعة على نطاق واسع بصفتها وحيًا إلهيًّا. وكتب بطرس حوالي سنة ٦٥ ميلاديًّا بأن جميع كتابات بولس المعروفة هي من فئة الأسفار المقدسة (راجع ٢ بطرس ٣: ١٥، ١٦). لكن في منتصف القرن الثاني، تزايد عدد الكتابات الأخرى التي نالت الاهتمام، وتساءل البعض إذا ما كانت هذه الكتابات أيضًا وحيًا من الله. وقد أصبحت هذه الكتابات معروفة بـ «أبوكريفا» العهد الجديد، والكتابات الغنوصية (التي تعني لها عَلاقة بالمعرفة).

---

xlvi لمزيد من التفاصيل عن هذه الأسفار الأربعة عشر، راجع الفصل الثاني من كتاب "برهان جديد يتطلب قرارًا" المشار إليه في الملاحظات

مع ذلك، رفضت الكنيسة الأولى الكتابات الغنوصية؛ لأنها تتناقض مع الأناجيل ورسائل بولس، تناقضًا كبيرًا. وبعض هذه الكتابات تشمل إنجيل توما (إنجيل الطفولة)، وإنجيل يهوذا، وإنجيل بطرس. وتُعلم هذه الأناجيل بأنه يوجد أكثر من خالق، وأن الجهل هو المشكلة القصوى وليس الخطية، وأن الخلاص «بالمعرفة الروحية» لن يتمتع به سوى عدد قليل. وتصور إحدى الكتابات الغنوصية يسوع وهو شاب يضرب الأطفال الذين يقابلهم بالصدفة.

في أواخر ٣٠٠ م، عندما أسَّس آباءُ الكنيسة وسيلة واضحة للاعتراف بمصداقية كلمة الله، كانت هذه الكتابات مرفوضة منذ فترة طويلة. وفي عام ٣٦٧ ميلاديًّا، قدم أثناسيوس الإسكندري أول قائمة رسمية بأسفار العهد الجديد السبعة وعشرين التي بين أيدينا اليوم. وفي عام ٣٩٧ ميلاديًّا، قبلت مجامع هيبو وقرطاجنة هذه الأسفار أيضًا.

٥٨

كيف يمكن أن تكون تعاليم الثقافات القديمة بالكتاب المقدس مفيدة لنا اليوم؟

دعونا نواجه الأمر، كُتِب الكتاب المقدس في زمان ومكان مختلف تمامًا عن القرن الحادي والعشرين. ولم تكن العادات والتقاليد والثقافة العامة قريبة بأي حال من الأحوال مِنا اليوم. فما كانوا يواجهونه، والطريقة التي تعاملوا بها مع قضايا الحياة وقتها، ببساطة لا يتصل بنا. بالتالي كيف يمكن أن تكون تعاليم الكتاب المقدس ذات صلة بنا اليوم في المجتمع الحديث؟

صحيح أن العهد القديم كُتِب منذ أكثر من ٢٥٠٠ إلى ٣٠٠٠ سنة. في حين كُتِب العهد الجديد تقريبًا منذ حوالي ٢٠٠٠ سنة. وبلا شك، كانت الثقافات مختلفة. وما كان الناس يفعلونه، وطريقة تعبيرهم عن أنفسهم، لا تشبه كثيرًا عالمنا المعاصر.

صحيح أيضًا أن العهد الجديد على سبيل المثال يُوصي الرجال بأن يُسلِّموا على بعضهم البعض «بقبلة مقدسة». كما كان العهد الجديد يعلم السادة كيفية معاملة العبيد، وكيف ينبغي أن يخضع العبيدُ لسادتهم. وخلال العصور القديمة في وقت كتابة الكتاب المقدس، كان الرجل يأخذ زوجة له من خلال زيجات مُرتَّبة (المعروفة بجواز الصالونات حاليًا)، ولم تكن للزوجات أي حقوق قانونية.

على الرغم من كل هذه الاختلافات الثقافية، لا يزال الكتاب المقدس على صلة كبيرة بحياتنا اليوم. وذلك لأنه يدور حول الجوهر.

رؤيا العَلاقة

يعد الكتاب المقدس وحيًا من الله للبشرية. حيث يفسر لنا مَن هو الله، وكيف يبدو، وكم يرغب في أن يكون في عَلاقة معنا، ومَن نحن، ولماذا نعيش على الأرض، ولماذا انفصلنا عن الله، وكيف يمكننا استرداد العَلاقة معه.

ويقدم الكتاب المقدس رؤية للحياة تختلف عن رؤيتنا كبشر لها. وهي الرؤية التي تقدم منظور الله عن العالم على وجه التحديد. والله يريد منا أن نتبني منظوره ورؤيته.

تصل كلمة الله إلى المستوى العميق من وجهة نظر الشخص، حيث تتشكل المعتقدات، وتُوضع القيم، وتُحدَّد العَلاقات مع الله والآخرين. وفي ذلك المستوى تُتخذ الاختيارات. ويتعامل النَّص العِبري، وجميع تعاليم يسوع، مع هذا المستوى من وجهة النظر. المسألة لا تتعلق بالثقافة، بل بكيف يتجاوب البشر مع رسالة الله من منظوره. ويسعى الكتاب المقدس للوصول بالإنسان لأن يكون في عَلاقة مع الله، ويتبني رؤيته ومنظوره، لتعيش «الكلمة» داخل بيئة الشخص وظروفه. وهذا ما يجعل الكتاب المقدس على صلة بأية ثقافة.

يدور الكتاب المقدس بالكامل حول العَلاقة مع الله، والحياة في ضوء رؤيته، عبر الثقافات المختلفة. ويعد الحق الإلهي عالميًّا وشاملًا، ويتصل بكل شخص في كل ثقافة وفترة زمنية. وفي النهاية، ينبغي أن يكون هدف قارئ الكتاب المقدس أن يفهم ما يقوله الله له أو لها شخصيًّا، وكيف يكون الكتاب المقدس ذات صلة وقابل للتطبيق في عالمه/ عالمها الحالي.

السياق التاريخي

يتضمن تفسير الكتاب المقدس وفهم أهميته في حياتنا، عملية من خطوتين. الأولى هي تحديد ما يعنيه كل سفر بالنسبة لكاتبه، وكذلك ما يعنيه لأولئك الذين سمعوه وقرأوه في ذلك الوقت. ولأن السياق التاريخي والثقافي هام جدًّا لفهم أي نص مكتوب، يجب علينا فهم السياق التاريخي للكتاب المقدس؛ لأنه

كُتِب في فترات زمنية متعددة. لكن يبقى التساؤل كيف نطبق الحق المقدَّم من خلال المواقف المختلفة، ونمط الحياة، والهيكل السياسي المتبع الآن. والواقع أننا بدأنا نفهم الكتاب المقدس، عندما تعلمنا «ما قيل، ومَن قاله، وكيف قاله، وأين قاله، ومتى قاله، ولماذا قاله».

علينا في هذه الخطوة الأولى تذكر أن لا شيء مما قيل أو كُتِب في الكتاب المقدس قِيل أو كُتِب للموجودين في القرن الواحد والعشرين. فقد كان موسى والأنبياء يتكلمون إلى بني إسرائيل. كما كان يسوع يتكلم إلى تلاميذه والجموع ومختلف الأفراد. وعندما كتب الرسلُ الأناجيل، وعندما كتب بولس وبطرس ويعقوب والآخرون الأسفار الأخرى من العهد الجديد، كانوا يكتبون هذه الأسفار وقتها إلى مستمعين أو قراء محددين. ومن غير المرجح أن أيًّا من مؤلفي الكتاب المقدس كان يعتقد أن بعد ٢٠٠٠ أو ٣٠٠٠ سنة ستكون كتاباتُهم موجودة بصفتها الكتاب المقدس الموثوق فيه، حتى تقرأه جميع دول العالم!

ما نود قوله إنهم كتبوا ما كتبوه في سياق تاريخي معين، إلى جمهور مختلف إلى حدٍّ كبير عنا اليوم. لكن، وعلى الرغم أن كلمات الكتاب المقدس قد لا تكون كُتِبت تحديدًا لنا في القرن الحادى والعشرين، فهذا لا يعني ألا نستقبلها ونتعامل معها مثل المُستقبِلين الأصليين. لكن أيضًا، ولأن الله كان يُظهر نفسه وحقه لجمهور معين خلال فترة معينة من التاريخ، فمهمتنا الأولى هي تفسير ما كان يقصد أن يوصله لهم في ذلك الوقت.

الحق ذات الصلة

تأتي بعد ذلك الخطوة الثانية، وهي مهمة للغاية: فهم الحق الشامل الذي يكشف عنه الله لنا في الوقت الحالي. تذكر أن الكتاب المقدس ليس عملًا أدبيًّا عاديًّا، فهو كلمة الله الحية التي جاءت من الله الحي. وكلمته ذات صلة بكل شخص يعيش اليوم، ويمكن تطبيقها في كل مواقف الحياة، بغض النظر عن الوضع الثقافي. قال كاتب سفر العبرانيين:

«لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ، ومميزة أفكار القلب ونياته. وليست خليقة غير ظاهرة قدامه، بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا» (العبرانيين ٤: ١٢، ١٣).

يتخطى حق كلمة الله التاريخ والثقافات والعادات واللغات والجداول الزمنية. لذلك فكما نحاول فهم ما كان الله يريد أن يعرفه البشر من كلمته في زمن كتابتها، نريد نحن أيضًا فهم ما يود أن نعرفه اليوم. نحتاج إلى تذكر أن الكتاب المقدس وثيقة حية، أصبحت حقيقة من خلال الروح القدس. كتب بولس: «فأعلنه الله لنا نحن بروحه. لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله» (١ كورنثوس ٢: ١٠).

يواصل الرسول بولس قائلًا بأنه يتكلم بكلمات يعلمها الروح القدس له: «قارنين الروحيات بالروحيات» (١ كورنثوس ٢: ١٣). يريد الروح القدس أن يطبق حقًّا من العهدين، القديم والجديد، علينا. ويمكن أن تكون إجابتُنا: «يا الله، ما الذي تود أن أختبره من كلمات كتابك المقدس؟ فقلبي مفتوح لك. ساعد الحق الكتابي أن يخترق أعماقي».

إن الكتاب المقدس حقيقي، وذات صلة بكل ثقافة اليوم؛ لأن الله- مؤلف الكتاب- حقيقي، وعلى صلة بكل خليقته.[xlvii]

xlvii لمزيد من المعلومات عن كيف نختبر الكتاب المقدس، اقرأ كتاب "كيف تختبر كتابك المقدس" المشار إليه في المراجع

٥٩

من أين تأتي التفسيرات الخاطئة للكتاب المقدس؟

الكتاب المقدس من عند الله، لذلك قد تعتقد أن المؤمنين سيفهمون المعنى الحقيقي للرسالة عندما يقرأونه. لكن تخرج من الكتاب المقدس تعاليم كثيرة مختلفة، وليست بحسب ما في قلب الله؛ لأن البشر يُسيئون تفسير الكلمة. فما هو السبب الرئيس لهذا التفسير الخاطئ؟ وكيف يمكن أن يسيء المؤمنون الأمناء الذين يبحثون عن الحق تفسير كلمة الله؟

يرجع ذلك للعديد من الأسباب. ونحن جميعًا نحتاج أن نتعلم كيف نفسر الكلمة تفسيرًا صحيحًا.[xlviii] لكن يرتكب الناس غالبًا خطأين غاية في الخطورة عندما يحاولون تفسير المعنى في الكتاب المقدس.

- يفسرون الآية أو كلمات الكتاب المقدس خارج سياقها.
- يضيفون وجهات نظرهم أو مشاعرهم إلى النص.

عندما يحدث ذلك، نخطىء في تفسير معنى كلمة الله ورسالتها.

غياب السياق

تخيل أنك تمشي بجانبي، وأنا (شون) أتحدث إلى ثلاثة أو أربعة من أصدقائي. وتسمعني أقول: «سأترك ستيفاني الأسبوع القادم. وسكوتي سيظل معها.» ولا تنتظر مزيدًا من الاستفسار، بل تتحرك إلى أحد أصدقائك وتحكي معه، وفيما يلي ما يمكن أن تقوله:

«هل سمعت آخر أخبار شون وستيفاني ماكدويل؟»

يجيب صديقك: «لا، ما هي أخبارهما؟»

تقول: «سمعت شون يقول إنه سيتركها الأسبوع القادم، وستحصل هي على حضانة ابنهما.»

---

xlviii راجع السؤال رقم ٦٠. كيف تفسر الكتاب المقدس تفسيرًا صحيحًا؟

يـرد صديقـك، وهـو مصـدوم ويلقـى نظـرة خاطفـة علـيَّ: «لا أسـتطيع تصديـق ذلـك! كيـف يمكـن لأحـد المتكلميـن المؤمنيـن الـذي يؤكـد دائمـا علـى أهميـة العَلاقـات أن لا يكـون عنـد حسـن الظـن، ويعيـش الرسـالة الخاصـة التـي يقدمهـا! يالـه مـن عـار حقًّـا!»

مـا الـذي حـدث؟ هـل فسَّـرت كلماتـي بدقـة؟ قـد تكـون سـمعتني بشـكل صحيـح؛ لأنـي قلـتُ فعـلًا إنـي سـأترك زوجتـي الأسـبوع القـادم، وإن سـكوتي ابننـا سـيقيم معهـا. لكنـك لـم تسـمع الجمـل التـي قبلهـا وبعدهـا. وفيمـا يلـي هـذه الكلمـات فـي سـياقها:

قال صديقي: «أعتقد أنك متحمس لرحلتك القادمة التي ستتحدث فيها بكندا؟»

أجبت: «نعم، أنا بالفعل أتطلع لذلك».

فيسـأل صديقـي: «سـتغادر أخـر الأسـبوع، أليـس كذلـك؟ هـل سـيذهب سـكوتي معـك؟»

فقلـت: «لا، سـأترك سـتيفاني الأسـبوع القـادم. وسـكوتي سـيظل معهـا. لـن أقضـى سـوى أسـبوع؛ لـذا لـن يكـون الأمـر صعبًـا علينـا. أكـره حقًّـا البُعـد عـن أسـرتي.»

تهـدف هـذه النقطـة إلـى توضيـح أنـه يمكـن أن نخفـق فـي الوصـول إلـى المعنـى الحقيقـي عندمـا نُخـرج الكلمـات مـن سـياقها. يتطلـب التفسـير السـليم سـياقًا سـليمًا. يمكننـا الاحتفـاظ بسـياق الكتـاب المقـدس عندمـا نفهـم أحـد أماكـن الفقـرات، أي مـا قبـل الآيـة مباشـرة، ومـا بعدهـا. وسـواء كان ذلـك عبـارة مثـل «سـأترك سـتيفاني» أو فقـرة مـن الكتـاب المقـدس، فـإذا أخرجناهـا مـن سـياقها، وفشـلنا فـي فهمهـا داخـل الروايـة بالكامـل، سـنواجه خطـر إسـاءة تفسـير المعنـى.[٤١]

تقديم وجهات نظرك

يعـد السـبب الرئيـس الآخـر الـذي يجعـل النـاس يُسـيئون تفسـير الكتـاب المقـدس هـو أنهـم يُضيفـون وجهـات نظرهـم إلـى النـص. أحيانًـا يذنـب النـاس عندما لا يسـتخدمون آيـات الكتـاب المقـدس سـوى لإثبـات وجهـة نظرهـم الخاصـة.

وعندما تخرج الآيات من سياقها، يمكنك أن تُعبِّر عن أية نقطة تريدها. لكن أحيانًا أيضًا تجارب الشخص الماضية، وعَلاقاته غير الصحية مع الآخرين، تُبعده عن تقديم التفسيرات الصحيحة.

كما تلعب الأشياء التي فعلتَها، أو العَلاقات التي دخلت فيها، خاصة مع أفراد العائلة، دورًا حاسمًا في تشكيل وجهة نظرك عن نفسك وحياتك. وكثيرًا ما يؤثر هذا التشكيل تأثيرًا سلبيًّا على تعاملك، وتفسيرك الشخصي للكتاب المقدس؛ فطريقة ارتباطك بوالديك مثلًا؛ قد تؤثر تأثيرًا كبيرًا في تصورك عن الله. على سبيل المثال، إذا نشأت في بيت مع والدين متسلطين، وشعرت برفضهما لك، أو بُعدك عنهما، من المحتمل أن تظهر تلك المشاعر في علاقتك مع الله. من الطبيعي أن تستخدم هذه العدسات المشوهة في قراءة الكتاب المقدس؛ مما يتسبب في رؤية الله كشخصية متسلطة، ورافضة لك.

نشأت (أنا جوش) في بيت حيث كان والدي يدمن تناول الكحوليات؛ مما لوَّث بشكل كبير رؤيتي لله، والكتاب المقدس، والحياة المسيحية، ونتيجة لذلك أسئتُ تفسير بعض نصوص الكتاب المقدس. أعرف أني بدأت في تنمية نمط من التفكير والسلوك جعلني «المنقذ» كما يسميه علماء النفس. ففي كل مرة كنت أرى فيها والدي يحاول إيذاء والدتي، كنت أتدخل وأحاول أن أمنع ذلك. وقد أصبح ذلك النمط نمطًا نفسيًّا وعاطفيًّا طوال حياتي. فدائمًا ما أحاول إنقاذ الذين يشعرون بالإيذاء والتعثر.

لكن عندما آمنت بالمسيح، استمريت في هذا النمط السلوكي غير الصحي، على الرغم أني لم أدرك أنه غير صحي. وفي كل مرة كنت أرى شخصًا يتعرض للإيذاء، أشعر بدافع قوى لاقتحام الموقف. لكني لم أعرف أنه دافع قوى بداخلي، كنت أظن أنه شفقة مني. كنت أعتقد أني أظهر محبة الله. وعندما قرأت الآية التي تقول: «احملوا بعضكم أثقال بعض، وهكذا تمموا ناموس المسيح» (غلاطية ٦: ٢)، ظننت أنها تعني أني مسؤول عاطفيًّا عن حل مشكلة شخص ما برفع الثقل والحِمل الذي يواجهه. وكنت أعتقد أني أتمم «ناموس

المسيح»، وأتصرف بطريقته. لكني في الحقيقة، كنت أضر نفسي في معظم الحالات، وأتسبب في أذى وإساءة للشخص. وقد تعزز ذلك في حياتي؛ لأني كنت أسيء تفسير كلمة الله عن طريق رؤيتها من خلال عدسات «الإنقاذ» المصابة بخلل.

استعنت بالآخرين لمساعدتي في رؤية هذا النَّص بوضوح. وتعلمت أن الكتاب المقدس لا يُعلم أن حَمل أثقال الآخرين يعني تحمل مسؤولية مشكلة أو ضرر هذا الشخص. بل يعني أن أقف بجانبه، وأساعده بكل لطف، حتى يرفع هذا الثقل عنه. فلا يعني تحمُّل أثقال الآخرين أن تتحمل مسؤولية مشكلتهم، هذا يعني أن نكون مسؤولين عن تعزيتهم، وتشجيعهم ودعمهم في آلامهم أو صعوباتهم.

نعم تُعلمنا غلاطية ٦: ٢ «احملوا بعضكم أثقال بعض.» لكن مفتاح تحوُّل وجهة نظري كانت الآية التي اكتشفتها بعد ثلاث آيات أخرى في الأصحاح نفسِه، حيث تقول «لأن كل واحد سيحمل حمل نفسه» (غلاطية ٦: ٥). قد يبدو الأمر مربكًا في البداية، لكنه يأخذ وضعه الطبيعي عندما تدرك الفرق المهم بين «ثِقل» «وحِمل». يستخدم الكتاب المقدس في الآية الأولى الكلمة اليونانية «baros» التي تعني حِملًا ثقيلًا. وقد استخدم يسوع هذه الكلمة عندما وصف العمال العاملين بجِد في الكرمة، الذين قالوا «احتملنا ثقل النهار والحر» (متى ٢٠: ١٢). وكان ذلك حملًا ثقيلًا يحملونه.

نواجه جميعا مواقف تؤثر علينا تأثيرًا كبيرًا، والله يكون مسرورًا أن يختبر الآخرون معنا (غلاطية ٦: ٢) من خلال الوقوف بجانبنا لمساعدتنا في المواقف الصعبة التي نواجهها. فكِّرْ في صورة رجل يحمل قطعة معدنية ثقيلة فوق كتفيه. وتخيل أن اثنين من أصدقائه يقفان بجانبه، ويضع كلُّ واحدٍ منهما كتفه تحت أحد جانبي القطعة المعدنية، ويساعدانه على رفع الثِقل. هذه هي الصورة التي يقصدها الكتاب المقدس هنا. عندما نكون مثقلين بأشياء مثل إصابة أو مرض أو فقدان لوظيفة أو خسارة أحد الأحباء، نحتاج إلى الدعم، نحتاج لمساعدة الآخرين في رفع الحِمل الثقيل.

استخدم بولس كلمة مختلفة لحِمل أو ثِقل، إذ يقول: «لأن كل واحد سيحمل حمل نفسه» (غلاطية ٦: ٥). والكلمة المستخدمة هي «phortion» التي تشير إلى شيءٍ حَملُه خفيف، مثل حقيبة الإمدادات التي يحملها الجندي في القرن الحادي والعشرين في أرض المعركة. وفي ترجمة أخرى تعني الكلمة «لأن كل واحد مسؤول عن سلوكه الخاص». بعبارة أخرى، هذا الحِمل هو واجب كلٍّ منا، حَملُه سيكون مسؤولية كل واحد. وهي الفكرة نفسها التي ينقلها بولس عندما قال: «فإذا كل واحد منا سيعطي عن نفسه حسابًا لله» (رومية ١٤: ١٢).

لدينا جميعًا مسؤوليات شخصية، وعندما نفشل في مسؤوليتنا بسبب سوء التقدير أو الخيارات الخاطئة أو المواقف السيئة، يجب علينا تقبُّل العواقب وتحمُّلها. إن التدخل في العواقب الطبيعية والتصحيحية للسلوك غير المسؤول قد يُضيِّع علينا دروسًا قيِّمة قد تكون حاسمة في نمونا المستمر ونضوجنا.[٤٢]

نحن نسيء تفسير الكتاب المقدس عندما نأخذ الكلمات أو الآيات من خارج سياقها، وعندما نضيف وجهات نظرنا الخاصة، أو عواطفنا التي بها خلل، إلى السياق. تتوفر وسائل صحيحة لتفسير كلمة الله، وهي تتطلب الدراسة بعناية، واتباع عملية محددة. سنناقش ذلك في السؤال التالي: «كيف تفسر الكتاب المقدس تفسيرًا صحيحًا؟»

٦٠

كيف تفسر الكتاب المقدس تفسيرًا صحيحًا؟

يعلمنا الكتاب المقدس العديد من الحقائق والعقائد. وعندما أوحى الله لأنبيائه ورسله، بلا شك كان يريدنا أن نفهم، بوضوح، المعنى الوحيد المقصود. قال الرسول بطرس: «أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص» (٢ بطرس ١: ٢٠). لذا جميعنا نحتاج إلى السعى لفهم المعنى الموضوعي، أي التفسير الإلهي، لكل عقيدة أو حق في الكتاب المقدس. وهذا ما جعل بولس يتحدانا قائلًا: «اجتهد أن تقيم نفسك لله ... مفصلًا كلمة الحق بالاستقامة» (٢ تيموثاوس ٢: ١٥). ومهمتنا كمؤمنين أن نفسر كلمات الكتاب المقدس لفهم المعنى المقصود. لذلك كيف نفسر الكتاب المقدس تفسيرًا صحيحًا حتى نعرف ما يقصده الله؟

يتطلب تفسير تعاليم الكتاب المقدس تفسيرًا صحيحًا وحقيقيًا، استخلاص المعنى الإلهي. ليس علينا أن نُكوِّن المعنى بأنفسنا، أو نستنتج ما ليس في معنى النص، ونعتقد أنه تعليم. عندما يضع الناسُ اتجاهًا خاصًا غيرَ محايد إلى النص، أو يُضيفون أفكارَهم الخاصة، ليس من الصعب أن نرى كيف يمكن أن ينتهى الأمر، حيث يُكوِّن ذلك لدينا رؤى مختلفة ومتناقضة بشأن حق معين.[xlix] ولكن يمكن تجنب الكثير من ذلك إن اتبعنا عملية اكتشاف المعنى الإلهي للحق. وهذه العملية تُسمَّى التأويل.

تأتي كلمة التأويل من الكلمة اليونانية «exegeomai» التي تعني يجعله معروفًا، أو يتكشف تدريجيًا في التعليم، أو يعلنه من خلال أن يجعله معروفًا. وقد استخدم يوحنا هذه الكلمة عندما قال إن «الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبر» (يو ١: ١٨). وقد ترجم الكتاب المقدس القياسي الأمريكي الجديد «The New American Standard Bible» هذه العبارة كما يلي: «الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو فسره».

---

xlix راجع السؤال رقم ٥٩. من أين تأتي التفسيرات الخاطئة للكتاب المقدس؟

لكي تفسر معنى النَّص الكتابي، أو تشرحه، أو تكشف عنه، يجب الاشتراك في عملية التأويل. ويمكن أن نفعل ذلك بطرح العديد من الأسئلة عن النَّص لتحديد الإجابات عن ماذا، وأين، ولماذا، وكيف، وما إلى ذلك. وفي عملية التأويل، يمكننا أن:

١- ندرس النَّص لفهم بنيته النحوية.

٢- فهم المعنى الحرفي والمجازي والثقافي للكلمات، وما إلى ذلك.

٣- اكتشاف السياق التاريخي مثل الكاتب والبيئة الثقافية المحيطة والإطار الزمني، وما إلى ذلك.

٤- فحص الرسالة في سياق الفقرات والفصول والكتب الفردية والمجال الكلى للحق الكتابي.

٥- فهم الحق غير المحدود بزمن، والذي كان ينطبق أولًا على أولئك الذي كُتِب لهم. وفَهم مدى تطبيقه علينا اليوم.[1]

يتضمن تفسير الكتاب المقدس تفسيرًا دقيقًا عددًا من الأدوات والضوابط المستخدمة بعناية. (لكي تعرف المزيد عن كيفية تفسير الكتاب المقدس أفضل تفسير، راجع كتاب «Experience Your Bible» المشار إليه في المراجع). وللإجابة عن هذا السؤال، دعونا نذكر باختصار عنصرين أساسيين من عناصر تفسير الكتاب المقدس هما: فهم معاني الكلمات، وفهم سياق تلك الكلمات.

معانى الكلمات

تتكون اللغة من كلمات، وهي بناء قوالب الأفكار. وعندما نجمع الكلمات معًا في فقرات، تُصبح الوحدة الأساسية للتواصل. وينطبق هذا على أي عمل أدبي. والكتاب المقدس عمل أدبي به كلمات وفقرات توصل الحق الإلهي لنا. لكن كيفية تفسير تلك الكلمات هو أمر مهم؛ لأن الكلمات يتغير معناها عندما ترتبط بكلمات وعبارات أخرى. لذلك هل ينبغي تفسير كلمات الكتاب المقدس حرفيًّا أم مجازيًّا أم ماذا؟ ومن هنا نصل إلى فهم استخدام الاستعارات والنحو.

---

1 راجع السؤال رقم ٥٨. كيف يمكن أن تكون تعاليم الثقافات القديمة بالكتاب المقدس مفيدة لنا اليوم؟

استعارة: يُعد جزءًا من التفسير هو تطبيق الحس السليم بدلًا من استخدام المعنى الحرفي للكلمات دائمًا. ويمكننا فهم النصوص بطريقة أفضل لو سمحنا لـ«للغة» أن تُفهم في سياقها بدلًا من فرض معايير خاصة مصطنعة لاستخدام اللغة في الكتاب المقدس! على سبيل المثال، عندما قال يسوع: «أنا هو خبز الحياة» (يوحنا ٦: ٣٥)، هل كان يعني أنه رغيف من حبوب القمح المزروعة في الأرض التي خُلِطت مع الخميرة وخُبِزت؟ بالطبع كلا! نعرف أنه كان يقصد المعنى المجازي بأنه يقدم قوت الحياة الروحية، كما يقدم الخبز قوت الحياة المادية. لكن إذا حاولنا قراءة الاستعارات الكتابية بطريقة حرفية سنسيء فهم المعني الحقيقي. وكما قلنا سابقًا، الكتاب المقدس عمل أدبي، والمبادىء اللغوية نفسها التي تنطبق عليه تنطبق على كتابات أخرى. وعلى الرغم أنه من الصواب الإيمان بصحة الكتاب المقدس، فإنه يجب السماح للاستعارات والتشبيهات والمقارنات لتكون بما هي عليه، دون أن نكون حرفيين.

النحو: عند تفسير نص، يجب أن لا ننظر إلى الاستعارات فحسب، بل أن ننتبه إلى النحو أيضًا. يتضمن النحو أشياء مثل أزمنة الأفعال، والأسئلة، وصيغ الأمر، والأسماء، والمفعول به. وتُحدد هذه العناصر تركيب اللغة، وهي عوامل مهمة في تحديد ما يُقال بالضبط. ويساعدنا فهم المعنى الأصلي للكلمات في الكتاب المقدس واستخدام النحو في تفسير الحق كما هو بحسب فكر الله.

معنى الكلمات داخل السياق

ظهر الكثير من التعاليم المتناقضة المليئة بالأخطاء، عندما أُخِذ الكتاب المقدس خارج سياقه. وعندما حدث ذلك، ضاع المعنى الحقيقي الذي يريد الله إيصالَه لنا.

السياق الأدبي: يعد السياق في غاية الأهمية لتفسير نص ما. ويحدث ذلك من خلال فهم البيئة المحيطة بالنص، وما يأتي مباشرة قبلها وبعدها. تذكر عندما قلت في السؤال السابق إني (أنا جوش) قد صارعت مع فهمي لغلاطية ٦: ٢؟ لم يكن الأمر بسبب خطأ في قراءة «احملوا بعضكم أثقال بعض»، لكن بسبب

عدم فهمها داخل السياق. عندما قرأت الآيات الثلاث التي بعدها، ودرست الكلمات اليونانية لكل مِن «ثِقل» «وحِمل» استطعت فهم الآية الثانية داخل سياق النَّص بالكامل.

لذلك عندما نقرأ نص خارج سياقه، نواجه خطر قراءة معنى آخر في النَّص ليس ببساطة موجودًا فيه. ويسمي العلماء ذلك بالتفسير الشخصي، أو «استنتاج ما ليس في المعنى». ومعظم أخطاء التفسير تأتي من استنتاج معنى للكتاب المقدس ليس موجودًا به، أو لم يكن مقصودًا. ويمكن تجنب الكثير من ذلك بقراءة النَّص داخل السياق.

لكن علينا أن نرى أكثر من مجرد عدد قليل من الآيات، قبل الحق الكتابي وبعده؛ لتفسيره داخل السياق. نحتاج إلى رؤية ذلك داخل سياق الأصحاح، بل الكتاب المقدس بأكمله. ومن هنا تأتي الإحالة المرجعية.

يُقصد بالإحالة المرجعية ببساطة عملية متابعة موضوع أو كلمة من آية لأخرى داخل الكتاب المقدس؛ لاكتشاف كل ما يُقال في هذا الموضوع. وتكمن قوة الإحالة المرجعية في حُجتها. وبما أننا نسمح للكتاب المقدس بأن يفسر نفسه، يمكننا الاعتماد على صحة النتائج التي توصلنا إليها.

تتوفر العديد من المصادر التي تساعدنا في تحديد الإحالة المرجعية. ادرس الكتب المقدسة الموجودة في السوق التي لها إحالة مرجعية في عمود منفصل بجانب الآية. قد يكون بكتابك المقدس أيضًا فهرس أبجدي للكلمات الرئيسة. ويُعد الكتاب المقدس ذات السلسلة المرجعية هو أحد الأدوات المفيدة. ويعد الكتاب المقدس الأصلي ذات السلسلة المرجعية هو الكتاب المقدس المرجعي لطوموسون (Thompson Chain Reference Bible)، والمتوفر حتى الآن. وتحتوى السلسلة المرجعية على مراجع هامشية مفصلة، وفهرس مرجعي بالتفصيل يساعدك أن تتتبع موضوعًا معينًا في الكتاب المقدس بأكمله.[li]

li راجع السؤال رقم ٧٦. ما هي المصادر التي أحتاجها لتفسير الكتاب المقدس بدقة؟

السياق التاريخي: كُتِب الكتاب المقدس في فترات زمنية تاريخية مختلفة. وتؤثر المواقف والبيئة المحيطة وأسلوب الحياة والتركيب السياسي لفترة زمنية معينة في فهم النص. لذلك، لكي نفسر نصًّا كتابيًّا، يجب أن نراه داخل سياقه الثقافي والتاريخي. وكما قلنا من قبل، لم يُكتب الكتاب المقدس إلينا نحن الذين في القرن الحادي والعشرين، لكن هذا لا يعني أنه لم يكتب لنا. لكن لكي نفهم ما يقوله الله لنا اليوم، يجب أن نفهم ذلك داخل سياقه الثقافي، ونطبق الحق الإلهي تطبيقًا صحيحًا على ثقافتنا وحياتنا الشخصية.

عندما نقرأ الكتاب المقدس، ندخل في النقاش في الماضي. لقد كُتِبت الأسفار المقدسة على مدار فترة زمنية تزيد عن ١٥٠٠ سنة. وقد حدث خلال هذه الفترة الزمنية تغيُّرات ثقافية وسياسية واجتماعية كبيرة. وعندما نفهم معنى الكلمات، ونكتشف السياق الأدبي والتاريخي، نكون في وضع يمكننا من أفضل فهم لما يريد الله أن يقوله لنا. وعندما نفعل ذلك، يمكننا الكشف عن معنى كلمته، وتطبيقها في حياتنا.

٦١

هل يمكن أن يبقى المسيحيون في وحدة إن احتفظوا بتعاليمَ متناقضة من الكتاب المقدس؟

تَدَّعي المئات من الطوائف المختلفة في المسيحية أنها مؤمنة، وأن عقيدتها صحيحة، أو بمعنى أدق، الأصح. ومع ذلك، توجد اختلافات كبيرة وكثيرة بينهم في إيمانهم وتعاليمهم. وكنائس كثيرة من هذه الكنائس لا تتعاون، أو تعمل معًا؛ بسبب اختلافاتهم. فهل هذه الطريقة هي التي ينبغي أن يكونوا عليها؟ هل يمكن للمسيحيين الاحتفاظ بتعاليم متناقضة من الكتاب المقدس ويظلوا في وحدة؟ أم هل يجب أن تظهر الاختلافات دائمًا بين المسيحيين والكنائس؟

وحدة الحب

دعا يسوع تلاميذَه أن يحبوا بعضهم البعض. وفي الواقع، قال لهم: «بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي: إن كان لكم حب بعضًا لبعض» (يوحنا ١٣: ٣٥). إن علامة التابع الحقيقي للمسيح هي الحب الذي يقدمه للآخرين، وخصوصًا الإخلاص الذي يُظهره نحو الإخوة والأخوات في المسيح. صلى يسوع إلى الآب السماوي لأجل أتباعه بهذه الطريقة: «ليكون الجميع واحدًا، كما أنك أنت إيها الآب في وأنا فيك» (يوحنا ١٧: ٢١). وقد تكلم الرسول بولس عن وحدة شعب الله قائلًا: «جسد واحد، وروح واحد، كما دعيتم أيضًا في رجاء دعوتكم الواحد. رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة، إله وآب واحد للكل، الذي على الكل وبالكل وفي كلكم» (أفسس ٤: ٤- ٦).

يبدو أن خطة الله هي أن يعيش جميع المؤمنين الذين يتبعون حقًّا المسيح والكتاب المقدس، في وحدة مع بعضهم البعض. وبالتالي ما هي المشكلة؟

ويُدين بعضُ المؤمنين، الآخرين؛ لأنهم لا يؤمنون بما يؤمنون به. لكن الكثير منهم، ببساطة له وجهات نظر مختلفة بشأن تعاليم كتابية معينة، وينبغي أن لا يسمحوا لها بتعطيل وحدتهم مع بعضهم البعض.

أعيش (أنا شون) في وحدة مع زوجتي ستيفاني. لكن لدينا ذوق مختلف في السيارات، وأولويات مختلفة في قراءة الأدب، وأكلي المفضل يختلف عن أكلها. كما أني أفضِّل مشاهدة أفلام الحركة، في حين تفضل هي مشاهدة الأفلام الرومانسية، ويمكن أن تطول القائمة. نرى الأمور رؤية مختلفة، ولدينا في الحياة زوايا مختلفة. لكن هذا التنوع لا يُفرِّق بيننا، بل يجعلنا أقوى كزوجين. وعندما نختلف، نتفق على أن نختلف! كثيرًا ما تكون نقطة قوة ستيفاني هي أحد نقاط ضعفي، ونقطة ضعفها غالبًا هي نقطة قوتي. وبهذه الطريقة نكمل بعضنا البعض. ويعزز ذلك من وحدتنا.

مجرد أن المؤمنين لهم رؤية مختلفة لبعض الأمور في الكتاب المقدس، لا يعني أنهم يحتاجون أن يكونوا على خلاف مع بعضهم البعض. وترتبط العديد من المجموعات المسيحية، والكنائس التي نعمل معها، بتلك المختلفين معها، وبروح الحرية المسيحية. والواقع أن معظم المسيحيين الذين يتبنون اللاهوت الكلفاني يحبون أولئك الذين يتبعون اللاهوت الويسلي الأرميني، والعكس صحيح. كما يحب الذين يؤمنون بمجيء المسيح قبل الملك الألفي أولئك الذين يؤمنون بمجيء المسيح بعد الملك الألفي، وكذلك يقدم المعمدانيون المحبة للناصريين، واللوثريون يحبون جماعات الله. ليس كل المسيحيين في عَلاقة مع بعضهم البعض في الحرية المسيحية، لكن كثيرين في مثل هذه العَلاقة. حتى بعد دراسة طويلة وصادقة للكتاب المقدس، لا تزال توجد مناطق عُرضة للتأويل والتفسير المختلف، وعلينا جميعًا أن نحرص ألا نكون متشددين في مناطق الاختلاف هذه.

الأساسيات

مع ذلك، تتطلب بعض التعاليم الكتابية المهمة والأساسية اتفاقًا واضحًا. لقد حذر الرسل من ظهور التعاليم الكاذبة فجأة (٢ كورنثوس ١١: ١٣، ١٤).

وقد وضعوا أساسيات معينة للتعليم المسيحي على جميع أتباع المسيح اعتناقها؛ حتى يظلوا أتباعًا أوفياء له. ويتعلق واحدٌ من هذه التعاليم بشخص يسوع نفسه. يقول يوحنا: «وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد، فليس من الله» (١ يوحنا ٤: ٣). أوضَّح الرسل أنه من الضروري الإيمان بأن يسوع هو الله الظاهر في الجسد الذي مات لأجلنا؛ حتى نكون في عَلاقة مع الله. وهذه هي أحد شروط الوحدة المسيحية في الكنيسة الأولى.[lii]

وضع الرسول بولس أساسًا آخر للإيمان عندما قال:

«وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطل إيمانكم. أنتم بعد في خطاياكم! إذا الذين رقدوا في المسيح أيضًا هلكوا... ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين» (١ كورنثوس ١٥: ١٧، ١٨، ٢٠).

كانت قيامة يسوع الجسدية عقيدة أساسية بالنسبة للمسيحية الأولى. قال يسوع:

«أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا، وكل من كان حيا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد» (يوحنا ١١: ٢٥، ٢٦).[liii]

لذلك يجب الاتفاق على بعض الأساسيات. وتتضمن بعض الأساسيات الأخرى الإيمان بالخطية الأصلية، وكفارة يسوع عن الخطية، والتبرير من خلال الإيمان.[liv]

---

lii راجع سؤال رقم ٣٨. هل ادَّعى يسوع حقًّا أنه الله؟

liii راجع السؤال رقم ٤٦. لماذا تعد قيامة يسوع محورية للغاية في المسيحية؟

liv لمعالجة كاملة لحقائق المسيحية الاثنى عشر الأساسية، راجع كتاب «الحق الثابت»، كيف يمكن أن تختبر الأساسيات الاثنى عشر المتعلقة بالإيمان، كما مشار إليها في الملاحظات

نحتاج أن نكون في وحدة كمؤمنين مع إخوتنا المؤمنين، حتى لو كنا نختلف في العديد من التعاليم الكتابية التي ليست واضحة تمامًا، لكنها ليست أساسيات لحقائق الإيمان الأساسية. وفي هذه المواقف، علينا أن نعطي الحرية لإخواننا وأخواتنا في المسيح. لكن ينبغي أن نتفق في الأساسيات كما كتب يهوذا: «واعظا أن تجتهدوا لأجل الإيمان المسلم مرة للقديسين» (يهوذا ٣).

في ضوء ذلك، عندما لا نستطيع الاتفاق على الأساسيات مع أولئك الذين يَدَّعون أنهم أتباع المسيح، فمن المناسب ألا نكون في شركة معهم. بل ينبغي أن يُؤخذ ذلك على محمل الجد، لكن دون روح رجعية. كما ينبغي أن يحدث ذلك بخشوع وبمحبة وبروح المسيح. من المهم أن نكون في كنيسة، وبين أتباع المسيح الذين يُعلمون أساسيات الإيمان، ويتمسكوا بها. وعندما نفعل ذلك، سنُصبح مثالًا حيًّا لمحبة المسيح للعالم حولنا.

كتب بولس إلى كنيسة فيلبي:

«فإن كان وعظ ما في المسيح. إن كانت تسلية ما للمحبة. إن كانت شركة ما في الروح. إن كانت أحشاء ورأفة، فتمموا فرحي حتى تفتكروا فكرًا واحدًا ولكم محبة واحدة بنفس واحدة، مفتكرين شيئًا واحدًا،» (فيلبي ٢: ١، ٢).

٦٢

هل كل شرائع العهد القديم ملزمة لنا اليوم؟

كُتِب العهد القديم لبني إسرائيل (اليهود). ويقول البعض إن معظمه لا ينطبق على المؤمنين اليوم. لكن، ورغم أننا قد نقرأ قصصًا جيدة من العهد القديم، هل هو مُلزِم لمسيحيي اليوم؟

أولًا: من المهم إدراك أن كلًّا من العهد القديم أو الجديد لم يُكتب إلى الذين يعيشون في القرن الحادي والعشرين. فقد كان جمهور العهد القديم هم بنو إسرائيل، في حين كُتِب العهد الجديد إلى جمهور من اليهود والأمم في القرن الأول.[lv] لكن هذا لا يعني أن الحق الكتابي ليس له صلة بنا، أو غير مُلزِم لنا اليوم.

كُتِب الكتاب المقدس في سياقات تاريخية معينة تختلف تمامًا عن سياقاتنا اليوم. لكن حتى وإن لم تُكتب كلمات الكتاب المقدس لنا تحديدًا، فهذا لا يعني أنها ليست لنا. فالكتاب المقدس هو الحق الإلهي الشامل، الذي ينطبق على جميع البشر، في كل الأماكن، وجميع الأزمنة. وتتخطى رسائل العهدين: القديم والجديد، التاريخ والثقافات والعادات واللغات والأزمنة. لذلك، وحتى نفسر ما يقوله الله لنا في القرن الحادي والعشرين، يجب علينا أولًا تحديد الحقائق الكتابية العامة المطبقة في العصور القديمة؛ حتى نَعي كيف تنطبق علينا اليوم.[lvi]

فضلًا عن ذلك، يُعد العهد القديم غنيًّا بالحق الذي ينطبق علينا اليوم. ومع ذلك، كما قلنا سابقًا، يجب فهم السياق التاريخي؛ حتى نفهم معناه بالنسبة لنا اليوم. وعد الله إبراهيم، ودخل معه في عهد بأن يقيم له أمَّة، ويرسل من خلال نسله مخلصًا وفاديًا للعالم. ويعكس العهد القديم قصة عَلاقة الله المُخلصة والمُحبة مع شعبه، بني إسرائيل. لذلك مفهوم أن بعض الوعود والشروط والتعاليم التي قِيلت لشعب إسرائيل لا تنطبق على الجميع.

---

lv راجع السؤال رقم ٥٨. كيف يمكن أن تكون تعاليم الثقافات القديمة بالكتاب المقدس مفيدة لنا اليوم؟

lvi راجع السؤال رقم ٦١. هل يمكن أن يبقى المسيحيون في وحدة إن احتفظوا بتعاليمَ متناقضة من الكتاب المقدس؟

العهد القديم في سياق العهد الجديد

لكي نفهم كيف ينطبق الحق في العهد القديم عمومًا على مسيحيي اليوم، يجب تفسيره داخل سياق العهد الجديد. قال الرسول بولس:
«فلماذا الناموس؟ قد زيد بسبب التعديات، إلى أن يأتي النسل الذي قد وعد له، مرتبًا بملائكة في يد وسيط... إذا قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح، لكي نتبرر بالإيمان. ولكن بعد ما جاء الإيمان، لسنا بعد تحت مؤدب» (غلاطية ٣: ١٩، ٢٤، ٢٥).

عندما كان بولس يقول بأن الناموس مؤدبنا أو معلمنا كان يقصد كما لو أن معلمًا يوجه طفلًا ويرشده حتى بلغ رشده. لقد حقق الناموس هدفه بإرشاد شعب الله إلى الذي يستطيع أن يكتب شرائعه وطرقه في قلوبهم. لم يكن الله يريد من البشر أن يركزوا في المقام الأول على الشرائع والقوانين. بل كان يريد منهم أن يركزوا على العَلاقة معه، واتباع طرقه سيكون نتيجة طبيعية في هذه العَلاقة. وهذا كله ظهر مثاليًا عندما تجلى يسوع على مسرح التاريخ البشري.

وقد أوضح يسوع أنه السياق لتفسير العهد القديم قائلًا: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل» (متى ٥: ١٧). فقد أكمل شريعة موسى الرسمية، وأوفى عدل الله بالتعامل مع خطيتنا.

تتعامل الشرائع الرسمية التي أعطاها الله إلى بني إسرائيل مع الذبائح الحيوانية، والكهنوت، والهيكل، وحفظ الأعياد العديدة. وكانت هذه الشرائع وسيلة أو نظام للتعامل مع الخطية، ولإشباع طبيعة الله القدوس والعادل. فالله يريد أن يتمتع شعبُه في العَلاقة معه. كان نظام الذبائح في العهد القديم وسيلة التمتع بغفران الله، ودخول بني إسرائيل في عَلاقة معه. لكن هذا النظام وغفرانه كان يستند في الواقع على مجيء المسيح الذي سيكون في المستقبل الذبيحة الكاملة.

لم نعد في حاجة إلى أتباع الشرائع الرسمية في العهد القديم؛ لأن ابن الله أصبح الحمل المذبوح الكامل لكل الأزمنة (راجع العبرانيين ٣- ١٠). وهذا ما

يقصده يسوع عندما قال إنه أكمل الناموس. ويتطلب الناموس بديلًا، أي ذبيحة كاملة للتمتع بالفداء. وببساطة لم يكن الحل هو إطاعة مجموعة من القواعد، واتباع نظام ذبائح الحيوانات. وبكل تأكيد قدَّم المسيح ذلك الحل. إذ لم يعد اتباع الشرائع الرسمية التي أعطاها الله لإسرائيل مطلوبًا أو ضروريًّا. فقبول المسيح ذبيحتنا هو المطلوب والضروري.

الشرائع المدنية: يمكن قول الشيء نفسه عَمَّا يُعرف بالشرائع المدنية لإسرائيل. ففي جميع أنحاء الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم، لم يأخذ بنو إسرائيل الوصايا العشر (الشريعة الأخلاقية) فحسب، بل كانت توجد تفاصيل عن كيفية تنفيذ شريعة الله في الأمة. وقد أوصى الله شعبه بعمل أشياء محددة، وبكيفية عملها، ومتى يعملونها، ونتائج العصيان والتمرد وحلوله. وعلى الرغم أن هذه الشرائع كانت تحديدًا لإسرائيل، ولم يكن يُقصد منها أن تُترجَم إلى قوانين مدنية معاصرة، فإن ذلك لا يعني ألا نتعلم منهم. بكل تأكيد يمكننا رؤية أن الله يرغب في نظام يتميز بالعدل، يريد منا بصفتنا أتباعه، أن ندافع فيه عن الضعفاء، أو الذين يتعرضون إلى سوء المعاملة (راجع رسالة يعقوب). ويحتاج المجتمع المدني إلى الشرائع المدنية الضرورية للعمل بها.

الشريعة الأخلاقية: تعكس الشريعة الأخلاقية في العهد القديم، والمشار إليها غالبًا بالوصايا العشر، الحق الإلهي العام إلى جميعنا. وتكررت كل الوصايا العشر في العهد الجديد ما عدا حفظ يوم السبت. وهذه الوصية الأخيرة قد تكررت فعليًّا من خلال حقيقة أننا كجسد المسيح، أي الكنيسة، علينا أن نحب بعضنا البعض، ونعبد الرب سويًّا. قال كاتب العبرانيين: «غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة، بل واعظين بعضنا بعضا،» (العبرانيين ١٠: ٢٥). لذلك تعد الشريعة الأخلاقية في العهد القديم ملزمة لنا، وتنطبق علينا اليوم.

عندما نقرأ العهد القديم، يجب أن نفهم الحق الإلهي في ظل السياق التاريخي لبني إسرائيل. وعندما نفعل ذلك، يتضح كيف يريد الله تطبيق الحق الأبدي في حياتنا الشخصية، وحياة العالم، في القرن الحادي والعشرين.

٦٣

هل أيٌّ من الأعياد اليهودية في الكتاب المقدس له مغزى للمسيحيين اليوم؟

ذكر العهد القديم في كثير من الأحيان الأعياد التي على بني إسرائيل أن يحفظوها. ونحن نعرف أن الشريعة الرسمية اليهودية مع نظام الذبائح قد أكملها يسوع. لذلك ليس مطلوبًا مِنا كمسيحيين أن نحفظ تلك الأعياد اليهودية. لكن هل أيٌّ من هذه الأعياد لها معنى للمسيحيين اليوم؟ هل لها أهمية لأيٍّ من تعاليم العهد الجديد أو الحياة المسيحية؟

نعم، بكل تأكيد عدد من هذه الأعياد اليهودية، إن لم يكن كلها له معنى لنا اليوم. على سبيل المثال، يجد العديد من المسيحيين معانٍ مهمة في الأعياد اليهودية: الاحتفال بالفصح ويوم الخمسين وعيد المظال.

في الخروج، أوصى الله جميع بني إسرائيل «ثلاث مرات تعيد لي في السنة» (الخروج ٢٣: ١٤). كان العيد الأول هو عيد الفطير أو الفصح. وعلى مدار عدة قرون، كانت العائلات اليهودية تجتمع مع غروب الشمس في اليوم الرابع عشر من الشهر الأول في التقويم العِبري للاحتفال بهذا العيد.

عيد الفصح

تشمل وجبة عيد الفصح خروفًا مشويًّا، وأعشابًا مُرة، وفطيرًا بدون خميرة. وأثناء تناول الوجبة، يَحكي الأب قصة خلاص الله لشعب إسرائيل، وفدائه من عبودية المصريين. ويشرح كيف اجتاز الملاك المُهلِك في أرض مصر، وقتل كلَّ بكرٍ ذكر من كل أسرة. لكن الله قال لشعبه إنه سيحفظهم إذا حفظوا الفصح كما أوصاهم. وكان على كل بيت من إسرائيل أن يختار حملًا أو تيسًا صغيرًا، ويذبحه ويرش دمَه على القائمتين والعتبة العُليا في بيوتهم. وفي المساء، يأكلون

الخروف مشويًّا مع الأعشاب المُرة والفطير المصنوع من دون خميرة. وفي هذه الليلة يأتي الملاك المُهلِك في منتصف الليل، ويضرب كل بكر في مصر. لكنه يعبر عن البيوت التي عليها الدم (الخروج ١٢).

منذ ذلك اليوم، وتحتفل البيوت اليهودية بفدائهم من العبودية المصرية؛ لأن موت كل بكر في مصر كان الضربة القاضية التي دفعت فرعون إلى تحرير إسرائيل من العبودية.

لكن حدث ما هو أكثر أهمية للمؤمنين منذ ١٤٠٠ سنة بعد أول عيد للفصح. فلمَّا تجمَّعت في أورشليم مجموعة من اليهود لحفظ هذا العيد الخاص، حدث شيء غريب؛ حيث أخذ الرجل الذي يقود الفصحَ، الفطيرَ، ومرَّره على جميع الموجودين، وقال شيئًا غير عادي: «خذوا كلوا. هذا هو جسدي» (متى ٢٦: ٢٦). ثم أخذ كأسًا من الخمر، ومرَّره بطريقة الفصح المعتادة، ولكن مرة أخرى قال أقوى شيء: «اشربوا منها كلكم؛ لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» (متى ٢٦: ٢٧، ٢٨). لقد أعاد هذا الرجل اليهودي تفسير الاحتفال بعيد الفصح بأكمله. وقال عن نفسه إنه الخبز، والخمر هو دمه. وقد حيَّر ذلك الموجودين.

قال هذا الإنسان لأتباعه قبل ذلك إنه «خبز الحياة» (يوحنا ٦: ٣٥). وهذا الإنسان هو نفسُه الذي تكلم يوحنا المعمدان بجراءة عنه عندما رأه أتيًا إليه، حيث قال: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم!» (يوحنا ١: ٢٩). وفي غضون ساعات من هذا الاحتفال بالغ الأهمية، أخذ اليهودُ هذا الرجلَ الذي يُدعى يسوع، حيث تعرض للضرب المبرح، وسُمِّر بوحشية على الصليب، حتى نزف ومات. وبعد ما يزيد عن ١٤٠٠ سنة من احتفال شعب الله بالفداء الأول، احتفل يسوع الناصري ابن الله البكر بنفسه كخروف الفصح الذي قدَّم الفداء للجنس البشري من عبودية الخطية. ويا له من عيد يحتفل به المسيحيون!

لم يكن الفصح مجرد احتفال يهودي، بل كان احتفالًا لجميع المفديين بذبيحة يسوع المسيح الكفارية. يقول الكتاب:

«عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى، بفضة أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم، كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح» (١ بطرس ١: ١٨، ١٩).

لذا لم نعد في حاجة إلى ذبح الحملان والثيران والتيوس؛ لأن يسوع «الآن قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه» (العبرانيين ٩: ٢٦). يستطيع جميع المسيحيين الاحتفال بعيد الفصح على حساب خطة الله للفداء بيسوع المسيح.

عيد الخمسين

بعد خمسين يومًا من بداية الفصح، أوصى موسى البيوت اليهودية أن تقدم قربانًا لله مِن أول محاصيلهم. ويقول الكتاب: «تحسبون لكم من غد السبت من يوم إتيانكم بحزمة الترديد سبعة أسابيع تكون كاملة. إلى غد السبت السابع تحسبون خمسين يومًا، ثم تقربون تقدمة جديدة للرب» (اللاويين ٢٣: ١٥، ١٦). وكان هذا الاحتفال يسمى «بعيد الأسابيع». لكن على مدار قرون، وبالإضافة إلى احتفال البيوت اليهودية بحصادها، كانوا أيضًا يُعيِّدون بظهور الله من خلال كلمته المكتوبة المقدمة إلى موسى على جبل سيناء. وكانت البيوت اليهودية بجانب تقديم المحاصيل قربانًا تجتمع، وتسبح الله الذي أظهر نفسه بطريقة مثيرة كما فعل في اليوم الذي أظهر نفسَه لموسى، وأعطاه الوصايا: «مكتوبين بإصبع الله» (الخروج ٣١: ١٨).

الآن، وبالعودة السريعة إلى القرن الأول، تخيل تلاميذ يسوع يشعرون بالإثارة والفرح بسبب قيامة يسوع المسيح. فقد ذُبِح حمل الله في الفصح، وأصبح الفداء اليهودي حقيقة. ولمَّا عاد المسيحُ إليهم سألوه قائلين: «يا رب، هل في هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل؟» (أعمال ١: ٦) لم يحدث ذلك سوى قبل عيد الأسابيع بعشرة أيام (عيد الخمسين في اليونانية).

ويا له من وقت مثالي لكي يُظهر ابن الله نفسه بصفته الإله صاحب القوة والملكوت السماوي. فلربما تساءلوا: «احتفل عيد الخمسين بظهور الله في

سيناء، فلماذا لا يحتفل ابن الله بظهوره في أورشليم، ويا له من احتفال بالملك الجديد؟!».

لكن اندهش التلاميذ عندما صعد يسوع إلى السماء. لكن قبل أن يحدث ذلك بقليل، قال لهم اذهبوا إلى المدينة، وانتظروا وعد الآب (راجع لوقا ٢٤: ٤٩). ولعلهم قد اتبعوا وصية يسوع وهم متحيرون ويشعرون بالإحباط. وبعد عشرة أيام، اجتمع مائة وعشرون شخصًا من أتباع يسوع في العلية؛ ليحتفلوا بعيد الأسابيع/ الخمسين كما جرت العادة، من خلال القراءات والصلوات والتشكرات التي تُقدَّم لله على ظهوره القوي في جبل سيناء. لكن حدث شيءٌ استثنائي في هذا العيد المحدد.

بينما كان التلاميذ مجتمعين، ظهر الروحُ القدس مثل عاصفة: «وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم» (أعمال ٢: ٣). وقد تغيَّر هذا الاحتفال من احتفال يكشف الله فيه عن نفسه من خلال كلمته المقدسة، إلى احتفال يكشف الله عن نفسه من خلال الروح القدس. وبدلًا من تقديم أول المحاصيل، كان التلاميذ أنفسهم هم أول الحصاد، أي الكنيسة الأولى.

لم يكن عيد الخمسين مجرد احتفال يهودي، بل احتفالًا بعطية الله من الروح القدس لكل مؤمن. يمكننا أن نشكر الله على كلمته وروحه الذي يدخل حياتنا ليجعلنا أبناءه:

«إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضًا للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ: «يا أبا الآب». الروح نفسه أيضًا يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولادًا فإننا ورثة أيضًا، ورثة الله ووارثون مع المسيح. إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضًا معه» (رومية ٨: ١٥- ١٧).

عيد المظال

يُعد عيد المظال (عيد العرش) أو عيد جمع الحصاد هو آخر هذه الأعياد الثلاثة. فقد أوصى الله بني إسرائيل بأن يعيشوا في مظال لسبعة أيام في كل سنة: «لكي تعلم أجيالكم أني في مظال أسكنت بني إسرائيل لما أخرجتهم من أرض مصر. أنا الرب إلهكم» (اللاويين ٢٣: ٤٣).

وعلى مدار قرونٍ عِدة، وخلال الخريف، كانت العائلات اليهودية تحتفل بعيد العرش (وتعنى في العِبرية «كشكًا» أو «كوخًا»). كانوا يأكلون في أكواخهم ويقول الكتاب: «وتفرحون أمام الرب إلهكم سبعة أيام» (اللاويين ٢٣: ٤٠). وبصفته العيد الأخير، كان يعد علامة على اكتمال موسم الحصاد ودورة الأعياد. لذلك، كان يعتبر وقتًا خاصًا من الاحتفال بملء عمل الله المبدع والفدائي، وكذلك راحة الله. وكان وقتًا يتذكرون فيه كل ما صنعه الله لهم، ويعطونه المجد. لكن كانت الأهمية الأساسية لهذا العيد هو أنه بروفة للاحتفال بمجد الله في المستقبل لإسرائيل!

أعطى الله النبي زكريا رؤية عن المسيح الآتي، واسترداد إسرائيل وكل شيء: «يكون الرب ملكًا على كل الأرض. في ذلك اليوم يكون الرب وحده واسمه وحده» (زكريا ١٤: ٩). وتكلم الرسول بولس عن وقت في تاريخ البشرية: «لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء، ومن على الأرض، ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب، لمجد الله الآب» (فيلبي ٢: ١٠، ١١).

في سياق الاسترداد هذا يُعلن زكريا: «ويكون أن كل الباقي من جميع الأمم الذين جاءوا على أورشليم، يصعدون من سنة إلى سنة ليسجدوا للملك رب الجنود وليعيدوا عيد المظال» (زكريا ١٤: ١٦). قال الله لشعبه «وتفرح في عيدك... لأن الرب إلهك يباركك في كل محصولك وفي كل عمل يديك، فلا تكون إلا فرحًا» (التثنية ١٦: ١٤، ١٥). لكن كان زكريا بلا شك يشير إلى الفرح النهائي والكامل عندما تُستردَ كلُّ الأشياء إلى تصميم الله الأصلي، إذ يقول الكتاب: «هوذا مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم» (رؤيا ٢١: ٣).

وعد الله إسرائيل بمسكن دائم، وأن المسيح سوف يملك عليهم للأبد. ولكن يُعد ذلك أكثر من مجرد عيد يهودي. ويستطيع كل ابن لله قبل يسوع مخلصًا ومسيا آتٍ في المستقبل، أن يحتفل بمجيئه الثاني، وعندئذ يستطيع كل المفديين أن يقولوا:

«وسمعت صوتا عظيمًا من السماء قائلًا: «هوذا مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم، وهم يكونون له شعبًا، والله نفسه يكون معهم إلها لهم. وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم، والموت لا يكون في ما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد،» (رؤيا ٢١: ٣، ٤).

يعد هذا العيد عيدًا فريدًا من نوعه للمؤمنين؛ لأنه العيد الوحيد من الأعياد الثلاثة الذي لم يظهر فيه الله بعد على الأقل حتى الآن. جاء الله الابن حرفيًّا في جسد بشري للاحتفال بالفصح، وأصبح حرفيًّا هو حَمل الفصح. وجاء الله الروح حرفيًّا للاحتفال بعيد الخمسين؛ حتى يستطيع أن يعيش فينا. لكن الله لم يظهر بعد حرفيًّا للاحتفال بعيد العرش معنا. لكنه بلا شك سيفعل ذلك في مجيئه الثاني الذي أشار له يسوع في وجبة الفصح منذ ٢٠٠٠ سنة عندما قال: «إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديدًا في ملكوت أبي» (متى ٢٦: ٢٩). وعيد العرش أو المظال هو بكل تأكيد الوقت الذي يمكن أن نحتفل فيه بالمجيء الثاني المتوقع للمسيح.

تعد جميع الأعياد الثلاثة هي أوقات ممتازة لتعلُّم أساسيات الإيمان المسيحي وتعزيزه مع كنيستك أو عائلتك الخاصة. وبسبب الاهتمام المتجدد بالأعياد اليهودية الثلاثة، فقد أعدنا الاحتفال بهم كأعياد يهودية ومسيحية مع عائلات المؤمنين والكنائس. ويمكن أن تجد هذه الأعياد، وكل تفاصيل الاحتفال بها، في كتاب «الحق الثابت» (The Unshakable Truth). ويمكنك ببساطة الدخول على الإنترنت على الموقع التالي: (Josh.org/celebrations)، وتحميلها مجانا. ندعوك للاستفادة من هذه الأعياد حتى تغرس في قلب عائلتك الشعور بالامتنان تجاه ما فعله الله، والتطلع برجاء إلى ما سيفعله.

٦٤

ما هو الغرض الحقيقي للكتاب المقدس؟

يقول البعض إن الكتاب المقدس هو كتاب خاص بالمسيحية، يهدف إلى وضع مجموعة من القواعد والتعاليم التي تؤسس لهذه الديانة. ويَدَّعي آخرون أن الكتاب المقدس يعطينا خارطة طريق لكيفية الوصول إلى السماء. لكن لماذا أعطانا الله كتابَه المقدس؟ وما الذي أراد إيصاله لنا من خلاله؟ وكيف يكون ذلك مؤثرًا وفعَّالًا في حياتنا؟ الواقع أن الكتاب المقدس نفسَه يقدم إجاباتٍ عن هذه التساؤلات.

الهدف العقائدي

واحدٌ من أهم الأسباب التي جعلت الله يعطينا الكتاب المقدس هو تعليمنا ما ينبغي أن نؤمن به من معتقدات تشكل عقيدة صحيحة. وهذا يعني أن كلمة الله لها هدف وغرض عقائدي؛ لأنها تعطينا حقائق عقلية يمكن فهمُها بعقولِنا. وتعد هذه الحقائق معتقداتٍ عقائدية تشكل اللاهوت المسيحي.

يتجنب كثيرون التعامل مع فكرة «اللاهوت»، لكن اللاهوت في الواقع هو دراسة الله. لذلك فإننا جميعًا «لاهوتيون». ولدينا جميعًا أفكار عَمَّن هو الله، وماذا يُشبِه، لكننا نادرًا ما نفكر في ذلك باعتباره «لاهوتًا». لكن يُعد اللاهوت، ودون خجل، واحدًا من الأهداف الواضحة للكتاب المقدس؛ حيث يكشف لنا الله من خلاله عن ماهيته؛ لأنه يريدنا أن نعرف مَن هو، وكيف تختلف طرقُه عن طرقِنا، وكيف يرى الحياة على عكس ما نراها نحن.

العقيدة أيضًا تعد مهمة. ولأننا نستطيع أن نفهم الله عن طريق ما يكشفه لنا الكتاب المقدس عنه، نستطيع أيضًا أن نرى الحياة بالكامل من خلال عينيه، حينئذٍ نتمتع بما يُسمَّى «رؤية الكتاب المقدس»؛ وهي الرؤية الصحيحة التي تقدم لنا الحقيقة عن «كيفية تكوُّن العالم، وطبيعة البشر، وكيفية معرفة الصواب من الخطأ، وهكذا». وتعمل الحقائق العقائدية للكتاب المقدس بصفتها حدودًا، تجعلنا نتماشى مع المعتقدات الصحيحة، بالتالي نستطيع رؤية الحياة من منظور الله.

الهدف السلوكي

يعلمنا الكتاب المقدس أيضًا كيف نعيش؛ ذلك لأنه ملىء بالتعاليم والقوانيين والوصايا التي تتعلق بما يجب وما لا يجب فعلُه. لذلك يمكننا القولُ إن لكلمة الله هدفًا سلوكيًّا. عندما يقول الكتاب المقدس: «اتبع هذا الطريق» أو «تجنب تلك الأماكن» أو «امتنع عن هذه الأفعال» أو «اعتنق أفكارًا معينة»، فإنه يعلمنا كيف نعيش حياةً صحيحة.

هل سبق وتساءلت لماذا يُثمر فعل الصواب في كثير من الأحيان عن نتائج جيدة، بينما تقود الحياة الخاطئة غالبًا إلى عواقب سلبية؟ يحدث ذلك عمومًا لأن:

(١) الحقائق العقائدية للكتاب المقدس تقدم نظرة صحيحة عن الله وطرقه.

(٢) عندما نعتنق تفكيره ونعيش وفقًا له، نجني ثمارَ التقوى.

من ناحيةٍ أخرى، إن إيواء معتقداتٍ خاطئة عن الله وطرقه يُشوِّه قِيَمنا، ولا يجعل أفعالَنا صحيحة. وعلى الأرجح ستُصبح تداعيات ذلك الطبيعية أن نعاني من عواقب الحياة الخاطئة. يقول الكتاب: «لأن الرب يعطي حكمة. من فمه المعرفة والفهم. يذخر معونة للمستقيمين. هو مجن للسالكين بالكمال» (أمثال ٢: ٦، ٧). لذلك فأحد الأسباب الأخرى التي تدفع الله أن يعطينا كلمته هو أن نعيش الحق بطريقة صحيحة. بالتالي فإن عقائد الكتاب المقدس ووصاياه بمثابة حواجز حماية تهدينا إلى طريق البر.

الهدف العَلاقاتي

يقدم الكتاب المقدس الكثير من الوصايا. لكن الوصية العظمى التي قالها يسوع هي: «تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك. هذه هي الوصية الأولى والعظمى. والثانية مثلها: تحب قريبك كنفسك» (متى ٢٢: ٣٧- ٣٩).

ما كان يسوع يفعله هنا هو الارتباط الحيوي بين الحق (المعتقدات والتعاليم الكتابية)، والعَلاقات من ناحيةٍ أخرى. وقد فشل القادة الدينيون في زمن يسوع في استيعاب ذلك وعملِه.

بالطبع، تمتلئ الأسفار العِبرية بالارتباط بين الحق والعَلاقات، لكن أحيانًا ما نغفل ذلك. قال الملك داود في أحد مزاميره: «لأن رحمتك أمام عيني. وقد سلكت بحقك» (المزامير ٢٦: ٣). وصلي قائلًا أيضًا: «علمني يا رب طريقك. أسلك في حقك. وحد قلبي لخوف اسمك» (المزامير ٨٦: ١١). وقد فهِمَ كُتَّاب العهد القديم الحقَّ داخل سياق العَلاقات. وكان إعلان يسوع للوصية العظمى ببساطة إعادة صياغة للمعتقدات العقائدية والطاعة، واسترداد ذلك كله إلى مكانه الصحيح داخل سياق عَلاقتنا معه، بعد أن فُقِدت بسبب المتدينين في عصره. لقد أعلن يسوع عن وجود هدف عَلاقاتي لكلمة الله، وأوضح لنا أن التفكير الصحيح والحياة الصحيحة يجعلاننا داخل سياق العَلاقة الصحيحة. وإذا فشلنا في ذلك، سيُشوَّه بشدة تفكيرُنا، وكذا حياتُنا.

كان قصد الله من الخليقة المستقبلية أن يتمتع كل شخص بدائرة كاملة من عَلاقة المحبة، التي ينعم بها داخل الربوية. وكان الله يود الكشفَ عن نفسِه للبشر؛ حتى يتمكنوا من معرفته معرفة شخصية. وتعد هذه أقصى حقيقة عقائدية موجهة للبشر والكون. كما كان يود أيضًا من خليقته أن تعيش داخل حدود طريقه الوحيد الذي يمكن من خلاله الاستمتاع بكل الخير في عالم مثالي. كما أن ذلك يُعد أيضًا أقصى حق سلوكي يريده لنا. كان قصد الله أن يؤمن أولُ زوجين، آدم وحواء، بأنه كلي الصلاح، وأنه عندما أعطاهما وصية، أراد لهما الخير، ومصلحتهما. وكان قصدُه أن يفهما أنه يريدهما أن يقدما له الحبَّ الشديد، وأن وصيته لهما إنما داخل سياق الحق العَلاقاتي. لكنهما لم يفعلا ذلك. ولسوء الحظ، كان البشر يفتقدون السياق العَلاقاتي المتعلق بالحق الإلهي منذ ذلك الحين.

قد ندرس كلمة الله لمعرفة المعتقدات الصحيحة. وقد نطيعها من أجل السلوك الصحيح؛ لكن يجب أن لا ننسى السبب. يريد إله الكتاب المقدس منا أن نختبر محبته على مستوى العَلاقات، ومحبة أولئك الذين حولنا. وعندئذ يمكن أن نقول: أعطانا الله الكتاب المقدس؛ لأنه يريد أن يكون في عَلاقة معنا تتميز بالمحبة الحميمة؛ حتى نستمتع نحن بعَلاقات محبة حميمة مع بعضِنا البعض، بالتالي تمتد عَلاقاتُنا معًا، مِن ثَمَّ يمتد ملكوتُه إلى الأبد.

٦٥

هل العهد القديم موثق تاريخيًّا؟

بدأت كتابة العهد القديم منذ حوالي ٣٤٠٠ سنة. وبالطبع أيٌّ من المخطوطات الأصلية التي أوحى الله بكتابتها ليست موجودة اليوم، وتُسمَّى بالمخطوطات المُوقَّع عليها بخط اليد. وما نقرأه حاليًا هو نسخ مطبوعة مترجمة من نسخ قديمة مكتوبة بخط اليد، منقولة من نسخ أخرى أصلية. وذلك لأن الكتاب المقدس قد تألف ونُقِل في فترة ما قبل الطباعة. وكان لا بد من كتابة جميع المخطوطات بخط اليد. وبمرور الوقت، كان الحِبرُ يتلاشى، والمواد التي كُتِبت عليها المخطوطة تتدهور حالتُها. ولكي تُحفَظ وثيقة وتُنقَل للجيل التالي، كان يجب عمل نسخ جديدة طِبق الأصل من الأصلية، لكنها تُكتب أيضًا بالحبر الذي يبهت، على مواد تتعرض للتدهور بمرور الوقت.

لكنك قد تتساءل، ولديك في ذلك حق: ألا تُفسِح كتابةُ النسخ بخط اليد، المجالَ لأن تكون كُل عملية النقل خاطئة؟ كيف نعرف أن الناسخَ الذي يشعر بالإنهاك، ويعانى من عينين عليهما الكثير من الضباب بسبب قلة النوم والإرهاق، لم يغفل بعضَ الكلمات القليلة المهمة، أو ترك فقراتٍ كاملة من سفر التكوين مثلًا، أو أساء اقتباس بعض الآيات الأساسية من إشعياء؟ يقول النقاد إن «الكتاب المقدس عبارة عن مجموعة من الكتابات القديمة التي تشتمل على الكثير من الأخطاء والتشوهات».[lvii] لذلك كيف يمكن التأكُّد من أن الأسفار المتاحة لنا اليوم تعكس عملية نقل دقيقة من الأصول؟

لم يتركنا الله نتساءل. فقد أشرف بعمل معجزي على نقل الكتب المقدسة؛ للتأكُّد من نقلها بدقة، من جيلٍ إلى آخر.

---

lvii راجع السؤال رقم ٥٤. أليس الكتاب المقدس مليئًا بالأخطاء والتناقضات؟

عمل الكَتبة

إن إحدى الطرق التي ضمن الله بها نقل العهد القديم بدقة، هي اختيار أمَّة من الرجال والنساء، ودعوتهم، وتنميتهم، حتى يأخذوا كتاب الشريعة على محمل الجد. وقد أوصى الله الشعبَ اليهودي، وغرس فيهم التقديرَ الكبير للأسفار المقدسة. وقد أصبح هذا الموقف جزءًا من الهوية اليهودية، وقد دُعا بعضُ الأساتذة كُتَّاب هذه الأسفار «بالكتبة اليهود» (Sopherim) وهي الكلمة المأخوذة من العِبرية وتعني «كتبة». وقد ظهرت فيما بين القرن الخامس والثالث. وقد كرَّس الأمناءُ على الأسفار المقدسة العِبرية أنفسَهم للاحتفاظ بعناية بالمخطوطات القديمة، وإنتاج نسخ جديدة عند الضرورة.

كان كتبة التلمود يغطون على شهرة الكتبة اليهود (Sopherim) الذين كانوا يحرسون ويفسرون ويعلقون على النصوص المقدسة من حوالي سنة ١٠٠ إلى ٥٠٠ ميلاديًّا. وقد تبع كتبة التلمود كتبة النَّص القياسي (الماسورتي) المعروفين (من حوالي سنة ٥٠٠ إلى ٩٠٠ ميلاديًّا).

على سبيل المثال، وضع كتبة التلمود ضوابط مفصلة وصارمة لنَسخ أية مخطوطة. وكانت قواعدُهم صارمة، حتى إنهم كانوا يعطونها عند اكتمال نسخة جديدة، سلطة مساوية للنسخة الأصلية؛ لأنهم كانوا مقتنعين تمامًا بأن لديهم نسخة طبق الأصل.

لقد اختار الله بعناية فائقة هذه الفئة من الناس؛ لحفظ نَص العهد القديم لعدة قرون. وكان الكاتب يبدأ يومَه في النسخ، بحسب الرسميات، بغسل جسده بالكامل. ثم يرتدي الزيَّ اليهوديَ الكاملَ قبل الجلوس على مكتبه. وأثناء الكتابة إذا مرَّ عليه الاسمُ العِبري لله، لا يمكن أن يبدأ في كتابتِه بقلم ريشة مغموس حديثًا في الحِبر؛ خوفًا من تلطيخ الصفحة. وبمجرد أن يبدأ في كتابة الاسم، لا يمكن أن يتوقف، أو يسمح لنفسِه أبدًا بالتشتيت؛ حتى إن دخلَ الحجرة ملكٌ، كان الكاتب مُلزَمًا بأن يستمر في الكتابة بدون تشويش، حتى ينتهي من كتابة الاسم القدوس للإله الواحد الحقيقي.

كما كانت مبادئ التلمود التوجيهية لنَسخ المخطوطات تتطلب أيضًا ما يلي:

- كانت المخطوطة، حسب الرسميات، يجب أن تُصنع من جلد حيوان نظيف.
- يجب أن يحتوى كل جلد على عدد محدد من الأعمدة، متساوٍ في جميع أنحاء الكتاب بالكامل.
- يجب أن يمتد طول كل عمود بما لا يقل عن ٤٨ سطرًا، وما لا يزيد عن ٦٠ سطرًا.
- يجب أن يتكون عرض العمود من ٣٠ حرفًا بالضبط.
- يجب أن تظهر مساحة الخيط بين كل حرف ساكن.
- يجب أن تُدرَج مساحة تسعة أحرف ساكنة بين كل قسم.
- يجب ترك مسافة من ثلاثة خطوط بين كل سفر.
- يجب كتابة السفر الخامس من أسفار موسى (التثنية) بالضبط في خط كامل.
- لا يمكن نسخ أي شيء، ولا حتى أقصر كلمة، من الذاكرة؛ يجب أن يُنسخ كلُّ شيء حرفًا حرفًا.
- يجب أن يُحصي الكتبة عددَ الحروف الأبجدية في كل سفر ومقارنتها بالأصل.[٤٣]

تأكيد مصداقية النص

مع ذلك، حتى منتصف القرن العشرين، لم تكن لدينا وسيلة لمعرفة مدى روعة عملية حفظ العهد القديم. وكما قلنا في السؤال ٥٤، فقبل عام ١٩٤٧، كانت أقدم المخطوطات العِبرية الكاملة ترجع إلى سنة ٩٠٠ ميلاديًّا، ولكن بعد اكتشاف ٢٢٣ مخطوطة في كهوف الجانب الغربي من البحر الميت، أصبحت بحوزتنا مخطوطات للعهد القديم. وقال علماء الكتابات القديمة إن تاريخها يرجع إلى عام ١٢٥ قبل الميلاد. وتعد مخطوطات البحر الميت كما أطلقوا عليها أقدم من أي مخطوطات معروفة سابقًا على الأقل بألف سنة.

لكن فيما يلي الجزء المثير: بمجرد مقارنة مخطوطات البحر الميت مع النسخ الحديثة، ثبت أن الكتاب المقدس العِبري الحديث يتطابق مع هذه المخطوطات حرفيًّا بنسبة أكثر من ٩٥٪ من النَّص. وكانت نسبة الـ٥٪ الأخرى عبارة عن اختلافات إملائية في الأساس. على سبيل المثال، كان ١٧ حرفًا من ١٦٦ كلمة في إشعياء ٥٣، موضع مناقشة. ومن بين هذه الأحرف، عشرة حروف ترجع إلى تغييرات هجائية، وأربعة تعود إلى تغييرات في الأسلوب، والأحرف الثلاثة الباقية هي كلمة «نور» التي أضيفت في الآية ١١.[٤٤]

بعبارةٍ أخرى، أظهر أعظم اكتشاف للمخطوطات في كل العصور أن ألفَ سنةٍ من نسخ العهد القديم لم تُثمر سوى عن اختلافات طفيفة جدًّا جدًّا، ولم يُغير أيٌّ من هذه الاختلافات المعنى الواضح للنص، أو جعل سلامة المخطوطات الأساسية موضع مناقشة. سيستمر النقادُ في ترديد تصريحاتِهم بتناقض الأدلة. ومع ذلك، تؤكد الأدلة الهائلة بأن الله حفظ كلمته، ونقلها بدقة، على مر القرون، حتى عندما تُمسك العهدَ القديم اليومَ، يمكنك أن تكون على تمام الثقة أن معك وثيقة كاملة المصداقية، ومحفوظة بحالةٍ جيدة.[lviii]

---

lviii لمزيد من المعالجة الشاملة لمصداقية العهد القديم، راجع كتاب "برهان جديد يتطلب قرارًا" الفصل الرابع، المشار إليه في الملاحظات

٦٦

هل العهد الجديد موثق تاريخيًّا؟

هل يمكنك التأكُّد من أن العهد الجديد الذي تقرأه هو ما أوحي الله فعلًا بكتابته إلى متى أو مرقس أو يوحنا أو بولس أو بطرس؟ تذكر أنه كُتِب تقريبًا منذ حوالي ٢٠٠٠ سنة. وبالطبع ليست لدينا المخطوطات الأصلية المكتوبة بخط اليد، لذلك كيف يمكن التأكُّد أن النسخ القديمة التي بين أيدينا اليوم لم يحدث بها تلاعب، أو تشويه مِمَن قد يكونون أضافوا أفكارَهم الخاصة؟ بعبارةٍ أخرى، كيف يمكننا التأكد أن العهد الجديد الموجود حاليًا موثوقٌ به، وينقل ما أوحي به الله إلى كُتَّابه؟

كثرة المخطوطات

نسخ العديد من الكتبة الخبراء بالعِبرية مخطوطات العهد القديم.[lix] لكن ذلك لم يحدث مع العهد الجديد لعدة أسباب: (١) لم يؤيد القادة اليهود الرسميون المسيحية. (٢) لم يكن معروفًا أن الرسائل التي نشرها كُتَّاب العهد الجديد، وتواريخُها، هي الكتاب المقدس الرسمي. (٣) لم تُكتَب هذه الوثائقُ باللغة العِبرية، بل كتبت باليونانية والآرامية. لذلك لم تُتَّبع الضوابط الرسمية لنسخ مخطوطات العقد القديم، في نقل ونَسخ هذه الكتابات من جيلٍ لآخر. وفي حالة العهد الجديد، فعل الله شيئًا جديدًا ليضمن أن كلمته ستُحفظ بدقة لنا ولأطفالنا.

يُقيِّم المؤرخون مصداقية نصوص الأدب القديم وفقًا لمعيارين هما: (١) الفاصل الزمني بين النسخة الأصلية، وأقرب النسخ. (٢) عدد نسخ المخطوطات المتوفرة.

على سبيل المثال، نقتبس تقريبًا كلَّ شيء نعرفه اليوم عن مآثر يوليوس قيصر في حروب الغال (التي وقعت من سنة ٥٨ إلى ٥١ قبل الميلاد) من عشر مخطوطات، تتناول عمل يوليوس قيصر المعروف «بحروب الغال». ويرجع تاريخ أول هذه النسخ إلى أقل قليلًا من ألف سنة، من وقت كتابة النَّص الأصلي. ويعتمد النَّص الحديث لتاريخ روما، الذي كتبه «ليفي»، على مخطوطة واحدة جزئية، وتسع عشرة نسخة، يرجع تاريخُها إلى من ٤٠٠ إلى ١٠٠٠ سنة، بعد تاريخ الكتابة الأصلية (انظر الجدول التالي).[٤٥]

---

lix راجع السؤال رقم ٦٥. هل العهد القديم موثق تاريخيًّا؟

معايير مصداقية النصوص المطبقة على الأدب الكلاسيكي القديم

المؤلف	الكتاب	تاريخ الكتابة	أقدم النسخ الموجودة	الفترة بين تاريخ التأليف وتدوين أقدم نسخة	عدد النسخ
هوميروس	الإلياذة	٨٠٠ ق. م	حوالي ٤٠٠ ق. م	حوالي ٤٠٠ سنة	٦٤٣
هيرودوت	تاريخ	٤٨٠- ٤٢٥ ق. م	حوالي ٩٠٠ م	حوالي ١٣٥٠ سنة	٨
ثوسيديدس	تاريخ	٤٦٠-٤٠٠ ق. م	حوالي ٩٠٠ م	حوالي ١٣٠٠ سنة	٨
أفلاطون		٤٠٠ ق. م	حوالي ٩٠٠ م	حوالي ١٣٠٠ سنة	٧
ديموستيني		٣٠٠ ق. م	حوالي ١١٠٠ م	حوالي ١٤٠٠ سنة	٢٠٠
قيصر	حروب الغال	١٠٠- ٤٤ ق. م	حوالي ٩٠٠ م	حوالي ١٠٠٠ سنة	١٠
ليفي	تاريخ روما	٥٩ ق. م- ١٧ م	حوالي ٣٠٠ م حوالي ٩٠٠ م	حوالي ٤٠٠ سنة حوالي ١٠٠٠ سنة	١ مخطوطة جزئية ١٩
تاسيتس	الحوليات	١٠٠ م	حوالي ١١٠٠ م	حوالي ١٠٠٠ سنة	٢٠
بليني الصغير	التاريخ الطبيعي	٦١ م - ١١٣ م	حوالي ٨٥٠ م	حوالي ٧٥٠ سنة	٧

بمقارنة النصوص، نجد أن نَص الإلياذة الذي كتبه هوميروس هو الأكثر مصداقية؛ حيث توجد حوالي ٦٤٣ مخطوطة موجودة حاليًا، وفجوة الوقت بين تاريخ تأليفها وأقرب هذه النسخ، ٤٠٠ سنة.

وتُعد الأدلة النَّصية لكلٍّ من ليفي وهوميروس أكثرَ من كافية للمؤرخين عند استخدامها للتحقق من صحة النسخ الأصلية، ولكن هذه الأدلة تتضاءل عند المقارنة مع ما فعله الله في حالة نص العهد الجديد.

العهد الجديد لا يضاهيه شيء

باستخدام هذا المعيار المقبول في تقييم مصداقية نصوص الكتابات القديمة، نجد أن العهد الجديد متفرد ولا يضاهيه أو يساويه شيء. لا يوجد أي كتاب آخر في العالم القديم يمكن أن يقترب من مصداقية نصوصه. (راجع «معايير مصداقية النصوص المطبَّقة على الكتاب المقدس»).[٤٦]

يوجد ما يقرب من ٢٥٠٠٠ مخطوطة أو أجزاء من مخطوطات للعهد الجديد في مكتبات العالم وجامعاتِه. وأقرب المخطوطات المكتشفة حتى الآن هي جزء

من إنجيل يوحنا، وموجودة في مكتبة جون رايلاندز بجامعة مانشستر بإنجلترا. ويرجع تاريخُها إلى ٥٠ سنة من كتابة الرسول يوحنا الأصلية.[٤٧]

معايير مصداقية النصوص المطبقة على الكتاب المقدس

المؤلف	السفر	أقدم النسخ الموجودة	الفترة بين تاريخ التأليف وتدوين أقدم نسخة	عدد النسخ
يوحنا	يوحنا	١٣٠ م	أكثر من ٥٠ سنة	أجزاء من مخطوطات
بقية كُتَّاب العهد الجديد	باقي أسفار العهد الجديد	٢٠٠ م (أسفار)	١٠٠ سنة	
		٢٥٠ م (معظم العهد الجديد)	١٥٠ سنة	
		٣٢٥ م (العهد الجديد بالكامل)	٢٢٥ سنة	أكثر من ٥٦٠٠ مخطوطة يونانية
		٣٦٦- ٣٨٤ م (ترجمة فولجاتا اللاتينية)	٢٨٤ سنة	
		٤٠٠- ٥٠٠ م (ترجمات أخرى)	٤٠٠ سنة	أكثر من ١٩٠٠٠ مخطوطة مترجمة
		الإجمالي	من ٥٠- ٤٠٠ سنة	أكثر من ٢٤٩٠٠ مخطوطة

يمكننا الثقة بأن العهد الجديد قد نُقلَ، عبر القرون، بدقة وإتقان. بعبارةٍ أخرى، يمكننا التأكد أن ما كُتِب في البداية هو ما بين أيدينا اليوم.

لكن السؤالَ الأساسي الذي يطرح نفسَه هو: هل سُجِّلت كلماتُ الله بالضبط كما كان يريد؟ عندما كان هؤلاء الكُتَّاب الذين أوحي الله لهم بالكلمة يسجلون أحداثًا تاريخية، هل كانوا قريبين زمنيًّا من تلك الأحداث، وبالتالي نثق في دقة ما كتبوه؟

لا تلتزم العديد من الكتابات القديمة سوى بحقائق فضفاضة عن الأحداث التي سجلتها. على سبيل المثال، كَتبَ بعضُ مؤلفي العالم القديم الذين يحظون بتقدير كبير، عن أحداث وقعت قبل ولادتهم بسنوات عديدة، وفي بلدانٍ لم يزوروها قط. وعلى الرغم أن رواياتهم قد تكون واقعية لحدٍّ كبير، يعترف المؤرخون أن المصداقية الأكبر ينبغي أن يتمتع بها الكُتَّاب القريبون جغرفيًّا وزمنيًّا من الأحداث التي ينقلونها.

ومع أخذ ذلك في الاعتبار، انظر إلى الرعاية المُحِبة التي قدَّمها الله عندما أوحى بكتابة العهد الجديد. وتؤكد الأعمالُ الأكاديمية التي لها ثقل هائل أن

روايات حياة يسوع، وتاريخ الكنيسة الأولى، والرسائل التي تشكل الجزء الأكبر من العهد الجديد، كتبها رجالٌ إمَّا شهود عيان على الأحداث التي سجلوها، أو معاصرين لشهود العيان. وقد اختار الله متى ومرقس ويوحنا لكتابة ثلاثة أناجيل من أربعة. واستطاع هؤلاء الرجالُ قولَ أشياء مثل: «الذي عاين شهد، وشهادته حق، وهو يعلم أنه يقول الحق،» (يوحنا ١٩: ٣٥). وقد تكلم الله على لسان لوقا الطبيب؛ حتى يسجل الإنجيل الثالث وأعمال الرسل. وقال لوقا الذي كان يكتب بتدقيق وعناية: «كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدامًا للكلمة،» (لوقا ١: ٢).

كان يمكن لله أن يتكلم من خلال أي شخص من أي مكان لكتابة كلماته عن المسيح؛ لكن ليعطينا مزيدًا من الثقة في الحق الكتابي، كان يعمل من خلال شهود عيان مثل يوحنا الذي قال: «الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به،» (١ يوحنا ١: ٣). وقد عمل أيضًا من خلال بطرس الذي أعلن: «لأننا لم نتبع خرافات مصنعة، إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، بل قد كنا معاينين عظمته» (٢ بطرس ١: ١٦). ومَن هو الكاتب الأكثر إنتاجًا الذي اختاره الله؟ كان الرسول بولس الذي جعله تحوُّلُه المثير، من مُضطهِد المسيحيين، إلى زارع كنائس، الشاهدَ الأكثرَ مصداقيةٍ للجميع!

لكن الله لم يتوقف عند هذا الحد. لكن الذين نقل من خلالهم الكلمة المُوحَى بها كانوا أيضًا رسلًا؛ حيث اعتمدوا على أنهم شهود للعيان، وعلى خبراتهم، واستطاعوا الوصول إلى المعرفة المباشرة من المعاصرين لهم، بما في ذلك الأعداء الأكثر تعصبًا وعنفًا (راجع أعمال ٢: ٣٢؛ ٣: ١٥؛ ١٣: ٣١؛ ١كورنثوس ١٥: ٣- ٨). لم يقولوا: «انظر شاهدنا هذا» أو «سمعنا ذلك»، لكنهم كانوا واثقين للغاية مما كتبوه؛ حيث قالوا في الواقع: «تحققوا من ذلك» و«اسأل حولك» و»كما تعلم أنت أيضًا جيدًا».

تشير الأدلة الكثيرة الموجودة إلى أن الله كان انتقائيًّا جدًّا بشأن الأشخاص الذين اختارهم لتسجيل كلمته؛ حيث كانت لهم في أغلب الأحيان معرفة مباشرة بالأحداث الرئيسة، وكانوا قنواتٍ ذات مصداقية تامة لتسجيل ونقل الحقائق التي يريدنا الله أن نعرفها. لذا يمكنك الثقة عند قراءة العهد الجديد، وأيضًا بقية الكتاب المقدس، بأن كلمة الله المُوحَى بها نُقِلت بمصداقية.[lx]

---

lx لمزيد من المعالجة الشاملة لمصداقية العهد الجديد، راجع كتاب «برهان جديد يتطلب قرارًا»، الفصل الثالث، المشار إليه في المراجع

٦٧

ما الفرق بين الكتاب المقدس في المسيحية واليهودية؟

يحتوي الكتاب المقدس على كلٍّ من العهدين القديم والجديد. ويقول البعض إن الكتاب اليهودي هو الكتاب المسيحي بدون العهد الجديد! فهل هذا صحيح؟ ما هو الكتاب المقدس اليهودي أو العِبري؟ وكيف يختلف عن الكتاب المقدس المسيحي؟

يُشار إلى الكتاب المقدس غالبًا بالتوراة. وتشير التوراة بالمعنى الضيق إلى الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس. وبمعنى أوسع، تُشير التوراة إلى كل الشريعة والتقاليد اليهودية.

لا يضع اليهود المعاصرون في اعتبارِهم العهدَ القديم، حيث يُطلِق الشعبُ اليهودي على ما يشير إليه المسيحيون بأنه العهد القديم، «التوراة المكتوبة» أو تناخ «Tanakh». وغالبًا ما يُشير المسيحيون إلى التوراة المكتوبة على أنها «الكتاب المقدس العِبري». ويحتوي الكتابُ المقدس العِبري على النَّص نفسِه الموجود في العهد القديم، لكن مع ترتيب مختلف اختلافًا طفيفًا. وينتهي الكتاب المقدس العِبري بالأسفار التاريخية، وهي عزرا ونحميا وأخبار الأيام؛ في حين ينتهي العهد القديم المسيحي بنبوءات حجي وزكريا وملاخي.

قرأ يسوع وعلَّم من التوراة المكتوبة أو الكتاب المقدس العِبري. لكن في ذلك الوقت، كان قادة الدين اليهودي يقتبسون أيضًا من التوراة الشفهية. وكان الفريسيون يعتقدون أنها تحتوي على تعاليمَ غير مكتوبة أعطاها الله لموسى؛ لمساعدة شعبه؛ حتى يفهم الشرائع واللوائح، وكيفية تفسيرها وتطبيقها. وقد انتقلت هذه التقاليد شفهيًّا من جيلٍ إلى آخر.

كان الفريسيون يُعلِّمون بأن التوراة الشفهية لها سلطان التوراة المكتوبة نفسُه. وفي مرقس ٧، حدثت مواجهة بين الرب يسوع والفريسيين بشأن التوراة

المكتوبة. وقال يسوع: «لأنكم تركتم وصية الله وتتمسكون بتقليد الناس... حسنا رفضتم وصية الله لتحفظوا تقليدكم!» (مرقس ٧: ٨، ٩). لم يَدِن يسوعُ بالضرورة جميعَ جوانب الشريعة الشفهية، لكنه أوضح أن الكتاب المقدس الذي أوحى به الله (الشريعة المكتوبة) قد أعطى سياقًا للشريعة الشفهية، وقد حلَّ محلها.

كُتِبت التوراة الشفهية، في سنة ٢٠٠ ميلاديًّا، في وثيقة تُسمَّى «المشنا». وكان رجال الدين اليهودي يُضيفون باستمرار شروحات وتعليقات إضافية إلى التوراة الشفهية أو المشنا. وقد عُرِفت هذه الشروحات والتعليقات«بالجمارا». ودُوِّنت واكتملت في ٥٠٠ ميلاديًّا. وأصبحت الجمارا والمنشا معًا يُعرفان «بالتلمود». ويُعالِج التلمود على نطاق واسع مواضيعَ متنوعة مثل الشرائع الزراعية والمالية، وقضايا الزواج والطلاق، والعقود والشرائع التي تتعامل مع الطهارة والنجاسة والذبائح والمعبد. ويحتوي التلمود اليوم على أكثر من ٦٠٠٠ ورقة مطوية ومرجعًا، ويُقر بفضل أكثر من ٢٠٠٠ عالم ومُعلم.

هكذا يُعَد الكتاب المقدس اليهودي أكثرَ تعقيدًا واتساعًا من الكتاب المقدس المسيحي. لكن إن ضيَّقت التركيزَ في الكتاب المقدس اليهودي على مجرد التوراة المكتوبة، سيُعادِل العهدُ القديم الحالي الكتابَ المقدس العِبري عند اليهود.

٦٨

ما الفرق بين الكتاب المقدس والقرآن؟

تُعد المسيحية والإسلام، على حدٍّ سواء، دياناتٍ تؤمن بإله وخالق قدير واحد. ويُعلِّم كتابُ المسلمين المقدس المعروف «بالقرآن» عن الخليقة ووجود الملائكة، وأن يسوع نبيٌّ من الله بلا خطية، ومولود من عذراء، كما يؤكد وجود جنة ونار ويوم للقيامة. لكن في ظل كل هذه التشابهات الموجودة، ما الفرق أو الفروقات بين الكتاب المقدس والقرآن؟

يؤمن المسلمون أن القرآن وحيٌ من الله، نُقِل شفهيًّا من خلال الملاك جبريل إلى محمدٍ، عندما كان في الأربعين من عمره (٦١٠ م)؛ كما يؤكدون أن محمدًا قد استلم هذه الرسائلَ التي كان يحفظها بدقة على مدار ٢٣ سنة. وبعد موته بفترة قصيرة (٦٣٢ م)، جُمِع القرآن في كتاب واحد؛ وهو مقسَّم حاليًا إلى ١١٤ سورة، وفي حجم العهد الجديد المسيحي. ويرى المسلمون أن القرآن كُتِب في النَّص العَربي الأصلي؛ ليكون كلامَ الله الحرفي؛ ويعتقدون أنه يقدم مشورة إلهية لكل البشرية؛ ويرددون أن محمدًا هو أخر الأنبياء الذين أرسلهم الله، وقد خَلفَ المسيحَ، ونسخ كلامه، وأن القرآن هو وحيُ الله الأخير لجميع البشر.

القرآن والله

إن السِّمة المميِّزة للإسلام والقرآن هي التوحيد بالله تعالى. ولكي يصير المَرءُ مسلمًا، يجب أن ينطق بالشهادة: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.» لكن إله القرآن ليس هو إله الكتاب المقدس!

يُصور القرآنُ اللهَ بأنه أبدي وكلي القدرة والمعرفة وقدوس وعادل ومحب ورحيم. ومع ذلك، على عكس الكتاب المقدس، يَدَّعي القرآنُ أن هذه السمات تتعلق بإرادة الله، وليس طبيعته؛ أي إن الله صالح؛ لأنه يعمل الصلاح، ولكن هذا الصلاح ليس في جوهر شخصيته. وعلى الناحية الأخرى، يعلمنا الكتاب المقدس أن الله صالح؛ لأن طبيعته وشخصيته هي القداسة والعدل والحق.[lxi]

---

lxi راجع السؤال رقم ١١. مَن هو الله؟

يُعلِّم القرآنُ أيضًا بأن يسوع ليس ابنَ الله، وأنه لم يمت على الصليب لأجل خطايانا، ولم يَقُم جسدُه من بين الأموات والقبر بعد أيام ثلاثة. فضلًا عن ذلك، يُعلِّم أيضًا عن وجهة النظر الموحدة لله، وليس وجهة نظر الثالوث التي يقدمها الكتاب المقدس. ويعد الإيمان بوجود أكثر من شخص (أقنوم) في الربوبية «وثنية» بالنسبة للمسلم.

العقائد الست الأساسية في القرآن

يتبنى القرآن ستَ عقائدَ إسلامية أساسية:

١- لا إله إلا الله.

٢- يوجد العديد من أنبياء الله بما في ذلك إبراهيم وموسى وعيسى (يسوع) ومحمد.

٣- خلق الله الملائكة (الجن)، البعض منهم أخيار، والبعض الآخر أشرار.

٤- القرآن هو وحي الله الكامل والأخير.

٥- يوم القيامة سوف يأتي على الجميع، والمؤمنون سوف يدخلون الجنة (السماء)، والكفار سوف يدخلون النار (جهنم).

٦- الله كلي المعرفة ويمارس الأقدار (القدر) على كل ما يحدث في الحياة.

القرآن والخلاص

يشرح القرآن الخلاص- مكان في الجنة بعد الموت- بأنه يستند على غفران الله: «وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم» (سورة المائدة ٩). ويستند رجاء الحياة بعد الموت بالنسبة للمسلم على ما إذا كانت حسناتُه سوف تفوق السيئات،[lxii] وأن يكون الله رحيمًا به.[٤٨] لكن ما يميز الكتابَ المقدس عن القرآن هو أن الإنسان يتبرر مع الله وينال الحياة الأبدية.

---

lxii يتبنى معظم المسيحيين المتدينين اليوم هذا الاعتقاد بأن أعمالنا الصالحة هي المهمة بالفعل لله. وأظهرت إحدى الدراسات بين المسيحيين المتدينين في أمريكا الشمالية بأن ٨١٪ منهم قالوا إن جوهر الإيمان المسيحي هو «الجهاد بشدة لاتباع الوصايا الواردة بالكتاب المقدس».

يُعلِّم العهدُ الجديد (الذي يختلف معه المسلمون) بأن:

- «أجرة الخطية هي موت، وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا» (رومية ٦: ٢٣).
- «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يوحنا ٣: ١٦).
- «عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى، بفضة أو ذهب... بل بدم كريم، كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح... أنتم الذين به تؤمنون بالله الذي أقامه من الأموات» (١ بطرس ١: ١٨، ١٩، ٢١).
- «لأنكم بالنعمة مخلصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله» (أفسس ٢: ٨).

تتمثل الاختلافات الجوهرية بين القرآن والكتاب المقدس، في وحي الكتاب المقدس بشأن

(١) مَن هو الله (شخصيته وطبيعته المقدسة والعادلة).

(٢) كيف يتعامل مع الخطية ويعالجها (خطته للخلاص من خلال كفارة المسيح).

(٣) كيف يتمتع البشر بعَلاقة معه (ويكونون أولاده بالنعمة من خلال الإيمان بالمسيح).

٦٩

ما الفرق بين الكتاب المقدس في المسيحية وكتاب المورمون؟

يُعد مصطلح المورمون تسمية مشتركة لأعضاء كنيسة «قديسي الأيام الأخيرة» (Latter-day Saints)، الذين يقع مقرهم في سالت ليك سيتي بولاية يوتا (Salt Lake City, Utah). وقصتُهم تعود لعام ١٨٢٧م، حين ادَّعى جوزيف سميث، مؤسس المورمونية، بأن «أحد الملائكة، ويُدعى موروني، قد أخبره عن مجموعة من اللوحات الذهبية المدفونة في تل بمدينة نيويورك». وقد قيل إن هذه اللوحات منقوش عليها كتابات قديمة. وقال سميث إنه «كشف عن هذه اللوحات، وترجمها ونشرها في (كتاب المورمون) عام ١٨٣٠». لذلك كيف يختلف كتاب المورمون عن الكتاب المقدس المسيحي؟

لا تبني كنيسة «قديسي الأيام الأخيرة» معتقداتِها على «كتاب المورمون» فحسب، بل ادَّعى جوزيف سميث أيضًا أنه تقابل مع يسوع الذي كشف له عن أشياء كثيرة. وقد نشر ذلك في كتاب «مبادئ وعهود». ويسجل الكتاب الثالث بعنوان «لؤلؤة كثيرة الثمن» روايات تقابُل سميث مع يسوع، وقصة اكتشاف اللوحات الذهبية. وتُشكل هذه الوثائق الثلاث، جنبًا إلى جنب مع الكتاب المقدس، أساس المعتقدات والاكتشافات المستمرة «لقديسي الأيام الأخيرة». ومع ذلك، يرى قديسو الأيام الأخيرة رسميًّا أن «كتاب المورمون» هو الكتاب المقدس الأكثر صحة. ومنذ وفاة جوزيف سميث في عام ١٨٤٤، استُكمِلت هذه الوثائق بوحيٍ آخر، قالت كنيسة «قديسي الأيام الأخيرة»، إن «الله قد أعطاه إلى قادتها!».

كُتِب «كتاب المورمون» بالأسلوب التاريخي لنسخة الملك جيمس من الكتاب المقدس، ويحكي عن اثنتين من الحضارات القديمة التي يُفترض أنها هاجرت إلى القارة الأمريكية. ويقول الكتاب إن «المجموعة الأولى من اللاجئين من

برج بابل، والثانية جاءت من أورشليم حوالي عام ٦٠٠ قبل الميلاد. وقد تعرضت المجموعة الأولى في النهاية إلى الدمار بسبب فسادهم، في حين شكَّلت المجموعة الثانية، بقيادة رجل يُدعى (نيفي)، الشعبَ اليهودي الذي يخاف الله، وقد ازدهر نتيجة ذلك. ومع ذلك، توقف البعضُ عن عبادة الإله الحقيقي، وحلَّت عليهم لعنة (الجلد الأسود)، وقيل إنهم الأمريكيون الأصليون الذين كان يُطلق عليهم سابقًا (الهنود)».

يَدَّعي كتاب المورمون أن «يسوع زار، بعد قيامته، أمريكا، وأظهر نفسه لأتباع نيفي. وفي النهاية، تعرضت هذه المجموعة إلى التدمير على يد (الهنود) حوالي سنة ٤٢٨ ميلاديًّا!». وقد كُتِب هذا التاريخ على لوحات من ذهب، قال جوزيف سميث إنه «وجدها، وترجمها إلى كتاب المورمون».

تعاليم الكتب المقدسة للمورمونية

يعتقد المورمون أن الكتاب المقدس صحيح «مدام أنه تُرجِم ترجمة صحيحة». لكنهم يقبلون أيضًا كتبهم الثلاثة باعتبارها «وحيًا من الله». فضلًا عن ذلك، يؤمن المورمون أن «قادة كنيستهم لا يزالون يتلقون رسائلَ مُوحَى بها من الله. لذلك، ومن حيث الجوهر، يَنسخ (الوحي الجديد من الله)، الوحيَ السابق».

يشكل «كتاب المورمون»، وكتاب «المبادئ والعهود»، وكتاب «اللؤلؤة كثيرة الثمن»، والوحي المستمر الذي يتلقاه قادة كنيسة «قديسي الأيام الأخيرة»، اللاهوتَ والتعاليمَ المورمونية. وتُقدِّم كنيسة «قديسي الأيام الأخيرة»، نفسَها وأعضاءها، كمؤسسة، تُعتبر جزءًا من الإيمان المسيحي. وهم يعتقدون في الواقع أنهم «الكنيسة الحقيقية الوحيدة». وتؤكد كنيسة «قديسي الأيام الأخيرة» على «صحة الأسرة والقيم الأخلاقية المستمدة من الكتاب المقدس». وتقدم الكنيسة برامج رعاية واسعة لأعضائها، وتقوم بعملية كرازية حول العالم. ويَخلق ذلك صورة إيجابية تجذب أعدادًا كبيرة من الناس إليها. ومع ذلك، يختلف لاهوت المورمون عن تعاليم المسيحية التي يقدمها العهد القديم والجديد.

على سبيل المثال، تقدم كنيسة «قديسي الأيام الأخيرة» التعاليمَ التالية:

• توجد ثلاثة آلهة منفصلة هي الآب والابن والروح القدس، وليس إلهٌ واحد يظهر في ثلاثة أقانيم كما يعلمنا الكتاب المقدس (راجع متى ٢٨: ١٩).

• كان الله الآب إنسانًا، وله حاليًا جسمٌ من لحمٍ وعظم، لا من روح (كما قال يسوع في يوحنا ٤: ٢٤).

• سوف يتطور البشر ليُصبحوا آلهة. يقول كتاب المورمون: «كما هو الإنسان، هكذا كان الله؛ وكما هو الله الآن، هكذا يمكن أن يُصبح الإنسان». ويعلم الكتاب المقدس بأننا «سنتغير إلى صورة المسيح، ولكننا لن نتطور إلى آلهة» (راجع أفسس ٤: ٢٣، ٢٤).

• تعد الأعمال هي أساس الخلاص، وتحدد المركز والمكانة التي سوف نتمتع بها في السماء، وليس التبرير بالنعمة من خلال الإيمان بيسوع (راجع أفسس ٢: ٨؛ رومية ٣: ٢٧، ٢٨).

• الكتاب المقدس ليس هو الوحي الأخير، بل إن قادة كنيسة «قديسي الأيام الأخيرة» يتلقون ظهوراتٍ مستمرة من الوحي، تعادل الموجودة في العهد القديم والجديد، وتنسخها أيضًا! لكن الكتاب المقدس يُعلِّم بأن الأسفار المقدسة هي وحيٌ من الله (راجع ٢ تيموثاوس ٣: ١٦، ١٧).[lxiii]

خلاصة القول، يختلف كتاب المورمون، والكتابات الأخرى لكنيسة «قديسي الأيام الأخيرة»، اختلافًا كبيرًا عن الكتاب المقدس المسيحي.

---

lxiii راجع السؤال رقم ٥٢. ماذا يعني أن الكتاب المقدس مُوحَى به؟

٧٠

كيف يختلف الكتاب المقدس للروم الكاثوليك عن نظيره لدى البروتستانت؟

يشمل التقليد المسيحي: الروم الكاثوليك، والأرثوذكس، والتقاليد البروتستانتية. توجد اختلافاتٌ كبيرة في لاهوت الروم الكاثوليك والبروتستانت، لكن هل توجد اختلافات بين كتبهما المقدسة؟

يَزيد الكتاب المقدس للروم الكاثوليك بحوالي ١٤ سفرًا في العهد القديم عن مثيليه لدى البروتستانت. وبخلاف ذلك، تضم الكتب المقدسة للروم الكاثوليك والبروتستانت الأسفارَ نفسَها، على الرغم أن المجموعتين قد تترجمان بعضَ النصوص بشكل مختلف عن بعضهما. بالتالي ما هي الأسفار الأربعة عشر المختلفة؟ ولماذا يقبلهم الروم الكاثوليك ولا يقبلهم البروتستانت؟

لم تُكتَب الأسفارُ الأخيرة العِبرية من العهد القديم قبل سنة ٤٠٠ قبل الميلاد. وقد كُتِب سفر ملاخي في الفترة من ٤٥٠ إلى ٤٣٠ قبل الميلاد، في حين كُتِب سفر أخبار أيام في حوالي ٤٠٠ قبل الميلاد. وفي بداية ٣٠٠ قبل الميلاد، وقبل سنة ١٥٠ قبل الميلاد، كُتِبت جميع أسفار العهد القديم التسعة والثلاثين، وجُمِعت، واعترف بها القادة اليهود. وقد قسَّموا النَّص العِبري للأسفار التسعة والثلاثين في الأصل إلى أربعة وعشرين سفرًا هي: خمسة أسفار للشريعة، وثمانية أسفار للأنبياء، وأحد عشر كتابة أخرى. واليوم يقسم البروتستانت ببساطة هذه الأسفار الأربعة والعشرين تقسيمًا مختلفًا، حتى وصلوا إلى تسعةٍ وثلاثين سفرًا.

تُرجِم النَّص العِبري المعترف به رسميًّا من قادة اليهود إلى اليونانية، في الفترة من ٢٥٠ إلى ١٥٠ قبل الميلاد. وقد أطلق عليه «الترجمة السبعينية»، وأحيانًا يُرمز إلى هذه الترجمة بالعدد الروماني «٧٠». وهذا يعني أنه يوجد الآن عهدًا قديمًا عِبريًّا وترجمة سبعينية. وخلال الفترة نفسها، كتبَ كُتَّاب متعددون قصصًا

تاريخية عن اليهود، والعديدَ من الإضافات أو التوضيحات، إلى أسفار العهد القديم مثل إستير ودانيال. وقد حدث ذلك بعد الإغلاق الرسمي للعهد القديم. ومع ذلك، أضيفت هذه الكتاباتُ الأربعة عشر إلى الترجمة الونانية التي تُسمَّى «بالترجمة السبعينية». وتضم هذه الأسفار عزرا الأول والثاني، وطوبيا، ويهوديت، وتتمة إستير، وحكمة سليمان، وسيراخ، وباروخ، وسوسنة (تتمة دانيال)، وبيل والتنين (تتمة دانيال)، وتسبحة الأطفال الثلاثة العبرانيين (تتمة دانيال)، وصلاة منسى، والمكابيين الأول والثاني. ويشار إلى هذه الأسفار بأبوكريفا.

جدل حول أسفار أبو كريفا

بدأ العَلَّامة جيروم (حوالي ٣٤٠- ٤٢٠ ميلاديًّا) عملَه في ترجمة العهد القديم العِبري إلى اللاتينية تحت رعاية البابا داماسوس؛ وقد سُمِّيت هذه الترجمة «بترجمة فولجاتا اللاتينية». ورفض جيروم اعتبار أسفار «الأبو كريفا» جزءًا من الشريعة. ورفض الكثير من العلماء في الكنيسة الأولى، وفترة الإصلاح، أيضًا أسفار «الأبو كريفا». لكن أثناء مجلس الإصلاح المضاد «بترنت»، اعترفت الكنيسة الكاثوليكية رسميًّا «بالأبو كريفا»، باعتبارها أسفارًا مقدسة، وأعطتها مكانة قانونية كاملة وذلك ١٥٤٦ ميلاديًّا.

واعترفت كنيسة الروم الكاثوليك بالأسفار الأربعة عشر الإضافية جزئيًّا؛ لكي تعزز من عقائدَ معينة يقوضها (يُضعفها) الإصلاحيون. على سبيل المثال، قدَّم سفرُ طوبيا تعاليمَ عن «فضائل الكفارة» للأعمال الصالحة، وأيَّد «المكابين الثاني» عقائدَ الروم الكاثوليك الخاصة بشفاعة القديسين والمَطهر.

رفض القادة اليهود، وعلماء الكنيسة الأولى، والإصلاحيون، قانونية أسفار «الأبو كريفا»؛ وبالتالي استبعَد الكتابُ المقدس للبروتستانت هذه الأسفار. وهناك أسبابٌ عديدة، خلافًا للأسباب السابقة، ترفض اعتبار «الأبو كريفا» أسفارًا مُوحَى بها. وتتضمن:

- لم يَدَّعِ أيُّ سفرٍ من هذه الأسفار الأربعة عشر بأنه وحيٌ مقدس، بل أنكر بعضُهم في الواقع ذلك.

- أنكر مؤرخون وفلاسفة معروفون هذه الأسفار؛ وتحديدًا فيلو السكندري (Philo of Alexandria) (من ٢٠ قبل الميلاد وحتى ٤٠ ميلاديًّا)، ويوسيفوس (Josephus) (٣٠- ١٠٠ ميلاديًّا)، وكذلك رفضها العلماءُ اليهود في مجمع جامينا (Jamnia) (٩٠ ميلاديًّا).
- لم يقتبس أيٌّ من كُتَّاب العهد الجديد قط من أسفار «الأبو كريفا»، على الرغم من مئات الاقتباسات من العهد القديم العِبري «النسخة السبعينية».
- لم يعترف يسوع قط أو يقتبس من أسفار «الأبو كريفا».

ما أكده يسوع

تعد العبارات التي قالها يسوع في الكتاب المقدس أقوى مؤشر على أن «أبو كريفا ليس كلمة الله المُوحَى بها». فقد اعترف بكمال النَّص العِبري بالكامل (الأسفار الأربعة والعشرون الأصلية للعهد القديم ما عدا أبو كريفا) عندما قال لهم: «هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وانا بعد معكم: أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير» (لوقا ٢٤: ٤٤). فضلًا عن ذلك، أشار يسوع إلى أول الشهداء وآخرهم في النَّص العِبري عندما استخدم عبارة «من دم هابيل إلى دم زكريا» (لوقا ١١: ٥١). وبذلك، كان يشير إلى أول سفر من العهد القديم (التكوين)، وآخر سفر من النَّص العِبري (أخبار الأيام). ويُبيِّن ذلك بوضوح أن يسوع أكد سلطان الأسفار الأربعة والعشرين، والوحي الخاص بها، الذي شكَّل أسفار العهد القديم التسعة والثلاثين الموجودين حاليًا. وقد استبعد جميع الكتاباتِ الأخرى بما في ذلك «الأبو كريفا»، عندما أشار إلى الأسفار المُوحَى بها من الله.

تكلم الله من خلال موسى، وحذَّر مَن يُزيد أو يُنقص من كلمة الله: «لا تزد عليه ولا تنقص منه» (التثنية ١٢: ٣٢). وقال الرسول يوحنا تحذيرًا مماثلًا بشأن السفر الذي أوحي الله له بأن يكتبه: «إن كان أحد يزيد على هذا، يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب» (رؤيا ٢٢: ١٨). كان القادة اليهود وتلاميذ يسوع في القرن الأول يدافعون عن وحي الله المكتوب عن حق. ويمكننا أن نمتلىء ثقةً بأن ما لدينا في ٦٦ سفرًا في الكتاب المقدس البروتستانتي، لا أكثر أو أقل، هو كلمة الله المُوحَى بها.

٧١

متى تُرجِم الكتاب المقدس إلى لغاتٍ أخرى؟

أوحى الله لكُتَّاب العهد القديم بتدوين كلمته باللغة العِبرية والآرامية؛ والعهد الجديد باللغة اليونانية. وقد ناقشنا كيف حفظ الكتبة وناسخو المخطوطات تلك الكتاباتِ، من خلال نَسخها حرفيًّا بعناية.[lxiv] لكن بالطبع لا يستطيع الجميع قراءة العِبرية أو الآرامية أو اليونانية. لذلك تُرجِم الكتاب المقدس إلى لغاتٍ أخرى. فمتى تُرجِمت هذه الترجمات؟ وإلى أي اللغات؟

تُرجِم الكتاب المقدس حتى الآن إلى أكثر من ٢٤٠٠ لغة. وعلى مر السنين، كانت هذه العملية تتطلب عددًا كبيرًا من المترجمين والاساتذة. وكانت أول ترجمة للكتاب المقدس (العهد القديم) إلى اليونانية، وأطلق عليها «الترجمة السبعينية». وقد تُرجِمت من النَّص العِبري والآرامي الذي يشكل حاليًا أسفارَ العهد القديم التسعة والثلاثين. وقد أنجِزت الترجمة في الفترة من ٢٥٠ إلى ١٥٠ قبل الميلاد، وكانت ترجمةً للعهد القديم الذي كان يقرأه العالم الناطق باليونانية في وقت يسوع. وقد اقتبس يسوع منه، وكذلك من النَّص العِبري.

ترجمات خلال عصر الكنيسة الأولى

بعد سنوات عديدة، ترجم أساتذةٌ آخرون العهدَ القديم إلى اليونانية. وبعضٌ من مخطوطات هذه الترجمة موجود حاليًا. ويرجع تاريخ اثنين من هذه المخطوطات، وهما المخطوطة السينائية والفاتيكانية، إلى ٣٣٠ ميلاديًّا؛ وهما في المتحف البريطاني ومكتبة الفاتيكان في روما على التوالي.

ظهرت النسخة القبطية في حوالي ٣٥٠ ميلاديًّا؛ وقد تُرجِمت من اليونانية إلى اللغة القبطية، وكانت تُسمَّى باللغة «المِصرية القديمة»، ومعظمها مكتوب

---

lxiv راجع السؤالين ٦٥. هل العهد القديم موثق تاريخيًّا؟ و٦٦. هل العهد الجديد موثَّق تاريخيًّا؟

بأحرف يونانية. وفي الفترة نفسِها، صدرت النسخة الإثيوبية والغوطية: المعروفة أيضًا بالمخطوطة الفِضية (Codex Argenteus). ونعلم أن مؤمنين من إثيوبيا قد ظهروا في وقتٍ مبكر من سفر الأعمال ٨: ٢٦- ٣٦. وعاش الغوط في مِنطقة تُدعى حاليًا «المجر ورومانيا».

ترجم «جيروم» الفولجاتا اللاتينية في بداية ٣٨٢ ميلاديًّا. واستغرق حوالي ٢٥ عامًا لترجمة العهد القديم بالكامل من العِبرية واليونانية إلى اللاتينية، بعد أن قام «داماسوس»، بابا الروم الكاثوليك، بتعيينه. وتردد أن الفولجاتا اللاتينية هي أول كتاب يطبعه يوهانس جوتنبرج (Johannes Gutenberg) عام في ١٤٥٥ م.

تُرجِم الكتاب المقدس العِبري واليوناني في بداية القرن الرابع، إلى لغات مثل الأرمينية، والسلافية، والسريانية (نسخة أخيرة من الآرامية)، والبحرية (لهجة قبطية)، والعربية، والأنجلوسكسونية، والفارسية، والفرنجة (الألمانية الغربية القديمة). وعلى الأقل لا يزال جزءٌ من هذه الترجمات القديمة موجودًا حتى اليوم.

التراجم الإنجليزية

بدأت ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الإنجليزية، أو لغاتِها السالفة، في القرن الخامس؛ حيث بدأت بالنسخة الأنجلوسكسونية. وكان جون ويكليف (John Wycliffe) (١٣٢٩- ١٣٨٤ م) هو أول مَن ترجم الكتاب المقدس بالكامل إلى اللغة الإنجليزية. وكانت الترجمة الإنجليزية الوحيدة للكتاب المقدس على مدار ١٤٥ سنة. وفي عام ١٥٢٥، قدَّم وليم تيندايل (William Tyndale) ترجمة تيندل الإنجليزية للكتاب المقدس. وقد يكون تيندايل هو أعظم مترجم حديث للكتاب المقدس. وقد ظهرت ترجمات إنجليزية أخرى خلال مئات السنوات التالية، وقد تضمنت ترجمة كفرديل (Coverdale Version) (١٥٣٥)، والكتاب المقدس العظيم (the Great Bible) (١٥٣٩)، ونسخة جنيف (Geneva Bible) (١٥٥٧)، ونسخة الملك جيمس، وهي النسخة المعتمدة المعروفة لمعظم الناس، منذ ذلك الحين، وإلى الآن (١٦١١).

وأصبحت نسخة الملك جيمس للكتاب المقدس واحدة من أكثر النسخ شعبية للعالم الناطق باللغة الإنجليزية، ولا تزال هي الترجمة المفضلة للكثيرين. وفي أواخر القرن التاسع عشر، شعرت كنيسة إنجلترا باحتياج إلى مراجعة هذه النسخة وتحديثها. واكتملت نسخة الملك جيمس المنقحة في عام ١٨٨٥.

كما تعد النسخة القياسية الأمريكية (١٩٠١) نسخة أخرى من نسخة الملك جيمس. ومنذ ذلك الوقت، ظهرت حتى الآن أكثر من عشرين ترجمة إنجليزية مختلفة. وفيما يلي بعض الترجمات والشروحات الإنجليزية الأكثر شعبية في الخمسين سنة الماضية، أو ما إلى ذلك:

- النسخة القياسية المنقحة (١٩٥٢، النسخة المنقحة في ١٩٧١).
- الترجمة الموسعة (The Amplified Bible) (١٩٦٥).
- الترجمة الإنجليزية الجديدة (١٩٧٠).
- الترجمة القياسية الأمريكية الحديثة (١٩٧١، النسخة المنقحة في ١٩٩٥).
- الكتاب المقدس المعاش (١٩٧١).
- ترجمة الأخبار السارة للإنسان المعاصر (١٩٧٦).
- النسخة الدولية الحديثة (١٩٧٨، النسخة المنقحة في ٢٠١١).
- نسخة الملك جيمس الحديثة (١٩٨٢).
- نسخة القرن الحديث (١٩٨٨).
- الرسالة (١٩٩٤).
- ترجمة كلمة الله (١٩٩٥).
- ترجمة الحياة الجديدة (١٩٩٦، النسخة المنقحة في ٢٠٠٤).
- نسخة هولمان المسيحية القياسية (١٩٩٩، النسخة المنقحة في ٢٠٠٩).
- النسخة القياسية الإنجليزية (٢٠٠١، النسخة المنقحة في ٢٠١١).

ولقائمة أكثر شمولًا من إصدارات الكتاب المقدس، وترجماته بلغات مختلفة، برجاء زيارة موقع (BibleGateway.com)، واختيار «الإصدارات المتوفرة».

٧٢

هل أيٌّ من ترجمات الكتاب المقدس مُوحَى بها؟

كَتَبَ أكثرُ من أربعين مؤلِفًا مختلفًا الأسفار الستة والستين للكتاب المقدس على مدار ١٥٠٠ سنة. ومنذ ذلك الوقت، نسخ الكَتَبة والناسخون بدقة، المخطوطات القديمة للكتاب المقدس، بلغتِهم الأصلية (العِبرية والآرامية واليونانية) لعدة قرون، حتى ظهرت المطابع الحديثة.[lxv]

ترجم العلماءُ الكتابَ المقدس، من مخطوطاته القديمة، إلى لغاتٍ عديدة، يصل عددُها حتى الآن إلى ٢٤٠٠ لغة. والسؤال الذي يطرح نفسَه: هل أوحى الله لأيٍّ من هؤلاء المترجمين المختلفين؛ حتى يُفسروا بدقة العِبري والآرامي واليوناني إلى لغاتٍ أخرى؟

بلا شك أن العديد من المترجمين كانوا أتقياء، ومتحمسين لتوفير كلمة الله لآخرين في هذا العالم. وقد عملوا، بلا شك، بعناية؛ لترجمة الكتاب المقدس ترجمةً دقيقة؛ لكنهم لم يتلقوا وحيًا من الله مثل أولئك الذين كتبوا في الأصل كلمة الله.

عندما قال الكتاب المقدس: «كل الكتاب موحي به من الله» (٢تيموثاوس ٣: ١٦)، كان يعني أن الله أوحى بهذه الكلمات، ونطق بها، من خلال هؤلاء الذين كتبوا الكتاب المقدس.[lxvi] لذلك عندما كتب المؤلفون الأصليون الكتاب المقدس، كانوا يكتبون كلماتِ الله. وعندما ترجم المترجمون هذه الكلمات، كانوا يشاركون في عمل لغوي أدبي ونحوي. ومن المؤكد أنه عمل مهم، وربما بإرشاد من الله. ومع ذلك، ليس الأمر كما لو أنه يُعطي للمترجم الكلمات الدقيقة؛ حتى يدونها، ويحمل المعنى الدقيق للكلمات العِبرية أو اليونانية في الكتاب المقدس.

مع ذلك، إن لم يُلهم الله المترجمين في عملهم، كان يمكن أن يُترجموا ترجمةً خاطئة. وهذا يعني أن بعض النصوص في العديد من اللغات يمكن أن تُساء ترجمتُها. وهذا هو موضوع السؤال التالي!

---

lxv راجع السؤالين ٦٥. هل العهد القديم موثق تاريخيًا؟ و٦٦. هل العهد الجديد موثَّق تاريخيًا؟

lxvi راجع السؤال رقم ٥٢. ماذا يعني أن الكتاب المقدس مُوحَى به؟

٧٣

إن كان مترجمو الكتاب المقدس قد ارتكبوا أخطاء، أفلا يجعله ذلك غيرَ دقيق؟

ذكرنا في السؤال السابق أن الله لم يُعطِ وحيًا لمترجمي الكتاب المقدس عندما ترجموه من العِبرية واليونانية إلى لغاتٍ أخرى.فهل يعني ذلك أن بعض الترجمات يمكن أن تُساء ترجمتُها، وتكون غير دقيقة؟

عندما يقرر، الآن، ناشرٌ أو مؤسسة، إصدار ترجمة للكتاب المقدس، فإنهم يفعلون ذلك بعناية فائقة. وعادةً ما تُشكَّل لجنة لترجمة الكتاب المقدس. وتُعيِّن هذه اللجنة فريقًا من العلماء، من خلفيات لاهوتية متنوعة، وغالبًا ما يكونون من أساتذة كليات اللاهوت الذين لهم رؤية، وخبرة واسعة، باللغة العِبرية أو الآرامية أو اليونانية. وعلى سبيل المثال، عندما عقدت دار نشر تيندايل (Tyndale House Publishers)، العزمَ على عمل ترجمة الحياة الجديدة (New Living Translation)، شكَّلوا ستة فرق تتكون من أكثر من تسعين أستاذًا جامعيًّا، واختارتهم وفقًا لمجالات خبراتهم في: أسفار موسى الخمسة، والكتب التاريخية، والأنبياء، والأناجيل، وما إلى ذلك. ثم أخذوا سنواتٍ عديدة لتقديم هذه الترجمة بعناية.

المقارنة والوضع في الاعتبار

لكن هل يعني ذلك أن كل الترجمات تتم بدقة؟ وهل يمكن أن ينقل المترجمون أحيانًا معنى مختلفًا عن المعني العِبري أو اليوناني الأصلي، والمقصود؟ إن المترجمين بشرٌ، وأحيانًا يختارون كلماتٍ أو عباراتٍ غيرَ صحيحةٍ، أو أقلَ في الدقة. لذلك يُفضِّل البعضُ ترجماتٍ معينة على ترجماتٍ أخرى؛ وبعض نسخ الكتاب المقدس تقدم ترجمةً أفضل من الترجمات الآخرى.[lxvii] ولهذا السبب يتم تشكيل فرق للترجمة والمراجعة بعناية؛ لتجنُّب سوء الفَهم.

lxvii راجع السؤال رقم ٧٤. كيف يمكن اختيار ترجمة إنجليزية دقيقة للكتاب المقدس؟

لكن من المهم أيضًا لك أن تقارن بين مختلف الترجمات الإنجليزية، وتستعين بشروحات ومراجع لدراسة كلمة الله. كما توجد قواميس ممتازة للكتاب المقدس العِبري واليوناني مثل (W.E. Vine's Expository Dictionary of New Testament Words) و(An Expository Dictionary of Old Testament Words).[lxviii]

ويمكنك من خلال اختيار ترجمة تحظى باحترام كبير، ومقارنة هذه الترجمة مع ترجمات أخرى، والإشارة إلى شروحات وقاموس الكتاب المقدس، أن تثق في الحصول على تفسير دقيق للكتاب المقدس. لكن كيف تختار ترجمة إنجليزية دقيقة للكتاب المقدس؟ هذا هو موضوع السؤال التالي.

---

lxviii راجع السؤال رقم ٧٦. ما هي المصادر التي أحتاجها لتفسير الكتاب المقدس بدقة؟

٧٤

كيف يمكن اختيار ترجمة إنجليزية دقيقة للكتاب المقدس؟

يحتوي السوق على أكثر من عشرين ترجمة إنجليزية للكتاب المقدس. لكن إن كان بعضُ هذه الترجمات أكثرَ دقة من غيره، كيف يمكنك إذن اختيارُ أفضل ترجمة؟

صحيحٌ أن بعض الترجمات أكثر دقة أو قُربًا من المعنى الأصلي في النَّص العِبري أو اليوناني، إلا أن دقة الترجمة مسألة معقدة.

الترجمة مقابل إعادة الصياغة (التفسير)

أولًا، دعونا نوضح الفرق بين الترجمة، وإعادة الصياغة (التفسير). تنتج ترجمة للكتاب المقدس عندما يُفسر المترجمون فقرات الكتاب المقدس من النَّص الأصلي للعهد القديم والجديد. وفي كثير من الأحيان، يُترجم المترجمون العهدَ القديم إلى الإنجليزية من النَّص الماسورى للكتاب المقدس المتمثل في طبعة شتوتجارت العِبرية (Biblia Hebraica Stuttgartensia) (١٩٧٧). وكثيرًا ما عُقِدت مقارناتٌ بين مخطوطات البحر الميت، والترجمة السبعينية، وترجمات يونانية أخرى للعهد القديم، والتوراة السامرية (Samaritan Pentateuch)، والفولجاتا اللاتينية، وما إلى ذلك. في حين يُترجم العهدُ الجديد الإنجليزي من نسختين قياسيتين للعهد الجديد اليوناني هما: طبعة نستله ألاند (Novum Testamentum Graece) (الطبعة ٢٧، ١٩٩٣)، والعهد الجديد اليوناني (جمعيات الكتاب المقدس المتحدة، الطبعة الرابعة المنقحة، ١٩٩٣).

من ناحيةٍ أخرى، كثيرًا ما تحدث إعادة الصياغة (التفسير) بواسطة شخص يعيد صياغة الترجمة. وعلى الرغم أن إعادة الصياغة قد تكون مفيدة، فإنها غالبًا ما تعكس بالضرورة وجهة نظر الذي أعاد الصياغة!

مناهج الترجمة

تختلف الترجمات أيضًا حسب نظرية الترجمة المستخدمة. وفي نظر البعض، يحدد ذلك دقة الترجمة. يُفضِّل البعضُ الترجمة المعروفة «بالتكافؤ الشكلي»، أو الترجمة «الحرفية». وفي هذا المنهج، يحاول المترجم تفسير كل كلمة إلى الإنجليزية؛ بهدف الحفاظ على بنية الجملة، وتركيب اللغة الأصلية. وعلى الرغم أن ذلك قد يبدو أفضل منهج للحصول على أدق ترجمة، فقد تبدو ترجمة «التكافؤ الشكلي» غير مفهومة تقريبًا في الإنجليزية. لذلك تستلزم بعض التفسير الضروري، ولكن عند اتباع المنهج الحرفي، قد تُسبب النتيجة للقاريء صعوبةً في تحديد معنى النَّص. وتَستخدِم الترجمة القياسية الأمريكية الحديثة هذا المنهج إلى حدٍّ كبير.

يُعرَف المنهج الثاني في الترجمة «بالتكافؤ الحيوي»، أو «التكافؤ الوظيفي»، أو «ترجمة الفكر». ويُترجِم هذا المنهج إلى الإنجليزية أقرب مقابل طبيعي للرسالة التي يُعبِّر عنها النَّص الكتابي الأصلي، في كلٍّ من المعنى والأسلوب. وكثيرًا ما تكون النتيجة النهائية أكثر قابلية للقراءة، وتقدم تدفقًا طبيعيًّا للنص. وتَستخدِم الترجمة الدولية الحديثة (NIV) إلى حدٍّ كبير هذا المنهج.

ويتميز كلٌّ من هذين النظريتين في الترجمة بنقاط قوته. ويمكن أن يحتفظ «التكافؤ الشكلي» ببناء الجملة الأصلية، وكثيرًا ما يفضله أساتذة الكتاب المقدس والمعلمون. في حين يُعد «التكافؤ الحيوي» أكثر قابلية وسهولة في القراءة، وأكثر وضوحًا للقاريء المعاصر.

يمكن أن يجادل المَرءُ بأفضلية ترجمة على أخرى؛ مُعلِّلًا بأن تلك الترجمات أقل في الدقة. وقد فعل النقادُ ذلك مع مختلف الترجمات الإنجليزية؛ لكننا لسنا هنا في صف أحد النقاط، أو ندافع عن إحدى الترجمات على حساب أخرى. والواقع أن كل ترجمة تخضع إلى سوء التفسير؛ ولا تُعد أية ترجمة وحيًا من الله.[lxix]

---

lxix راجع السؤال رقم ٧٢. هل أيٌّ من ترجمات الكتاب المقدس مُوحَى بها؟

اختر بنفسك

مع ذلك يظل السؤال، كيف أختار ترجمة دقيقة للكتاب المقدس يمكن قراءتُها؟ إن أفضل نصيحة لاختيار ترجمة جيدة هي أولًا سؤال قائد مؤمن تحترمه احترامًا كبيرًا، مثل راعي الكنيسة، أو أستاذ في اللاهوت، عن الترجمة التي يستخدمها، ويُوصي لك بها. ثانيًا، تحققْ من الفريق الذي أصدر الترجمة التي التي تبحث عنها، واكتشف المنهج المتبع. وهذه المعلومة ينبغي أن تكون موجودة في تقديم أو مقدمة الكتاب المقدس. وفي الغالب ما تسرد المقدمة أعضاء الفريق، ويمكنك التأكد من أوراق الاعتماد الخاصة بهم، وتحدد كليات اللاهوت والمجموعات التي ينتمون إليها.

في النهاية، قد تحتاج إلى استخدام عدة ترجمات كما نفعل نحن. وقد تحتاج إلى استخدام النسخة القياسية الأمريكية في الدراسة؛ لأنها توفر ترجمة أكثر حَرفية. ومع ذلك، يشعر البعض أن بنية الجملة والصياغة بها لا تضيف إلى القراءة العامة أو التعبُّد والتأمُّل. وفي هذه الحالة، قد تميل إلى استخدام الترجمة الدولية الحديثة، التي تفسر النصوص بلغة إنجليزية واضحة وطبيعية. وقد ترجع إلى دراسة مقارَنة تقدم أربع ترجمات، أو ما إلى ذلك، في كتاب مقدس واحد. وتسمح العديد من الخدمات المتوفرة على الإنترنت بقراءة ترجمات متعددة جنبًا إلى جنب.

أخيرًا، سيرجع اختيارُك إلى تفضيلك الشخصي. ومع ذلك، تحتاج أن تكون على يقين بأن الترجمة الإنجليزية للكتاب المقدس التي اخترتها موثوق بها، ويمكن قراءتُها.

٧٥

لماذا يوجد عدد كبير من التراجم الإنجليزية للكتاب المقدس؟

من المؤكد أن الكتاب المقدس الإنجليزي معروف. وتُباع بعضُ الترجمات الإنجليزية عمليًّا في كل مكتبة بالمدينة في أمريكا الشمالية. وتبيع المكتبات المتوفرة على الإنترنت نسخة واحدة على الأقل تقريبًا! وتتوفر أكثر من عشرين نسخة إنجليزية لتختار منهم. قد تتساءل، لماذا يوجد هذا العدد الكبير؟

في السنوات الأخيرة، شجَّع القادة المسيحيون المؤمنين أن يقرأوا كتبهم المقدسة ويدرسوها. وقد خلق ذلك طلبًا على كلمة الله، وتجاوب مع ذلك العديد من الناشرين. ولزيادة توزيع الكتاب المقدس، استهدف الناشرون مجموعات مختلفة. وأصدرت دور النشر كتبًا مقدسة مثل الكتاب المقدس لدراسة الدفاعيات، والكتاب المقدس الدراسي للرجال، والكتاب المقدس الدراسي للنساء، والكتاب المقدس لدراسة الدفاعيات للطلبة، والكتاب المقدس الدراسي للتسبيح والعبادة، والكتاب المقدس لسنة واحدة، والكتاب المقدس لكتابة الملاحظات، والكتاب المقدس للأطفال. والقائمة تطول. وتوجد كتب مقدسة ذات طباعة كبيرة، وكتب مقدسة بخطوط رفيعة، وكتب مقدسة مجلدة، وكتب مقدسة بورق مقوى، وكتب مقدسة بغلاف عادي، وكتب مقدسة متوفرة على الإنترنت وما إلى ذلك. كما قدَّم عدد من الرعاة والاساتذة الذين يحظون باحترام كبير، كتبًا مقدسة دراسية تتضمن شروحاتِهم وملاحظاتِهم.

في محاولة لتوزيع الكتب المقدسة، حصل الناشرون ومجموعات أخرى، إمَّا على حق نشر الترجمات، أو التكليف بعمل ترجمات تلبي احتياجات المجموعات السابقة، وأكثر من ذلك. ونتيجة لذلك، أصبح لدينا العديد من الترجمات الإنجليزية، وصيغ الكتاب المقدس التي نختار من بينها.[lxx]

---

lxx راجع السؤال رقم ٧٤. كيف يمكن اختيار ترجمة إنجليزية دقيقة للكتاب المقدس؟

٧٦

ما هي المصادر التي أحتاجها لتفسير الكتاب المقدس بدقة؟

كُتِب الكتاب المقدس في فترات زمنية مختلفة، وثقافات في غاية الاختلاف عن ثقافاتِنا. ودعونا نواجه الأمر، أنه ليس من السهل قراءة الكتاب المقدس. في السؤال رقم ٦٠ بعنوان «كيف تفسر الكتاب المقدس تفسيرًا صحيحًا؟»، ناقشنا كيف نحتاج إلى فهم معنى الكلمات، وسياق هذه الكلمات. لكن بدون مساعدة الاساتذة الذين يتمتعون بالخبرة، يمكن أن يمثل ذلك تحديًا حقيقيًّا. لذا ما هي المواد اللازمة لتفسير الكتاب المقدس تفسيرًا دقيقًا؟

سنذكر خمس أدوات أو موارد من شأنها أن تساعد إلى حدٍّ كبير في دراستك.

دراسات للتعاريف والكلمات: إن أكثر الطرق فاعلية في تفسير كلمة من الكتاب المقدس، أي معرفة معناها، هو البحث عنها في القاموس. وعادة ما لا يُعطيك قاموس الكتاب المقدس تعريف الكلمة وخلفيتها فحسب، بل استخدامها في العهد القديم والجديد أيضًا. ابحث في الإنترنت عن «قاموس للكتاب المقدس»، ستجد مواقع مجانية من خلالها يمكنك أن تبحث عن معنى معظم الكلمات في الكتاب المقدس. وفي هذه المواقع، سترى أيضًا عددًا من المواد للبيع إن كنت تسعى للحصول على نسخة مطبوعة من قاموس الكتاب المقدس، أو برنامج سوفت وير. لاحظ أن القواميس كثيرًا ما تقدم معانٍ عديدة؛ لذا تأكد عند تحديد المعنى من وضعِه في السياق.

كما توجد فهارس مع المعاجم العِبرية واليونانية تقدم أيضًا معانٍ من اللغات الأصلية للكتاب المقدس. ويُعد فهرس سترونج (Strong's Concordance) واحدًا من أكثر المعاجم استخدامًا. ابحث عن «قاموس يوناني» على الإنترنت، وستجد مجموعة متنوعة من المواد المطبوعة، وعلى الإنترنت، وبرامج السوفت وير. راجع أيضًا المكتبات المسيحية القريبة منك.

المراجع: ذكرنا من قبل الحاجة إلى مراجع للنصوص والكلمات الكتابية. وتقدم بعض المواد معلوماتٍ قيِّمة عن تاريخ الكتاب المقدس، ومعلوماتٍ عن الحياة والتفكير والمواقف في زمن الكتاب المقدس. وتتضمن كتبًا مقدسة دراسية، وموسوعات للكتاب المقدس، وشروحات، وأطلس. وتقدم هذه المواد رؤىً واسعة الاطلاع للخبراء، أي ملاحظات هؤلاء الذين قضوا حياتهم في موضوعات البحث والدراسة، التي قد لا نكون قادرين على بحثها بأنفسنا. وعلى مر القرون، قام رجال مثل دبليو أيه فين (W.E.Vine)، وجيمس سترونج (Strong)، والعديد من المؤمنين الاتقياء والمخلصون، بجمع مواد مكتوبة ذات قيمة كبيرة لنا في فهم كيفية تفسير معنى كلمة الله تفسيرًا دقيقًا.

كتب مقدسة دراسية: يعد الكتاب المقدس الدراسي واحدًا من أكثر أدوات الدراسة المفيدة التي يمكن أن تحوذ عليها. وتحتوي العديد من هذه الكتب المقدسة على معلومات واسعة النطاق، لن تكون لك طريقة في معرفتها ما لم تكن أستاذًا في الكتاب المقدس، أو طالبًا جادًّا. وقد يحل الكتاب المقدس الدراسي محل أنواع عديدة من المراجع المذكورة هنا. ويضم العديد منها شرحًا كتابيًّا موجزًا، ومقدماتٍ لأسفار الكتاب المقدس، وملخصات لها، وجداول، وخرائط، ورسوم بيانية، وهوامش جانبية، وحواشٍ نصِّية، ومراجع، وقواميس، وفهارس، ومساعدات، ومعلومات أخرى قد تقضي في كثير من الأحيان على الحاجة إلى مواد أخرى.

الشروحات: تحوي شروحات الكتاب المقدس بالضبط على هذا المصطلح، حيث تحتوي على تعليقات أساتذة الكتاب المقدس الذين يشرحون معاني نصوص الكتاب المقدس. وقد تكون الشروحات عميقة، أو أعمالًا متعددة الأجزاء، تشرح آية آية، أو أعمالًا في مجلد واحد للكتاب المقدس بالكامل، تعالج الموضوعات الأساسية للأصحاحات، وتُبرز آيات معينة.

مواد على الإنترنت والكمبيوتر: ذكرنا أن الدراسة الجيدة للكتاب المقدس يمكن أن تملأ مكان العديد من المواد التي ذكرناها حتى الآن. وينطبق الشيء نفسُه

علـى مـواد الكتـاب المقـدس المُسـاعِدة علـى الكمبيوتـر والإنترنـت. وواحـدٌ مـن الأمثلـة الممتـازة لمـواد الكتـاب المقـدس علـى الإنترنـت هـو Biblegateway.com، وهـو مثـال رائـع لإيجـاد كتـب مقدسـة محـددة، وربـط المراجـع. ويمكنـك مـن خـلال كتابـة كلمـة أو اثنتيـن فـي مرجعك أن تسـتخدمه بمثابـة فهـرس، أو تبحـث عـن نَـص أيـة آيـة فـي الكتـاب المقـدس، فـي أيـة ترجمـة إنجليزيـة تقريبًـا.

إذا حصلـت علـى برنامـج للكتـاب المقـدس؛ حتـى تثبتـه علـى جهـاز الكمبيوتـر الخـاص بـك، يمكنـك أن تحصـل علـى كل المصـادر التـي ذكرناهـا سـابقًا. وتضـم هـذه البرامـج قاموسًـا للكتـاب المقـدس، وموسـوعة لـه، والنَّـص الكامـل للكتـاب المقـدس فـي تراجـم عديـدة، يمكـن الدخـول عليهـا بعـدة طـرق، وكـذا أدوات الإحالـة المرجعيـة، ومسـاعدات فـي دراسـة الكتـاب المقدس، والجـداول والخرائـط والشـروحات. بالإضافـة إلـى ذلـك، توفـر هـذه البرامـج فـي كثيـر مـن الأحيـان ميـزات بصريـة، بمـا فـي ذلـك الصـور والرسـومات التوضيحيـة، ومقاطـع الرسـوم المتحركـة للعديـد مـن أحـداث الكتـاب المقـدس والمعلومـات الأثريـة.

يوجد العديد من برامج السوفت وير للكتاب المقدس مثل:
(Logos Bible, Biblesoft, BibleWorks, iLumina) وآخرون. راجع هذه البرامج على الإنترنت، أو اتصل بمكتبة مسيحية بالقرب منك.

٧٧

كيف يمكنني اختبار الكتاب المقدس شخصيًّا؟

إن أحد الأمور الأساسية التي أكدنا عليها في هذا الكتاب أن الله كائن عَلاقاتي، «إله غيور هو» (الخروج ٣٤: ١٤). وقد أعطى لأولاده روحَه القدوس، وكلمَته؛ حتى يسمح لكل واحد منا بأن يختبر العَلاقة معه. لكن كيف يمكننا اختبار الكتاب المقدس لندخل في عَلاقة عميقة مع الله؟

عندما كنت (أنا شون) في الجامعة، دعاني بعض أصدقاء الدراسة المؤمنين لمجموعة دراسة الكتاب المقدس الخاصة بهم. وعن نفسي، كنت أريد بَدء نظام منضبط لقراءة كلمة الله معهم. لكن ما أدهشني هو المنظور الذي كان يقرأ من خلاله اثنان من رفاقي، عمليًّا، كلَّ آية. يبدو أنه كان لديهم دائمًا ما لا يقل عن ثلاثة أسئلة يجب طرحها في كل مقطع:

١- ما الخطية التي نحتاج تجنبها؟

٢- ما الوصية التي نحتاج إلى طاعتها؟

٣- ما الشيء الذي يحتاج في حياتي إلى تغيير؟

هذا لا يعني أننا لا ينبغي أن نتجنب الخطية، أو فهم وصايا الكتاب التي نحتاج إلى طاعتها. لكن كان يبدو أن أصدقائي لديهم رؤية عن الله، أنه يقوم بالتفتيش، وأنه إله مخيب للآمال. وعندما نراه بهذا المنظور نشوه حقيقته. صلى بولس لأتباع المسيح في أفسس قائلًا: «كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح، أبو المجد، روح الحكمة والإعلان في معرفته، مستنيرة عيون أذهانكم، لتعلموا ما هو رجاء دعوته،» (أفسس ١: ١٧، ١٨).

أعطاك الله كلمته؛ حتى تتمكن من معرفة يسوع معرفة أفضل، وتكون لك لقاءات جديدة ومتكررة معه؛ حتى تختبر مدى رعايته لك، واهتمامه بك. يشجعك بطرس: «ملقين كل همكم عليه،؛ لأنه هو يعتني بكم» (١بطرس ٥: ٧). لكنك قد تتساءل أحيانًا عن إمكانية اختبار رحمة يسوع شخصيًّا، كما هو

الحال مع أولئك الذين التقوا به وهو على الأرض. قد تقول: «حسنًا، أظهر يسوع نفسَه وحقيقته، وارتبط بالذين التقوا به، لكن كيف يمكن لرحمته أن تكون حقيقية، وذات صلة بي، من خلال قراءة كلمته؟».

دعوة الله لك

يعد المفتاح الأساسي لاختبار كتابك المقدس هو رؤية كتاب الله بصفته دعوة شخصية لك لتعرفه معرفة أفضل. عندما تضع ذلك في ذهنك، اطرح الأسئلة التالية عند دراسة الكتاب المقدس:

- كيف ترتبط هذه الآية بمحبة الله محبة أعمق من كل قلبي ونفسي وفكري؟
- كيف ترتبط هذه الآية بمحبة الآخرين مثلما يحبني الله؟
- كيف يكشف هذا المقطع عن قلب يسوع الراعي والرؤوف؟
- ما الذي يريدني يسوع أن أختبره الآن؟
- ما هي خطط الله وأهدافه التي أراها تتعلق بي في هذا المقطع؟
- كيف يرى الله البشر بطريقة مختلفة عن رؤيتي لهم؟
- كيف يتجاوب قلبي مع هذا الإله العَلاقاتي بما في ذلك الانضباط الذي يسعى إليه بكل محبة؟
- كيف يريد الله مني أن اتجاوب مع أولئك الضالين الذين يعيشون بدونه؟

يريدنا يسوع أن نختبر كلمته يوميًّا من خلال قوة روح الله المعجزية. ويريد أن يكون لنا فكرُه. ويريدنا أن نعيش حياته. وقد صلى إلى الله الآب لأجل تلاميذه ولأجلنا قائلًا:

«ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم. قدسهم في حقك. كلامك هو حق... ليكون الجميع واحدًا، كما أنك أنت أيها الآب في وأنا فيك، ليكونوا هم أيضًا واحدًا فينا، ليؤمن العالم أنك أرسلتني» (يوحنا ١٧: ١٦، ١٧، ٢١).

اقبل يسوع الرؤوف والرحيم الذي ينتظر التقابُل مع احتياجك. ويريدك أن تختبره مثلما تختبر كلمته.[٤٩]

نبذة عن المؤلفين وخدمة جوش ماكدويل

عندما كان جوش ماكدويل شابا، تشكك في المسيحية. مع ذلك، وبينما كان في جامعة كيلوج (Kellogg) بولاية ميتشجان، قام مجموعة من الطلبة المؤمنين بتحديه فكريًّا لدراسة ادعاءات يسوع المسيح. وقد قبل جوش التحدي، ووصل وجهًا لوجه إلى حقيقة أن يسوع في الواقع هو ابن الله الذي أحبه، لدرجة أنه مات لأجله. وسلَّم جوش حياته للمسيح، وعلى مدار خمسين سنة شارك العالم باختبارِه، والبراهين التي توصل إليها، بشأن أن الله حقيقي، ويهتم بحياتِنا اليومية.

حصل جوش على درجة البكالوريوس من جامعة ويتون (Wheaton College)، ودرجة الماجستير في اللاهوت من كلية تالبوت للاهوت (Talbot Theological Seminary) بولاية كاليفورنيا. ويخدم جوش مع هيئة الخدمة الروحية منذ ما يقرب من خمسين عامًا. وتزوج جوش من زوجته دوتي منذ أكثر من أربعين سنة، ولهما أربعة أبناء، وخمسة أحفاد، ويعيشان في جنوب كاليفورنيا.

يعمل شون أستاذًا ومتحدثًا ومؤلفًا. وقد تخرج في كلية تالبوت للاهوت بامتياز مع مرتبة الشرف، وحصل على درجتي الماجستير في الفلسفة واللاهوت. كما أنه يشغل رئيس قسم الكتاب المقدس في مدرسة كابيسترانو فالي المسيحية (Capistrano Valley Christian School)، ويسعى حاليًا إلى الحصول على درجة الدكتوراة في الدفاعيات، ودراسات الآراء السائدة في كلية اللاهوت المعمداني الجنوبية (Southern Baptist Theological Seminary). ويمكنك قراءة مدونة شون، والاتصال به للحديث في الحفلات من خلال موقع (www.seanmcdowell.org).

تزوج شون من ستيفاني زوجته منذ أكثر من عشر سنوات ولديه طفلان، ويعيشون في جنوب كاليفورنيا.

المراجع

1- Rich Deem, "Evidence for the Fine Tuning of the Universe," article accessed May 17, 2011, at www.godandscience.org/apologetics/designun.html.

2- William A. Dembski and Sean McDowell, Understanding Intelligent Design (Eugene, OR: Harvest House Publishers, 2008), 122-123, slightly adapted.

3- Hill Roberts and Mark Whorton, Holman QuickSource Guide to Understanding Creation (Nashville: B&H Publishing, 2008), 323.

4- Dembski and McDowell, 109-110, slightly adapted.

5- Dembski and McDowell, 133-134, slightly adapted; embedded citation from Michael Denton, Evolution: A Theory in Crisis (Chevy Chase, MD: Adler and Adler, 1986), 264.

6- Sean McDowell, Ethix (Nashville, TN: Broadman & Holman Publishers, 2006), 49-50; embedded citation from Fyodor Dostoyevsky, The Brothers Karamazov (New York, NY: Bantam Books, 1970), 95.

7- Adapted from Josh McDowell and Thomas Williams, In Search of Certainty (Wheaton, IL: Tyndale House Publishers, 2003), 46-47.

8- Josh McDowell and Sean McDowell, More Than a Carpenter (Wheaton, IL: Tyndale House Publishers, 2009), 161-162.

9- Zeina Karam and John Heilprin, "U.N. Says Children Tortured in Syria," Akron (Ohio) Beacon Journal, November 29, 2011.

10- "Age and Size of the Universe" at www.en.wikipedia.org/wiki/universe, 2009.

11- Richard Dawkins, The God Delusion (New York: Mariner, 2008),51.

12- Jonalyn Grace Fincher, "Defending Feminity: Why Jesus Is Good News for Women," in Apologetics for a New Generation, Sean McDowell, gen. ed. (Eugene, OR: Harvest House Publishers, 2009), 223.

13- Fincher, 224-225.

14- J. Harold Ellens, The Destructive Power of Religion: Violence in Judaism, Christianity and Islam (Greenwood Publishing Group, 2007), accessed on September 8, 2011 and quoted at http://books.google.com/books?id=

0fooSsaO6rMC&dq=the+destructive+power+of+religion+by+j+harold+ellens&source=gbsnavlinkss.

15- Christopher Hitchens, God Is Not Great: How Religion Poisons Everything (New York: Twelve Books, 2007), 13.

16- F.W. Nietzsche, The Antichrist, tr. H.L. Mencken (Torrance, CA: The Noontide Press, 1980),180.

17- Hitchens, 101.

18- J.I. Packer, Knowing God, 20th anniversary ed. (Downers Grove, IL: Intervar sity Press, 1993), 143.

19- Timothy Keller, The Reason for God: Belief in an Age of Skepticism (New York: Dutton, 2008), 76-77.

20- C.S. Lewis, The Abolition of Man (New York: Macmillan, 1947), 69.

21- As reported at www.thecomputerwizard.biz/lightning.htm.

22- Bart D. Ehrman, God's Problem: How the Bible Fails to Answer Our Most Important Question—Why We Suffer (New York: Harper Collins Publishers, 2008), as quoted in blog.beliefnet.com article "Bart Ehrman: How the Problem of Pain Ruined My Faith."

23- Institute of International Studies, Perspectives on the World Christian Movement (Pasadena, CA: William Carey Library, 2009), 362-364.

24- As quoted in Cathy Lynn Grossman, "Baylor Religion Survey Reveals Many See God Steering Economy," USA Today, September 20, 2011.

25- Richard Dawkins, The God Delusion (New York, NY: Houghton Mifflin, 2008), 117.

26- The Pew Forum on Religion and Public Life Washington DC Survey: "Many American Say Other Faiths Can Lead to Eternal Life," December 18, 2008, as reported at http://pewforum.org/Many-Americans-Say-Other-Faiths-Can-Lead-to-Eternal-Life.aspx.

27- Statistics taken from Alan Hirsch, The Forgotten Ways (Grand Rapids, MI: Brazos Press, 2006), 18.

28- Josh McDowell and Bill Wilson, Evidence for the Historical Jesus (Eugene, OR: Harvest House Publishers, 2011), 38.

29- McDowell and Wilson, 36.

30- McDowell and Wilson, 44.

31- McDowell and Wilson, 47.

32- McDowell and Wilson, 49-51.

33- For a detailed treatment of this prophecy, see Josh McDowell, The New Evidence That Demands a Verdict (Nashville: Thomas Nelson Publishers, 1999), 195-201.

34- As quoted in Ravi Zacharias and Norman Geisler, Who Made God? (Grand Rapids, MI: Zondervan, 2003), 97.

35- Adapted from Josh McDowell and Sean McDowell, The Unshakable Truth (Eugene, OR: Harvest House Publishers, 2010), 379-380.

36- McDowell and McDowell, The Unshakable Truth,409-411.

37- McDowell and McDowell, The Unshakable Truth, 231-233.

38- McDowell and McDowell, The Unshakable Truth,96.

39- Josh McDowell, More Evidence That Demands a Verdict (Nashville, TN: Thomas Nelson Publishers, 1999), 21-22.

40- McDowell, 26.

41- Josh McDowell and Sean McDowell, Experience Your Bible (Eugene, OR: Harvest House Publishers, 2012), page 97.

42- McDowell and McDowell, Experience Your Bible, page 68-70.

43- McDowell, The New Evidence, 74.

44- McDowell, The New Evidence, 79.

45- Adapted from McDowell, The New Evidence, chart, 38.

46- McDowell, The New Evidence, 38.

47- McDowell, The New Evidence, 38-39.

48- Barna Research Group, "Many Churchgoers and Faith Leaders Struggle to Define Spiritual Maturity" (Ventura, CA: The Barna Research Group, Ltd., 2008), 1, 3, as Barna.org website article #264.

49- Adapted from McDowell and McDowell, Experience Your Bible, chapters 3, 4, and 9.

هل لديكَ أسئلةٌ صادقة عن الله والكتاب المقدس؟

معظمنا لديه أسئلة، لكن أحيانًا ما نجد صعوبةً في صياغتها، وعلى مَن نطرحها. لذا تناول جوش وشون ماكدويل أكثر الأسئلة الشائعة. ومن خلال البحث والبصيرة الواسعين، قدَّما إجاباتٍ عن هذه الأسئلة، مثل:

- **ما البراهين والأدلة المتوفرة التي تُثبت وجود الله؟**
- **من أين يأتي الشر؟**
- **أليس الكتاب المقدس مليئًا بالأخطاء والتناقضات؟**
- **ما الغرض الحقيقي من الكتاب المقدس؟**

كما تناولا أسئلةً صعبة يطرحها المتشككون حاليًا، تتضمن:

- **لماذا يسمح الله بالألم؟**
- **إن كان الله مُحبًّا للغاية، فلماذا لا يكون أكثر تساهُلًا مع الخطية؟!**
- **أليس من العجرفة الادعاء بأن المسيحية هي الدين الحقيقي الوحيد؟**
- **كيف يُمكن لإلهٍ مُحب أن يُلقي البشرَ في الجحيم؟**

يتميز كتاب "أصعب ٧٧ سؤالًا عن الله والكتاب المقدس وإجاباتها" بالإيجاز وسهولة الفهم، ويُقدِّم الكتاب إجاباتٍ تُساعدك على النمو في إيمانك، كما يُمكنك استخدامها في الحياة اليومية.

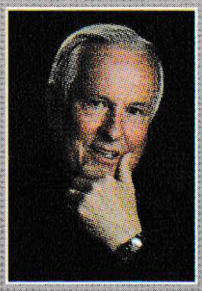

على مدار أكثر من عقودٍ خمسة، تكلَّم جوش ماكدويل إلى أكثر من عشرة ملايين شخص في ١١٨ دولة عن أدلة تُثبت صحة المسيحية. وقد ألَّف وشارك في تأليف أكثر من ١٣٠ كتابًا (وطُبِعت أكثر من ٥١ مليون نسخة من كتبه)، بما في ذلك كتاب "الحق الثابت" (Unshakable Truth)، وكتاب "نجار وأعظم"، وكتاب "برهان جديد يتطلب قرارًا".

يُعد شون ماكدويل مُعلِّمًا ومُتكلِّمًا مشهورًا في الكليات والكنائس والمؤتمرات التي تُعقد في جميع أنحاء البلاد. كما ألَّف كتاب (Ethix: Being Bold in a Whatever World)؛ وشارك في تأليف كتاب "الحق الثابت"، "وفهم التصميم الذكي"؛ وهو المحرِّر العام لكتاب "الدفاعيات لجيل جديد" وكتاب "الدفاعيات: كتاب مقدس دراسي للطلبة". ويسعى حاليًا للحصول على درجة الدكتوراة في الدفاعيات، ودراسات الآراء السائدة.

هيئة الخدمة الروحية للنشر

51399
9 780736 949248